


العدد السادس والسابع ـ السنة التاسعة ـ ذو الحجة ـ محرم 1386 ـ ابريل ـ ماي 1966

## في هذا العدد



تصدرها وزارة عموم الأوقاف
والشؤون الاسلامية
بالمملكة المغربية

ثمن العدد درهم واحد

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

# دعوة الحق

العدد السادس والسابع
السنة التاسعة
ذوالحجة - محرم 1386
ابريل - مـاي 1966
ثمن العدد درهم واحد

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر


## بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالـي :
مجلة « **دعوة الحق** » ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنـة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فـأكثـر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

---

تدفع قيمة الاشتراك فى حســاب :
مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

**Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat**

او تبعث رأسا فى حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغـرب .

---

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :

« **دعوة الحق** » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم **الاوقاف** ـ الرباط
تليفـون 10-308 ـ 03-327 ـ الرباط

# لقاء بطلين في ظلال الأخوة الاسلامية

.. قام جلالة الامبراطور شاهنشاه رضا بهلوي ملك ايران بزيـــارة رسمية لبلادنا بدعوة من أخيه جلالة الملك المعظم الحسن الثاني حفظه الله .

ولقد استقبل المغرب ، ملكا ، وحكومة ، وشعبا ، جلالة شاه ايران استقبالا رائعا ، امتاز بحرارة اللقاء ، وضج بالاهازيج والأغاني ، ونم عن وحدة الشعور ، ومدى التقدير الذي يكنه الشعب المغربي المسلم ، لشقيقه الشعب الايراني المسلم ، وبعث الآصرة الاسلامية المتينة التي تبشر باتحاد الوجهة ، واجتماع الكلمة ، وتعيين الغاية .

كما وقف جلالة الضيف الكريم على أحوال بلادنا ، ولمس مـــدى الخطوات التي قطعها المغرب الناهض في ميادين النماء والتطور ، خلال عشر سنوات ، قضى اثناءها على مخلفات العهود السود، وتركات الاجيال المريضة بفضل القيادة الرشيدة لجلالة مولانا أمير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله .

وان هذه الزيارة الميمونة التي قام بها بطل من أبطال الاسلام الى بلادنا في الظروف الحالية لتحمل أكثر من معنى ..

وان الامة الاسلامية ، في مشارق الارض ومغاربها ليثلج فؤادهـــا ويفعم صدرها ، أن ترى أقطابها الاوفياء ، وقادتها المخلصين يجتمعـــون للذياذ عن كيانها ، وتحقيق مطامحها ، واشباع اشواقها ، وابراز الاخوة والتعارف والتعاطف في أسمى معانيها ، لتركيز المستقبل الواعد ، علـــى أسس من الماضي المشترك ، الحافل بالامجاد .

فما اقدر الله أن يدني على شحط      من داره الحزن ، ممن داره صول

وان الاسلام الحنيف ـــ يقول صاحب الجلالة ـــ الذي انبثق من جزيرة العرب ، وأينع غرسه في مشارق الارض ومغاربها ، وترعرعت الحضارة في ظله الوارف ، دين يعتبر المومنين اخوانا ، ويدعو الى التعارف والتعاطف بين شعوب الارض كافة ، ومن آكد الواجبات الملقاة على عاتق أولي الامر من المسلمين ، وان بعدت بهم الديار ، وشط المزار ، ان يوجهوا كبيـــر اهتمامهم الى شؤون اخوانهم في العقيدة ، ويعملون على اصلاح احوالهم ، ورعاية مصالحهم .

وان الله لهاد الذين آمنوا الى صراط مستقيم .

دعوة الحق

## الاسلام والثقافة العربية

# الاستعمار والتغريب

للأستاذ: أنور الجندي

**هذا مبحث جديد في دراسة الفكر العربي الاسلامي في الثلاثينات من هذا القرن يخص بها الكاتب العربي المسلم انور الجندي مجلة «دعوة الحق.»**

- 1 -

1) ان المراجعة الفاحصة لكل الدراسات التي تتصل بالتبشير والاستشراق والشعوبية والطائفية والغزو الفكري والاستعمار الثقافي، والدعوات الهدامة كالالحاد والاباحة ، يجد انها في واقع الامر ليست الا شعبا مختلفة لمخطط اساسي هو ( الابقاء على نفوذ الاستعمار في العالم الاسلامي ) ولما كان الفكر العربي الاسلامي يحمل قيما ومفاهيم لا تقبل الاستسلام والانطواء في قيم اخرى ، ولا الخضوع لقوى مسيطرة فقد كان العمل الاساسي للنفوذ الاستعماري هو القضاء على هذه المقومات أو اثارة الشبهات حولها وافسادها عن طريق البحث الذي يحمل طابع العلم والصحافة والتعليم في المدرسة والجامعة ، ومن هنا يمكن ان يطلق على هذه الحركات كلها اسما واحدا هو ( التغريب) ومن هنا تبدو الرابطة الاساسية الاكيدة بين الاستعمار والتغريب ، ومن هنا يفهم كيف تدرج الاستعمار في هذه المحاولة فكانت اول امرها حملة تبشيرية قوامها المرسلون والمدارس والدعوة الى اخراج المسلمين من دينهم بالقوة أو بالاغراء ، وقد وقعت خلال تلك الفترة احداث ، وقد اجتاحت هذه الموجة العالم الاسلامي منذ ( 1930/1830 ) تقريبا خلال قرن كامل في صورة حركة تبشيرية ضخمة سجلتها دراسات وابحاث ومؤتمرات وجرت حولها مساجلات وحوار ومعارك فكرية ، وكانت مصر واحدة من هذه الحلقات غير أن هذه المرحلة لم تلبث ان انتهت الى عمل اشد خبثا ومكرا واكثر عمقا واقل مصادمة، وذلك عن طريق نفوذ دعاة التغريب، هؤلاء الذين استطاع الاستعمار ان يصطفيهم ، وذلك بتخرجهم من معاهده وجامعاته في العالم العربي أو من بعثاته في أوربا وامريكا ( مع التحفظ في هذا الاصطفاء اذ أن كثيرا من هؤلاء لم تستطع الثقافة الموجهة الى انتزاعهم من جذورهم ) وقد اتيح من بعد لهؤلاء المصطفون ان يلوا مناصب رئيسية في وزارات التربية والتعليم والمعارف ، فاستطاعوا أن يؤثروا في المناهج والمؤلفات والصحف وأن يقودوا حركة تحويل خطيرة انصبت على تغير المناهج وفرض مفاهيم غربية تدرس من خلال الدراسات التاريخية واللغوية والاسلامية ، ثم تنمو مع الزمن ويتسع نطاقها في الجامعات ، وبذلك يمكن أن يقال ان دعاة التغريب في المرحلة الثانية في الثلاثينات كانوا بديلا للتبشير، وهذه هي المرحلة الاخطر وفي هذه المرحلة استقدمت الجامعة المستشرقين المتصلين بوزارات الاستعمار والخارجية ، كما استقدمتهم مجامع اللغة ، واضفي على أبحاثهم كثير من التقدير والاجلال ، وتحول الموقف بالنسبة لنقد هذه الاتجاهات فقد أصبحت مختلف الصحف اللغوية ذات الصوت الجهير في أيدي هذه القوى التغريبية ، وبذلك أمكن ضرب كل صوت يرتفع بمراجعة هذه المواقف .

وفى ظل حملة التبشير الضخمة التي مرت بالعالم العربي ومصر ( 1932 ) تحول الموقف كثيرا وأمكن ان تظهر اصوات قوية قد تنبهت فى أعماقها الى حركة التغريب فانفسحت صحيفتا البلاغ والسياسة اليومية صفحاتها لمواجهة هذه الحملة التي عرف رجل مثل الدكتور هيكل بواعثها اذ صدر فى نفس الوقت كتاب وجهة الاسلام لمستر جب وزملائه .. كمحاولة لتقييم حركة التغريب فى العالم الاسلامي وفى نفس الوقت كان العمل لتاكيد النفوذ الاجنبي قد اقتنع بانهاء مخطط التبشير ، وبدا مخطط جديد اقل حدة فى المظهر واشد عنفا فى المضمون ، هو مخطط التغريب والشعوبية ، ويتمثل ذلك فى قول الدكتور صمويل زويمر قطب التبشير فى العالم الاسلامي منذ أوائل القرن :

**( ان التبشير قد وصل الى أسمى غاياته فى مهاجمة العالم الاسلامي ، أدى المهمة على اكملها وانتهى الى نتائج لم يكن احد يحلم بها منذ الحروب الصليبية ، ليس غرض التبشير المسيحي وسياسته ازاء الاسلام ، هو اخراج المسلمين من دينهم ليكونوا مسيحيين ، ان المسلم لا يمكن ان يكون مسيحيا مطلقا ، والتجارب دلتنا ودلت رجال السياسة على استحالة ذلك ، ولكن الغاية التي نرمي اليها هي اخراج المسلم من الاسلام فقط ، ليكون ملحدا أو مضطربا فى دينه ، وعندها لا يكون مسلما ، ولا تكون له عقيدة يدين بها ، وعندها يكون المسلم ليس له من الاسلام الا اسم أحمد ، والملحد هو أول من يحتقر الاسلام والملسمين ) .**

- 2 -

ان الاستعمار يفهم جيدا ان ( العالم الاسلامى ) له قيم اساسية ومفاهيم واضحة تكون فلسفته فى الحياة ورسالته فى العالم ، هذه القيم والمفاهيم مستمدة اساسا من الفكر العربي الاسلامي ، وهي فى جوهرها تدعو الى مقاومة النفوذ الاجنبي الغاصب ، والمتسلط والغازي ، وكل من يطمع فى فرض سلطته ايا كان نوعه عليها ، ومن شأن يقظة هذا الفكر ووضوحه ووصوله الى دوائر التربية والتعليم والثقافة والصحافة ان تفرض مقاومة ضخمة لنفوذ الاستعمار وبالتالي تؤدي الى زعزعة مكانه واضطراب مصالحه . لذلك فقد كان الاستعمار حريصا على زلزلة هذه المفاهيم والقيم والقضاء عليها وذلك باثارة الشبهات حولها ومنع وصولها وحجب بعضها ، وملأ الجو بمفاهيم جديدة مستوردة ، ليست اصيلة ولا نابعة من البيئة الاصلية ، وهي مفاهيم معاكسة تماما لتلك القيم ، ومعارضة لها تماما ، وفى مقدمة مفاهيم القيم الجديدة : المتعة واللذة الحسية والترف والرغبة العاجلة ومن هدف هذه المفاهيم الوافدة خلق روح من التحلل والاستسلام والاعجاب بالغرب الغازي والتسامح معه والولاء له والصداقة معه ، وقتل عوامل الغيرة والمقاومة والخصومة معه ، واندحار معاني الكيان الذاتي الخاص وبذلك تصل الطلائع الجديدة الى التميع والانحلال والضعف غير ان هذه الخطة لا يمكن ان تنفذ بهذه البساطة واليسر ، وانما تنفذ فى دقة متناهية ، فقد استبطن الاستعمار فى دهاء جميع مظاهر العنف فيها ، وغلف مظاهرها بطابع العصرية والمدنية والدعوة الى التسامح وتقبل الراي المعارض ، وجعل غزواته مغطاة مبهمة ، ودخائل اهدافه دقيقة ماكرة ، وجعل لهدفه سعة من الزمن وفسحة من الوقت ، لا يستعجلها ولا يكشف عنها ، ولقد بدا الاستعمار عمله لمقاومة مفاهيم الفكر العربي الاسلامي والقضاء عليها بالتحريف واثارة الشبهات اول الامر ظاهرا مسفرا باسم التبشير ، فلما لم يتحقق عن هذه المواجهة الا تزايد الخصومة والمقاومة والتحدي كرد فعل ، لم يلبث ان غير اساليبه ومناهجه فاختفى وراء منظمات غير مشبوهة ووراء اساليب غير متهمة ، وقد استبطنت هذه المنظمات دعوته ، واستطاعت عن هذا الطريق الغامض ان تكشف كثيرا ، وان تجند القوى للعمل ، وقد اتخذت من المدرسة والصحافة والقصة والمسرح والفن والسينما ادوات لها ، وانتفع فى هذه الاعمال بالاستشراق وكتاب الغرب المتعصبين ، واذا كان لنا ان نكون ابعد عن التعصب واقرب الى الانصاف فلسنا نحاكم أعمال الاستشراق والمستشرقين وكتاب الغرب الا بقدر ما تتخذ دوائر الغرب الاستعمارية هذه الاعمال وسيلة للقضاء على مقومات الفكر العربي الاسلامي . وفى ضوء انصاف كامل عرف عن الباحث العربي المسلم ، لا تعصب فيه ، تواجه فيه الامور بفكر مفتوح ، وسماحة علم ، وايمان أكيد بحق الثقافات الانسانية بالاخذ والعطاء ، والاختصاص للاضافة الى كيانها ما يزيدها قوة ، وايضا بحقها فى الرفض والنبذ عن وعي وبلوغ لمرحلة الرشد الفكري ، ولطالما كانت الثقافة الاسلامية العربية قادرة على الاخذ والعطاء فى مراحل حياتها الطويلة المختلفة ، عن تسامح ويقظة وتقدمية وتفتح ، فى هذا الضوء نكتب هذا البحث .

ومن هنا نرى أن هدف الاستعمار والنفوذ الاجنبي بالسيطرة على العالم الاسلامي ، بالسيطرة على فكره ، قد تحولت من عمل التبشير المكشوف فى الثلاثينات الى مجال جديد هو التغريب والشعوبية ، واصبحت وسيلته هي اذاعة الشبهات المختلفة على

السنة كتاب جدد ، لهم أسماء عربية ، بعد أن كانت هذه الشبهات تذاع باسم «رينان» «وهانوتو» «وداكور» «وكرومر» «وليوتي» ولامنجري وبلون وانها أصبحت تذاع في صحف العالم العربي باللغة العربية باعتبارها منبعثة من دراسات علمية قوامها اعادة النظر في التراث

وهنا أصبح دور النفوذ الاجنبي دقيقا خفيا ، أشد خطرا فانه مضى يسير هذه المعركة من وراء ستار عن طريق مواصلة اثارة الشبهات حول القيم الاساسية للفكر العربي الاسلامي ، وقد كانت دائرة المعارف الاسلامية وكتابات مرجليوث ولويس شبجو ولا منس ورينان ومنسنك هي المرجع الاول لكل باحث في مختلف أبحاث الاسلام والثقافة العربية والتاريخ وما تزال الاراء المصطنعة الجادة البعيدة عن التعصب والتحامل تؤكد شبهة الهوى أو الخطا او الانحراف لابحاث جانب كبير من كتاب الغرب الذين تسلكهم في صنوف المبشرين او المستشرقين أو الباحثين ، ولا يخلو من الاتهام الا فئة قليلة من الباحثين وحتى هؤلاء الذين خلت بواعثهم من الاتصال بدوائر الاستعمار ، لا يستطيع اكثرهم ان يسلم من العجز الذاتي في استيعاب مفاهيم الفكر الاسلامي العربي على النحو الذي يجعله متقبلا لديه ، وذلك نتيجة اختلاف القيم الاساسية بين الفكرين الغربي والعربي .

- 3 -

3) لاشك أن الحرب التي شنها الاستعمار والنفوذ الاجنبي كانت تهدف الى تغيير العقائد أساسا او التاثير فيها على اساس أن الحضارة الغربية المسيطرة لها عقائدها ومفاهيمها وقيمها وهي العقائد والقيم التي افترض انها يجب ان تسود في المناطق التي يحتلها، وهي لو استطاعت ان تحقق ذلك استمرت التبعية دون متاعب واستمر النفوذ الاستعماري وتحول من الخصومة الى الولاء . وقد فلسف الاستعمار هذا المعنى حين ادعى انه قادر على تمدين الملونين ، وان الامم البيضاء هي الامم التي تسود ، ولقد حرص الاستعمار في مخطط تاكيد نفوذه على أن بقاء مفاهيم الفكر العربي الاسلامي وقيمه من شأنها أن تحول دون استمرار النفوذ ، وتؤدي الى مقاومته ، ومن هنا كانت حملات التبشير تعاونها الشبهات التي يثيرها الاستشراق حين تتجمع في مخطط تغريبي يحمل لواء الشعوبية من اجل هدم هذه المقاومة واضعافها واحلال مفاهيم غربية بديلا عنها، ويرى ( تقي الدين النبهاني ) ان الذي حمل الاوربيين على انشاء الجمعيات التبشيرية في الشرق هو ما عانوه في الحروب الصليبية من صلابة المسلمين وصبرهم على الجهاد ووحدتهم في المقاومة ، وقد بحثوا عن السر في ذلك فوجدوه في الاسلام لان عقيدته هي منشأ هذه القوة العظيمة عند المسلمين وتسامح الاسلام .. ومن هنا كان مفهوم التغريب هو تشكيك المسلمين في تاريخهم ودينهم وزعزعة عقائدهم .

ويمكن ان يقال انه بعد فشل الحروب الصليبية ، التي كانت أساسا حركة استعمارية ، كانت الخطة هي تحويل العالم الاسلامي عن مقومات فكره باعتبارها القوة الاساسية التي هي مصدر المقاومة والانتصار ، وليس الغرض هو اخضاع العالم الاسلامي بقدر ما هو اخضاعها للثقافة الغربية كسبيل وحيد أكيد لاخضاعها للنفوذ الغربي .

وقد تحقق أن اخضاع العالم الاسلامي لا يتم الا عن طريق الثقافة ومن هنا وضعت الخطة على مستوين :

أ) مستوى التبشير حتى 1932. ب ) مستوى التغريب من بعد ذلك حتى اليوم وقد اثار كثير من المؤرخين ان هدف النفوذ الاستعماري عندما اكتشف طريق رأس الرجاء الصالح ، هو الوصول الى الهند عن طريق الالتفاف حول العالم الاسلامي وتطويقه ، حيث ان الطريق عبر مصر يجعل التجارة الاوربية بين المسلمين ( فلما اكتشف طريق رأس الرجاء وجد البرتغاليون انفسهم أمام الابواب الخلفية للعالم الاسلامي وهي منافذ ضعيفة التحصين ، فعملت البرتغال على ضرب العالم الاسلامي من جناحه المهيض ، وكان البرتغاليون يأملون من وراء ذلك الى اضعاف المسلمين واستعمار بلادهم ، هذه الخطة ما كانت تتم بالسيف والتفوق الاقتصادي فقط ، بل كذلك بالقضاء على الاسلام كعقيدة دينية سماوية ، لهذا جاء التاجر الاوربي الى الشرق تحرسه المدافع وتشق له السيوف الطريق ومن وراء التاجر جاء المبشر ) .

وقد ايد الاستعمار اعمال التبشير وحماها ، بل ان اللورد ( كرومر ) في مصر كان يسجل في تقاريره السنوية خطوات التبشير واعماله ومقترحاته في توسيع نطاقه ، كما أعلن « بلفور » وزير خارجية بريطانيا تاييده لحركات التبشير في تصريح واضح له جاء فيه : ان المبشرين هم ساعد جميع الحكومات المستعمرة وعضدها في كثير من الامور الهامة ، ولولا هم لتعذر على تلك الحكومات ان تذلل كثيرا من العقبات ، وقد اشار الدكتور مصطفى الحفناوي في دراساته عن قناة السويس كيف كان لرجال التبشير من مساع وخطوات في سبيل حض المستعمرين على انشاء قناة تصل البحر الابيض

بالبحر الاحمر ، تكون تحت نفوذ فرنسا وبريطانيا وذلك للقضاء على وحدة العالم العربي وتمزيق كيان العالم الاسلامي .

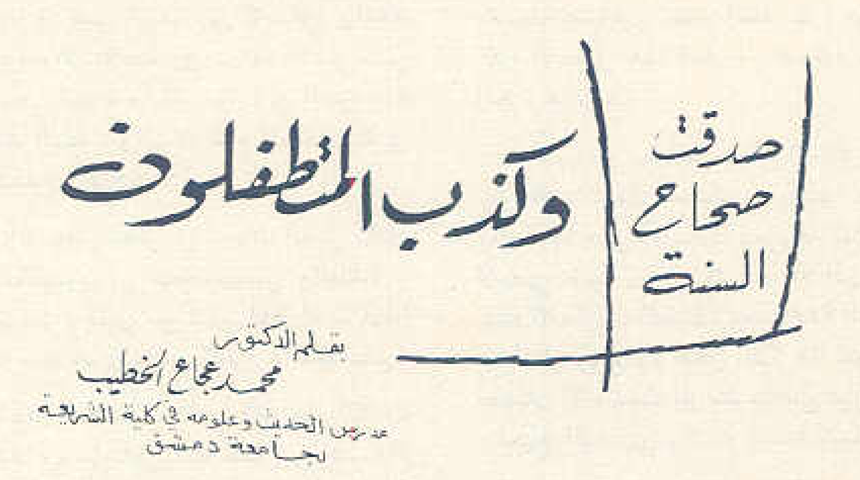
- 4 -

وفي هذه المرحلة عمل الاستعمار على رصد اموال طائلة في ميزانيات الدول المستعمرة كما قدمت الكنيسة الرومانية مبالغ لاحد لها ، فقد تم الصلح بين الحكومة الايطالية وبين الفاتيكان في الثلاثينات ، وابرمت معاهدة ( لاتران ) التي ردت الى الفاتيكان الاموال التي كانت الحكومة الايطالية قد حجزتها منذ عام 1870 ، وبلغ ما استولى عليه الفاتيكان 750 مليون ليرة ايطالية ، وكان اول ما عمله الفاتيكان أن أرصد عدة ملايين للتبشير في الشرق الادنى ، كما قدمت دوائر وزارات الاستعمار في الحكومات الغربية في أوربا وامريكا حشودا ضخمة من المعلمين والمبشرين والاطباء ، واعان على توسيع نطاق التبشير في العالم الاسلامي والعربي وجود نفوذ الاحتلال الذي كان لسانه هذه البعثات ويمدها بالاعتمادات ويحميها من مقاومة القوى الوطنية في ظل نظام الامتيازات الاجنبية الذي يجعل من الصعب على السلطات الحاكمة أن تتبع حركات المبشرين او تواجه تصرفاتهم وحمل لواء التبشير زعماء الاستعمار في العالم العربي : الكردينال لافيجري في تونس والمارشال ليوتي في المغرب واللورد كرومر ودنلوب في مصر وغردون في السودان .

وقد عمدت هذه الارساليات والمدارس الاجنبية على وضع ( التوراة ) في ايدي الطلاب المسلمين على أنه كتاب تدريس اساسي ، وفي مادة الترجمة استعملت نصوص التوراة ، في الترجمة من العربية الى الانجليزية او الفرنسية ، وقد اعلن في أكثر من مناسبة أن بعض الكتب التي توضع في أيدي الطلاب تحمل اتهامات وشبهات للاسلام والعرب وللتاريخ والتراث واللغة العربية ، وان اغلب كتب الطلاب لا تختلف عن الكتب الطائفية ، ولما كانت معظم الحكومات في العالم العربي خاضعة للنفوذ الاستعماري ، ونظرا لان هؤلاء الساسة في الاغلب كانوا على ولاء مع الاستعمار ، فانها لم تجد عندها القدرة على مواجهة مناهج هذه الارساليات ، ومع ان الاستعمار ، قد خرج من معظم هذه الاقطار فان نفوذه الثقافي لا يزال كما هو بل تأكد في بعض اجزاء العالم الاسلامي ، وقد اشارت ( انا مليحان ) الى ذلك حين قالت : انه في كلية البنات بنات اباؤهن باشوات وبكوات وليس في مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ التبشيري ، ولن يوجد ثمة طريق الى حصن الاسلام اقصر مسافة من هذه المدرسة ) وقد عاش هذا المعنى دافعا للعمل ، في هذا المجال فالى اي مدى سارت الخطة ؟

هذا مبحثنا في العدد القادم .

**القاهرة : انور الجندي**




نشـرت مجلة (( العربـي )) التي تصدرهـا وزارة الارشـاد والانبـــاء بالكويت في عددها 87 يبراير 1966 كلمة بعنـوان بارز وخط عريض :

(( ليس كل ما في صحيح البخـاري صحيحـا ، وليست هـذه الاحاديث مفتراة فحسب ، بل منكـرة )) ، وقد كتب هذا المقـال الاستـاذ (( عبد الوارث كبير )) احد محرري المجلـة ، والمشرف على باب (( انت تسأل ، ونحن نجيب )) .

ولقد اعتمد الكاتب ـ حسب زعمه وفهمه على كثير من الائمـة الذيـــن يؤيدون رايـه كابن تيمية ، والقسطلانـي ، والبيهقي ، والعسقلانـي وغيرهم .

وأثار هذا المقال عدة ردود نشـرت في مختلف الصحف والمجلات ، وتصـدى للرد عليـه عدد كبيـر من اكابـر علماء الاسلام ، بـل ان بعض المجلات خصصت جل صفحاتها للدفاع عن الامام البخاري الذي هو امام المحدثين وشيخ حفاظ زمانه على الاطـــلاق ...

وقد تسلمنا ردودا في الموضوع وافانا بها كثيـر مـن العلمـاء والباحثيـن اخترنا منها تقديم هذا المقال الذي كتبه الدكتور محمدعجاج الخطيب مدرس الحديث وعلومه في كليـة الشريعـة بجامعـة دمشق لقرائنـا الكـرام .

واملنا كبير في ان تحقق مجلة (( العربـي )) واجبها المقدس فتقـوم الاقـــلام المعوجة وتعود الى الحق وجادة الصواب ، فان هذه المجلـة لم تؤسس لتساهم في النيل من مقدسات الامة العربية والاسلامية ، وتحقق غايات اعدائهـا عن قصد او غير قصــد .

دعـــوة الحـــق

نشرت مجلـــة العربي التي تصدر في الكويت في عددها السابع والثمانين ، في باب ( انت تسال ونحـــن نجيب ) ـ مقالا تقشعر له الابدان ، ويندى له الجبيـــن ، وينفر منه الذوق السليم ويمجه من له صلـــة بالبحث العلمي سواء أكانت من قريب أم من بعيد ، وينكره مـــن له اطلاع على العلوم الاسلامية بشكل عام ، وعلى علـــم الحديث بوجه خاص ـ لما جاء فيه من ايهام وتضليـــل ، وبعد عن الحقيقة ، وتعمية للحق ، وسوء نقل ، وخيانة للامانة العلمية ..... وتسير بالهوى ، وفهم مجانب للسليقة العربيـــة ، وتحميل النصوص مالا تحتمـــل ، لاثبات ماتشتهي النفوس الخسيسة ، وما ترتئيه الاهواء الضالــــة .

لم يقترف الكاتب كل هذه السقطات في بحث ادبي تذوقي ، فيقال هذا ما انتهى اليه ذوقه وتدفقت بـــه مشاعره ، ولا في بحث تاريخي فيقال : هذا ما انتهى اليه اجتهاده وترجيحه ... ولا في بحث فلسفي فيقال : انه من اتباع مدرسة فلان وفلان .. ولا في بحث علمي عملي فيقال . لقد جانب الصواب لخلل في أجهزتـــه ... او لخطا في حسابه ...

لقد اقترف تلك السقطات في كلامه عن حـــديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن اعظم مدوناتـــه ، اقترف ذلك فيما يدين به نحو خمسمائة مليون مسلم ، ويعتز به تراث الانسانية . اقترف ذلك باسم الحريـــة الفكرية .. وكانه لم يجد ميدانا لهذه الحرية الا كتب

السنة وصحاحها .. في حين ان ميادين الاصلاح والنقد البناء في الامة العربية والاسلامية وفي دولها اكثر من أن تعد وتحصى ، وهي احوج ما تكون الى الحرية الفكرية ، والى النقد البناء ، والى الاقلام المخلصة في سبيل النهوض والتقدم والازدهار .

ونحن في هذا لانحظر الفكر عن ابحاث الدين وآثار علمائه اذا تناولها المخلصون من المتخصصين والعلماء . أما ان يتناول اي موضوع علمي من ليس أهلا له ـ فهذا لانرضاه ولا يقول به منصف في عصر العلوم والتخصص .

وكان نتيجة هذه السقطات التي اقترفها الكاتب أن التقى في مقاله هذا مع ماينتهي اليه كثير من اعداء الاسلام في ابحاثهم حول السنة من تشكيك فيها ، واستخفاف بكتبها .. ولكن مائدة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلى من ان تنالها الترهات بأذى ، فقد اهتم المسلمون بالحديث النبوي الشريف اهتماما عظيما ، وحرصوا على حفظه ونقله وتبليغه منذ الصدر الاول ، كما حرصوا على جمعه وتدوينه ، وقد دون جانب منه في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما دون جله في عهد الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، فتضافرت الحوافظ والاقلام من اجل حفظه ، كما تضافرت جهود المسلمين وعلمائهم في سبيل خدمته وصيانته ، فنشأت حول حديث الرسول صلى الله عليه وسلم علوم كثيرة، لم يحظ بمثلها علم من العلوم او قانون من القوانين ، فنشأ علم غريب الحديث ، وعلم ناسخ الحديث ومنسوخه ، وعلم علل الحديث ، وعلم مختلف الحديث ومشكله ، وعلم تاريخ الرواة ، وعلم الجرح والتعديل، وعلم اصول الحديث ، وغيرها من العلوم التي خدمت السنة النبوية وتكفلت ببيانها ، فمازت الصحيح من الضعيف ، والسليم من العليل ، والمقبول من المردود، والمرفوع من الموقوف ، والدخيل من الاصيل .

ولم يكن جمع الحديث ونقله جمعا اتفاقيا عاديا، بل جمع ونقل على اسلم القواعد العلمية ، فما كان يقبل الحديث الا اذا توفرت في حاملة شروط دقيقة نص عليها العلماء وبسطوا القول فيها في كتب أصول الحديث

فلم يترك العلماء شيئا له صلة بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم الا بينوه ، حتى أن بعضهم قال : لقد نضجت علوم الحديث حتى احترقت ، لكثرة ماخدمه العلماء واعتنوا به .

وبعد هذا كله يجعل الكاتب عنوان مقاله ( ليس كل ما في صحيح البخاري صحيحا ، وليست هذه الاحاديث مفتراة فحسب بل منكرة !؟ ) . وصدر مقاله باسماء مشاهير علماء الحديث ، موهما القاريء رسوخ قدم كاتبه في هذا العلم ، باعتماده على اقوال ائمة الحديث .

ثم راح يستنكر بعض الاحاديث الموضوعة التي نص عليها علماء الحديث ، وبينوا زيفها ، وذكروا واضعيها حتى اصبحت معروفة لدى كثير من المسلمين، لايخفى عليهم زيفها وكذبها ، فلا ادري ما مناسبة سوق هذه الاحاديث المختلفة تحت هذا العنوان ؟ وهي لاتتصل بهذا الموضوع ولا محل لذكرها سوى ايهام القاريء بطغيان الاحاديث الموضوعة على غيرها ، وتأكيد أن في صحيح البخاري وكتب السنة شيئا منها .

ولا ادل على هذا مما قاله في طلائع مقاله ( والكلام عن الاحاديث الموضوعة مما لاتتسع له صفحات هذا الباب ... لكنني مع ذلك .. اسالك كيف يعقل أن يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « اختلاف امتي رحمة » .. ما مبرر هذا وقد نص العلماء على ضعف ووهاء وانقطاع هذا الحديث ، ما مبرر ذكر هذا الحديث وغيره من الموضوعات في مثل هذا المقام ؟ ليس له اي وجه الا اساءة الظن بالسنة ، وتشكيك المسلمين في كتب احاديثهم ، وفي المصدر الثاني للشريعة الاسلامية.

نحن لا ننكر أن بعض اعداء الاسلام من الشعوبيين والزنادقة والجهال وغيرهم قد وضعوا احاديث كثيرة، بعد عصر التصنيف ، وبعد ان جمع معظم الحديث في مدوناته ، ولكن هذا لم يخف على العلماء ، فتصدوا للوضاعين ، وحذروا الامة من مروياتهم ، وبينوا كذبهم ومفترياتهم ، وجمعوا تلك الاحاديث الموضوعة في كتب خاصة ليعرفها اهل العلم ويجتنبها المسلمون،وقد تناولنا الحديث الموضوع وجهود الامة وعلمائها في مقاومة الوضع بالتفصيل في كتابنا « السنة قبل التدوين » من الصفحة ( 187 ــ 291 ) .

ووددت ان اجد في ذلك المقال منفذا لحسن نية الكاتب ، لكن سوء نيته ، ودنيء قصده الذي تجسم في كذبه وتحريفه ومفترياته ــ لم يدع لذلك سبيلا .

فقد ختم استشهاده بالاحاديث الموضوعة بحديث ( عليكم بالعدس فانه قدس على لسان سبعين نبيا ) ، وبحديث ( زينوا موائدكم بالبقل فانه مطردة للشيطان ) وقد نص العلماء على وضعهما في ( كتاب المنار ص 21 وفي اللآليء المصنوعة ص 212 و221 ج 2 ، وفي تنزيه الشريعة المرفوعة عن الاخبار الشنيعة الموضوعة ص 246 ج 2 ، وفي الفوائد المجموعة ص 161 و 165 ) .

وامعن في افترائه وكذبه فقال بعد ذلك مباشرة ( ليس هذا فقط .. فان في صحيح البخاري وغيره من كتب الحديث ما هو ادهى من ذلك وامر ، في مخالفة ما امر الله به عباده ، وانزله في محكم كتابه ) وادعى ان الامام البخاري واصحابه نسبوا الى السيدة عائشة رضي الله عنها قولها : « كان النبي يامرني فاتزر فيباشرني وانا حائض » ونسبوا مثل ذلك الى ميمونة رضي الله عنها ثم قال : ( فما الذي يفهمه الناس من هذه الاحاديث الا ان الرسول كان يباشر زوجاته في فترات حيضهن ، خلافا لما امره الله به .) .

لقد قصر فهمه عن ادراك ما جاء في صحيح البخاري ، فطعن فيه ووصمه بحمل ما هو ادهى وامر من الموضوعات ، فكان كالانسان البدائي عدوا لما يجهل فليس هو وامثاله ممن يبحث في امور الدين ، ويحكم على صحاح السنة ، ويتصدى لاوثق مصدر حديثي بدعوى الوضع والنكارة ، في حين اجمع علماء الحديث على خلو صحيح البخاري من الموضوع والضعيف ، بل اجمعوا على وثاقته وصحته . قال العلامة ابو الطيب صديق القنوجي رحمه الله : ( كان كتاب الجامع الصحيح للبخاري قد حاز قصب السبق في مضمار الاعتبار ، واظهر من صحيح الحديث وفقهه ما لم يسبق اليه ولا عرج احد عليه من الائمة الكبار ، ولذا تراه رجح على غيره من الكتب بعد كتاب الله ، وافصحت بالثناء عليه السن الاعلام على بصيرة منهم وانتباه . ( انظر عون الباري لحل ادلة البخاري ص 3 ج 1 ) . وقال ابو جعفر العقيلي : ( لما الف البخاري كتابه في صحيح الحديث عرضه على علي بن المديني ، ويحيى بن معين ، واحمد ابن حنبل وغيرهم ، فامتحنوه ، فكلهم قال له : كتابك صحيح الا اربعة احاديث – اي لم تجتمع فيها شروط الصحة ، لا انها ضعيفة او موضوعة – قال العقيلي : والقول فيها قول البخاري ، وهي صحيحة . عن فهرسة ابن خير ص 95 ) . وهؤلاء الذين عرض البخاري عليهم صحيحه اعلام الدنيا في الحديث وعلومه ، لايشق لهم غبار ، وقد نطقت بعظيم مكانتهم الآثار . وقال الامام الدهلوي : ( اما الصحيحان – اي صحيح البخاري وصحيح مسلم – فقد اتفق المحدثون على ان جميع ما فيهما من المتصل المرفوع صحيح بالقطع ، وانهما متواتران الى مصنفيهما ؛ وان كل من يهون امرهما فهو مبتدع متبع غير سبيل المؤمنين . / عن كتاب حجة الله البالغة ص 106 ج 1 )

وبهذا يتبين لنا جهل هذا الكاتب وكذب ادعائه ، وخطورة فريته ، وخسيس قصده الذي يخرجه عن جماعة المؤمنين وينكبه سواء السبيل باتفاق الائمة والمجتهدين .

فهلا تادب ذلك الكاتب مع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد العرب وخاتم المرسلين وامام الناس الى يوم الدين ، هل تادب وهو يكتب في مجلة عربية اللسان تصدر في بلد مسلم كريم ..؟ وهلا وضع في اعتباره قدسية كتب الحديث التي يدين بها ويحترمها مسلمو الدنيا ، ويعتز بها ويجلها منصفوا العلماء والمفكرين من كل ملة ونحلة..؟

ثم ان الحديث الذي اراد ان يستدل به على معارضته حكم الله تعالى ، يوافق الاية الكريمة بمنطوقه ومفهومه . ففي اللغة ائتزر به وتأزربه وبأتزربه ائتزارا اي شد ثوبه او ازاره حول جسمه ، وفي حديث الاعتكاف « كان – اي الرسول صلى الله عليه وسلم – اذا دخل العشر الاواخر ايقظ اهله للعبادة وشد المئزر » كنى بشده عن اعتزال النساء .. وفي الحديث « كان يباشر بعض نسائه وهي مؤتزرة في حالة الحيض » اي مشدودة الازار « النهاية لابن الاثير ص 44 ج 1 والقاموس المحيط ، مادة : ازر »

وباشر يباشر مباشرة اي لامس ، واصله من لمس بشرة الرجل بشرة المرأة ، وفي الحديث « انه صلى الله عليه وسلم كان يقبل ويباشر وهو صائم » من لمس البشرة البشرة . انظر « النهاية لابن الاثير ص 129 ج 1 » فالمباشرة في كل ما ذكرته لا تعدو لمس البشرة البشرة ، وليست المباشرة التي قد يقصد بها معنى الوطء .

ثم ان احاديث مباشرة الحائض كثيرة يبين بعضها بعضا ويؤيده ، وكلها توافق الاية الكريمة «ويسألونك عن المحيض قل هو اذى ، فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن » ولا تخالفها ، ولكن الكاتب تخير هذه الرواية ظنا منه انها ستؤدي غرضه ومراده ، في انتزاع ثقة المسلمين بصحيح البخاري وبغيره من كتب السنة ، ومحال ان يتم له هذا او لغيره ، واليك بعض تلك الاحاديث التي تؤكد ما ذكرناه وتدحض ما انتهى اليه فهمه . عن السيدة ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضطجع معي وانا حائض ، وبيني وبينه ثوب » وعنها رضي الله عنها : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يباشر نساءه فوق الازار ، وهن حيض » اي

تمس بشرته بشرتها خلافا لليهود فى معاملتهم للحائض، وواضح هذا فيما يرويه انس بن مالك رضي الله عنه «ان اليهود كانت اذا حاضت منهم المراة اخرجوها من البيت ولم يؤاكلوها ولم يشاربوها ، ولم يجامعوها فى البيت ، فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فانزل الله سبحانه : « ويسالونك عن المحيض؟ قل: هو اذى ، فاعتزلوا النساء فى المحيض الى آخر الاية » فقال رسول الله صلى عليه وسلم « جامعوهن فى البيوت واصنعوا كل شيء غير النكاح » اخرجه مسلم وابو داوود والامام مالك وابن ماجة ، والدارمي والامام احمد وغيرهم . والمراد بقوله ، جامعوهن ، اي خالطوهن وساكنوهن فى بيت واحد . وعن السيدة ميمونة رضي الله عنها : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يباشر المراة من نسائه وهي حائض اذا كان عليها ازار الى انصاف الفخذين أو الركبتين تحتجز به » وعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : كان احدنا اذا كانت حائضا امرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تأتزر فى فور حيضتها ، ثم يباشرها . قالت : وايكم يملك اربه كما كان يملك رسول الله صلى الله عليه وسلم يملك اربه » وواضح من كل هذا ان المباشرة هنا ليس معناها الجماع ، ويؤكد هذا قولها « وايكم يملك اربه » والارب وطر النفس وحاجتها وشهوة الجماع ، والمراد ايكم يملك زمام نفسه كما كان يملكه صلى الله عليه وسلم ، فيامن مع المباشرة الوقوع فى الجماع الحرام . واخرج ابو داوود عن بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي عليه الصلاة والسلام كان اذا اراد من الحائض شيئا القى على فرجها ثوبا »

فاين مخالفة الحديث لاوامر الله عز وجل يا « كاتب العربي » ؟ اصلحك الله وهداك ، ونقى صدرك من كل غل ، وبصرك سواء السبيل .

اما ما استشهد به من ان رجلا اتى عمر فقال : اني اجنبت فلم اجد ماء فقال له عمر « لا تصل » ونسب هذا الخبر الى البخاري رحمه الله ، ليؤكد ان فى صحيح البخاري ما يخالف القرآن الكريم — ففي هذا خطأ وخيانةعلمية ومسخ للحقيقة وتشويهها فليس فى صحيح البخاري قول عمر « لا تصل » بل فيه ما دار بين عمر ابن الخطاب وعمار بن ياسر رضي الله عنهما حول سؤال الرجل ، وقد اخرج الامام‌مسلم‌الخبر تاما . واكتفى‌الكاتب — لامانته — باجتزاء بعضه فجاء مشوها ، وساسوقه بتمامه ليتبين المراد ويتضح وجه الحق والصواب . عن سعيد بن عبد عبد الرحمن بن ابزي عن ابيه ، ان رجلا اتى عمر فقال : اني اجنبت فلم اجد ماء ، فقال لا تصل . فقال عمار : اما تذكر يا امير المومنين اذ انا وانت فى سرية فاجنبنا فلم نجد ماء ، فاما انت فلم تصل واما انا فتمعكت في التراب وصليت ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « انما كان يكفيك ان تضرب بيدك فى الارض ثم تنفخ ثم تمسح بهما وجهك وكفيك . فقال عمر : اتق الله يا عمار — اي اتق الله فيما ترويه وتثبت فلعلك نسيت — قال — ان شئت لم احدث به ، قال عمر : نوليك ما توليت . وفى رواية قال عمار « يا امير المومنين ان شئت — لما جعل الله علي من حقك — لا احدث به احدا » .

امير المومنين نسى الحكم فذكره به عمار ، وبين بالسنة الطاهرة كيفية التيمم ، فاستوثق عمر كعادته ، من حفظ عمار وعدم نسيانه واشتباه الامر عليه ، وعمار متاكد مما يقول — ومع هذا عرض على امير المومنين عمر ان راى المصلحة — فى عدم التحدث بما حفظ — راجحة على التحديث به امسك عنه بعد ان بلغه ورفع عنه الحرج . ولكن عمر القوال بالحق ، المتمسك بالكتاب والسنة ، الحريص على تطبيقهما والوقوف عندهما — يابى هذا فيقول له « نوليك ما توليت » اي ليس لك ذلك ، وليس لي منعك من التحديث وعليك نشره وبيانه . فعمر رضي الله عنه يأمر باتباع الكتاب الكريم وبيان السنة الشريفة ، ويرهب من عدم نشر ذلك ، ولكن اجتزاء الكاتب الخبر، وسوء امانته قد قلب الحق باطلا وجعل موافقة القرءان الكريم مخالفة له ، وحسن اتباعه انحرافا عنه .

ثم قال كاتب العربي : « اما ثالثة الاثافي فهي عن زيد ابن انس ، بسند صحيح على شرط الشيخين ، وصححه ابن حزم فى «الاحكام» واخرجه الطحاوي فى « مشكل الاثار » قال : امطرت السماء بردا فى رمضان فقال ابو طلحة « ناولني من هذا البرد » فجعل ياكل منه وهو صائم .. فاتيت رسول الله فاخبرته بذلك فقال : خذها عن عمك ، ولو صح هذا لكان اكل البرد فى رمضان لا يفطر ، وهذا ما لا يقول به مسلم على الاطلاق حتى ولو ورد الف مرة فى « البخاري » « ومسلم » وكل كتب الصحاح » .

اما ان هذا الخبر عن زيد بن انس فغير صحيح فليس في الصحابة زيد بن انس فضلا عن انه ليس في رواة الحديث على الاطلاق من اسمه زيد ابن انس . فالحديث مروي عن انس بن مالك رضي الله عنه ، واراد الطحاوي ان يبين انه من فتوى الصحابي ابي طلحة ، وانها لم تبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلا يتمسك بها كفتوى زيد .. فظن الكاتب الفهم ان الراوي وهو انس بن زيد والصواب : علي بن زيد بن جدعان عن انس ، ولم يحسن التفريق بين انس بن مالك وزيد بن ثابت ، لانه ليس من اهل الحديث ، اهل الدراية والرواية .

واما انه صحيح على شرط الشيخين : البخاري ومسلم ، فغير صحيح فهما لا يحتجان بالموقوف ، والمقطوع والضعيف . ولم نر احدا نص على تصحيحه ، وحبذا لو بين لنا موضع تصحيح ابن حزم في كتابه « الاحكام ».؟

واما ان الطحاوي اخرجه في كتابه « مشكل الاثار » فليس في هذا اي تصحيح،وقد صنف الطحاوي كتابه هذا لازالة اشكال ما قد يشكل فهمه من الاثار. وقد قال في هذا الخبر : « لا يصح رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم لان الذي رواه عن انس مرفوعا ليس من اهل الثبت وانما هو موقوف على ابي طلحة » فالخبر من قول ابي طلحة ، فهو رأي يراه، لا حديث يرويه عن الرسول صلى الله عليه وسلم ويرفعه ، فقد كان لا يرى في ابتلاع البرد للصائم بأسا ، ويقول ليس بطعام ولا شراب ، وانما هو بركة . « سير اعلام النبلاء ص 17 وص 21 ج 2 » .

اذن من اين جاء رفعه الى الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ لقد تفرد علي بن زيد بن جدعان برأي ابي طلحة هذا فرواه عن انس بن مالك رضي الله عنه وفيه « فأخبرت رسول الله فقال : خذ عن عمك» وقد بينا ان قول ابي طلحة موقوف . واما ما رفعه علي بن جدعان فلا يؤخذ به لانه ضعيف ، وقد اختلف العلماء فيه لانه اختلط في آخر عمره . فقال الامام شعبة بن الحجاج : كان رفاعا ، اي يرفع الى الرسول صلى الله عليه وسلم ما يرويه غيره موقوفا على الصحابة ، وقوله هذا يؤيد ما اثبته الطحاوي . وقال شعبة ايضا : حدثنا علي قبل ان يختلط .

وكان سفيان بن عيينة يضعفه .

وقال حماد بن زيد : كان يقلب الاحاديث . وكان يحيى بن سعيد القطان يتقي الحديث عن علي ابن زيد ، وقال الامام احمد : ضعيف .

وقال الامام البخاري والامام ابو حاتم الرازي : لا يحتج به . وقال ابن خزيمة : سيىء الحفظ « انظر ميزان الاعتدال ص 127 ــ 129 ج 3 وتقريب التهذيب ص 37 ج 2 وخلاصة الخزرجي ص 232 والاغتباط بمن رمي بالاختلاط ص 19 »

تلك شهادات ائمة الحديث وجهابذته في راوي الخبر الذي ادعى « كاتب العربي » انه صحيح وعلى شرط الشيخين !! وقد تبين لنا ان الحديث موقوف ، ولم يخرجه احد من اصحاب الكتب العشرة وغيرها ، ولم يرفعه احد الى الرسول صلى الله عليه وسلم الا راو واحد ساء حفظه ، واختلط في آخر عمره ، وضعفه الائمة الحفاظ ، واجتنبوا الرواية عنه .

لقد تصيد الكاتب الاخبار الموضوعة والضعيفة ، مدعيا انها في كتب الصحاح ، ليشكك في الصحاح ويوهن اخبارها ، ويزعزع ثقة المسلمين فيما اجمعت الامة على صحته وعظيم مكانته ، وقد اثبتنا عدم صحة ما ادعاه ، وزيف ما افتراه ، ولن يؤخذ المسلمون بما يروجه اعداء الاسلام باسم الدفاع عن الدين ، ولو جاء بلسان عربي ، وباسم عربي ، وفي مجلة عربية .. وستبقى احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في قدسيتها وسمو مكانتها ما بقيت السموات والارض .

**الدكتور محمد عجاج الخطيب**

# رئيس جمعية القيم يتحدث :

## تعريب الأستاذ محمد البواب المصمودي

-2- *

ومن جهة اخرى فان القرآن الكريم يحرم علينا ان نقدس محمدا ( ص ) اكثر من ابراهيم وموسى وعيسى وباقي الانبياء ، وحتى المسلمون الذين يبالغون في التطرق فيفضلون نبينا ( ص ) على باقي الانبيـاء ، فانهم لا يذهبون الى حد اعتباره مشاركا ، بصفة او بأخرى ، في الطبيعة الربانية .

ان النبي — عندنا — بشر مثل البشر ، يذهب الى السوق ويتاجر ويرقع ثيابه ، يأكل ويتزوج ، يحب ويتالم مثل باقي البشر . قال تعالى : « وقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق ، لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا . » ( سورة الفرقان 7 ) . « وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلوا الطعام ويمشون في الاسواق . » ( الفرقان 20 ) . « قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون . » ( البقرة 136 ) .

ونفس فكرة المساواة بين الانبياء — ومن جملتهم محمد ( ص ) — توجد في الآية 82 من نفس السورة .

أما فكرتكم المتعلقة بنبيكم الذي تعتبرونه شخصا الاهيا، وفكرة التثليث فاننا مضطرون لرفضهما معا (1)

**س : أتسمحون لي بطرح سؤال في هذا الموضوع ؟ كثيرا ما سمعت مسلمين يتحدثون عن الثالوث المقدس، والفكرة التي لهم عنه بعيدة كل البعد عن مفهومه المسيحي . اذ أن المسيحيين موحدون مثل المسلمين واليهود ، وأود أن أعرف هل تفهمون التثليث — الذي لا تقبلونه — مثل ما يفهمه المسيحيون أم لا . وأريد أن أعرف من خلال هذا السؤال هل لكم المام بالطريقة التي يفهم بها المسيحيون التثليث ؟**

---

* انظر العدد العاشر من مجلة دعوة الحق — السنة الثامنة .

1) فكرة التثليث أو الثالوث تعتبر من الاسرار المسيحية الغامضة التي يصعب شرحها حتى للمسيحيين انفسهم وبالاحرى للمسلمين . ورجال الدين المسيحي كثيرا ما حاولوا ان يشرحوها ولو شرحا مبسطا لتقريب فهمها من الجمهور فعبروا عنها بما يلي : « ان الثالوث يحتوي : الاب والابن والروح المقدس ، الاب خالد ولا حد لكماله وعليائه ، ومن كماله وعليائه « خلق » الابن لانه كلمته ، لهذا فالابن خالد مثله . وبين الاب والابن توجد علاقات الحب التي تربطهما ، وهاته العلاقات أو الاواصر هي التي تسمى : الروح المقدس ، وهي خالدة ايضا .ومجمل الكلام : ان الالاه واحد بالنسبة للبشر ، وأحد الثلاثة بالنسبة للثالوث ، اي واحد في طبيعته والوهيته ، واحد الثلاثة بالنسبة لشخصه .
اما السيدة مريم فهي ام المسيح من الناحية الفيزيولوجية والبشرية فقط ، ولهذا فليست لها أية علاقة بالثالوث المقدس . ( المترجم ) .

ج : أظن أن نعم . لقد قرأت عدة كتب في الموضوع مثل : الكتاب المقدس ، التواريخ العامة للدين وتآليف رينان (2) وليون دنيس (3) والاب المبجل عبد الجليل(4) وأفهم المسيحية حق الفهم ، ولي فكرة صحيحة عنها ، ان المسيحيين يساوون بين الاشخاص الثلاثة الذين يكونون « التالوث » 1) الاب ( الله ) 2) الابن ( عيسى ) 3) الروح المقدس . وهذا الشخص الاخير مبهم وغير معرف كما يجب حتى في الموسوعات المسيحية نفسها .

اما في القرآن فان الروح المقدس هو الملك جبريل، وهو في مرتبة أعلى من مرتبة الانبياء كلهم ومن الملائكة اجمعين ، الا انه خادم متواضع لله تعالى الذي خلقه .

**س : حسب المفهوم المسيحي توجد ذاتية ربانية واحدة مع فرق في الاقانيم الالاهية . وهذا ، في الحقيقة، شيء غامض لا يفهمه الانسان ، أي الاه واحد مكون من ثلاثة اشخاص ، لكل منهم نفس الذاتية ونفس الالوهية.**

ج : اما نحن فلنا ذاتية الاهية واحدة في شخص واحد لا يشبهه أي مخلوق من مخلوقاته . اما قولكم : « الله خلق الانسان على صورته » فالاسلام لا يعترف بهذا القول ابدا . قال تعالى : « ليس كمثله شيء » ( الشورى 10 ) . والالاه عندنا رفيع المقام جدا ومتعال جدا عن كل مقارنة انسانية او دنيوية . وفي الحقيقة نعتبر أن ذاتية النبي ( ص ) يستهان بها أمام ذاتية الله تعالى . ولا يتطرق الشك الى اذهاننا في كون المسيحية الاصلية كانت تجهل كليا تاليه عيسى والتثليث . (5) اللذين استوردا من الهند . وهذه المسيحية الاصلية بقيت على قيد الحياة في ما يسمى بـ « بدعة آريوس » (6) التي حكمت عليها الكنيسة بالكفر. ولهذا فالتوحيد المطلق الذي لا يقبل التساهل هو الاسلام الذي لا يتوافق لا مع عبادة الاوثان ولا مع الشرك ولا حتى مع الغموض . وهذا التوحيد الذي يتنافى مع كل واسطة يعطى للانسان تكريما وتشريفا اكثر فتكثر مسؤولياته ويتوقد ضميره .

**س : أظن أنكم عرضتم القيم الاسلامية بما فيه الكفاية . وتعلمون أننا نجد الامم الاسلامية متأخرة عن الركب الحضاري ، ويمكن أن يكون مرد ذلك الى الانحطاط الذي تحدثم عنه . وهذا يضع مشاكل متعددة والان — باديء ذي بدء — أود أن أعرف رأيكم الخاص في العلاقات بين الدين والعلم ؟**

ج : انهما متكاملان ، يتمم أحدهما الاخر ، والدين الاسلامي هو الذي دفع العقل الى البحث ، والله هو الذي خلق الكون . والوازع الديني والعظمة الالاهية

---

2) ارنيست رينان Renan Ernest ( 1823 — 1892 ) مفكر فرنسي مشهور ، ولد في قرية ترجيي Tréguier الواقعة في شمال فرنسا . كان اديبا ومؤرخا ومفسرا . وتفسيره للانجيل يكتسي صبغة علمية ، لذى فهو يشبه الى حد ما الطنطاوي صاحب تفسير الجواهر للقرآن الكريم . له عدة مؤلفات من جملتها : مستقبل العلم L'Avenir de la Science ذكريات الطفولة Les Souvenirs d'enfance الكوارث الفلسفية : Les Drames philosophiques ولعل السيد المستجوب ( بالفتح ) يقصد اطلاعه على الكتب الاتية : اصول المسيحية Les Origines du Christianisme اصول التاريخ الاسرائلي Origines de l'Histoire d'Israël

3) ليون دنيس : Léon Denis أول أسقف ترأس الطقوس الدينية في كنيسة باريز في القرن الثالث الميلادي ، ولا زال رجال الدين المسيحي يحتفلون بموسمه في اليوم التاسع من اكتوبر كل سنة .(المترجم

4) السيد ابن عبد الجليل هو مغربي من عائلة محترمة بمدينة فاس ، كان قد تنصر في بداية الاحتلال الفرنسي بالمغرب ، ولكنه عاد الى الاسلام دينه ودين اجداده في بداية الاستقلال .

5) هذا المفهوم يعد من المفاهيم الاساسية التي نختلف فيها مع المسيحيين . ( المترجم )

6) آريوس Arius : من مواليد الاسكندرية ( 336 — 280 ) . كان أسقفا لكنيسة الاسكندرية ، وكان البابا يعتبره ملحدا ، لانه — في سنة 323 — ادخل تغيرات جوهرية على المسيحية الكلاسيكية حيث انه رفض مبدا التثليث ، وكان يقول بأن « الكلمة»جاءت من العدم ، وانها في مرتبة أدنى بكثير من علياء الله تعالى . وكان يعتبر ان المسيح نبي كامل ، ولكنه كان يرفض تاليهه فسخطت عليه الكنيسة الفاتيكانية وارادت ان تحاكمه في اجتماع عقد سنة325 م بمدينة نيقية (Nicée) بآسيا ، ولكن أباطرة القسطنطينية مثل Constance و Valens, دافعوا عنه دفاعا مستميتا ، فاكتفت المحكمة الكنيسية بالسخط عليه ، ولكن « بدعته » بقيت تصارع المسيحية حتى سنة 381 م حيث سددت لها محكمة القسطنطينية الضربة القاضية . (المترجم )

يدفعان الانسان الى درس الظواهر الطبيعية . وعند ما يخترع اكتشافا جديدا فذلك مدعاة الى عبادة الله تعالى مرة اخرى . والرسول عليه السلام كان يستحسن من المرء ان يدرس ويكتشف احسن من أن يقضي حياته في الصلاة .

**س : حسب فكرة النبي هذه ، ما المقصود من دراسة العلم ، هل مفهومه العصري الحديث أو الفقه أي علم اللاهوت ؟**

ج : ان المؤرخين الغربيين يتخيلون ان العلم عند المسلمين هو ديني دائما ، وهذا غلط . ولو كان هذا التخيل صحيحا ، فكيف تأتي للمسلمين اختراعات وابحاث مدهشة في ميادين الكيمياء والطب ... الخ . فكيف نستطيع — يا ترى — ان نفسر تعاطي العرب الى العلوم الدنيوية التي حققوا فيها تقدما هاما ؟ فدراسة العلم عند المسلمين تتمم دراسة الدين .

**س : يقال أحيانا أن المسلمين يومنون بالله كسبب رئيسي ، ولكنهم لا يقبلون الاسباب الثانوية الخاصة بالحوادث البشرية . والى هذا يرد القدر الجبري في الاسلام ، والى هذا أيضا ، يرجع سبب الانحطاط ، فما موقفكم من هذا الزعم ؟**

ج : انا شخصيا ، لا يعتريني الشك ابدا في ان كل شيء يأتي من الله ، وان الله تعالى لا يوافق على شيء في ملكه حتى يستحسنه ، والبشر لا يطلع الا على ما اراد الله ان يطلعهم عليه . وهذا سيدفعكم الى القول انه بما ان كل شيء يأتي من الله فليست هناك اسباب ثانوية ، وهذا ليس صحيحا ، حيث اشار القرآن الكريم الى وجوب اعتبار المجهود الانساني ، وأن من اللازم على المسلم ان يبذل المجهودات المستطاعة قبل ان يقول : انا لله وانا اليه راجعون . ولالقاء اضواء ساطعة على فكرتي هذه ، اليك مثالا من التاريخ الدنيوي : بعد معركة تنانبيرغ (7) Tannenberg سئل المارشال Von Hindenburg (8) عن ارتساماته الخاصة حول الانتصار الذي أحرزه فأجاب : « ان المانيا هيأت هذه الحرب بكل تفاصيلها الجزئية الدقيقة ، وقد فكرنا في كل شيء ونظرنا الى عواقبه ، قبل وقوعه ، ولكن الله تعالى اعطانا البدايات فقد احتفظ بالنهاية . »

لدى ، فعلى المسلم ان يعمل مجهوده ، وينظر في العواقب ، ويحاول اكتشاف وسبر اغوار كل شيء . عليه ان يعمل ، كأن الله لا يتدخل مطلقا ، ولكن عليه ان يعرف في نفس الوقت أن عمله هذا لا يدخل الا في نطاق القدرة البشرية ، وأن هناك قوة أخرى تتعدى هذه القدرة التي لا يستطيع تجاوزها .

**س : لهذا ، فانتم تقبلون الاسباب الثانوية في العلوم ، وأن الحوادث مرتبطة بعضها بالاخر ؟**

ج : ليس في هذا شك ، حيث أنه اذا لم تكن الحوادث مرتبطة فسوف لا يكون هناك علم ولا تقدم علمي .

**س : هذا المفهوم الذي تشرحونه الان، هل هو عام في الاسلام ؟ واذا كان كذلك ، فكيف نشأت فكرة القضاء والقدر التي تعزو كل شيء الى الله ؟**

ج : ان هذه الفكرة الخاطئة وهذا الاتكال مردهما الى الكسل الانساني . وهذا الكسل ليس خاصا بالعرب وحدهم ، بل نجد عند الفرنسيين والصينيين واليابانيين لذا ، فالانحطاط ناشيء من الانسان أما القواعد الربانية فهي ثابتة ان شرف روما دفع الرومانيين الى التضحية بأنفسهم في سبيل وطنهم فحققوا المعجزات التي لم تكن في الحسبان ، ولكن عند ما تراخى الروماني بعد النجاح الذي سبب البذخ والترف والكسل ... بدا الانحطاط . وبديهي ان الانسان لا يشعر بالانحطاط

---

7) تنانبيرغ Tannenberg اسم لقرية تقع في بروسيا الشرقية وقعت فيها معركتان شهيرتان : 1 — في سنة 1128 م حيث رجع فريق من الجنود الالمان الذين شاركوا في الحروب الصليبية ببيت المقدس فاستقروا في هذه القرية واتخذوها كقاعدة لنشر الثقافة الجرمانية في بروسيا ، ولكنهم انهزموا في حرب تعرف بهذا الاسم ، قام بها السكان الاصليون سنة 1410 م . ب ) في شهر غشت من سنة 1914 كتب لهذه القرية نفسها ان تشاهد معركة أخرى انتصر فيها الالمان على الروس . ومن المؤكد ان السيد المستجوب ( بالفتح ) يقصد المعركة الثانية . ( المترجم )

8) المارشال فون هندنبيرغ Von Hindenburg هو الماني الجنسية ، ولد في مدينة بوزن Posen ( 1847 — 1934 ) انتصر على الروس في معركة Tannenberg سنة 1914 . وأثناء الحرب العظمى قلدته الحكومة الالمانية منصب القائد العام للقوات الالمانية . وفي سنة 1925 اصبح رئيسا لمجلس الريخ الالماني ( المترجم )

عند وقوعه مباشرة ، ولكنه يشاهده عيانا عندما يصل الى النتائج الحتمية .

**س : والان ، ما هي نظرية الاسلام حول التقدم ؟**

ج : ارجو منكم أن توضحوا سؤالكم أكثر .

**س : تعلمون أن فكرة التطور تنتشر في الغرب بصورة مدهشة ، والغرب يبحث باستمرار من أجل تحقيق اختراعات جديدة في الحقل العلمي ، كي ينتفع بها في التطبيقات التقنية المتعددة . وهو يدعو الى فكرة تقدم مادي بلا حدود لانه ضروري ويخلق — في نفس الوقت — احتياجات تدفع الغرب الى السير دائما الى الامام في طريق اكتشافات جريئة اكثر فاكثر . والتقدم يمهد لحياة الانسان حتى تصير هنيئة مرية ، وحتى تصير الثروات موزعة كما ينبغي ... فهذا المفهوم الذي نعطيه للتقدم هل هو مطابق للاسلام أم لا ؟**

ج : طبعا نعم ، لكون الاسلام يساعد على التقدم ، ولا يقبل المفهوم فحسب بل يشجعه . والاية 29 من سورة البقرة التي ذكرناها سابقا تذكر أن الله جعل الانسان خليفة في الارض ، فعلى هذا الانسان أن يحقق المشاريع الهامة بحكم طبيعته كممثل لله في الارض، عليه أن يدرس ويشرح كل الظواهر ، ويحاول استكناه كل مبهم في سبيل الرفع من مستوى حاله . ولهذا السبب انشأ مسلموا القرون الاولى حضارة ليست روحانية فحسب بل مادية وتقنية أيضا . ففي المضمار التقني كان المسلمون متقدمين جدا على الغرب .

**س : تعلمون أن جميع الدول السائرة في طريق النمو تصبو الى تقدم يضاهي تطور الغرب . والقرآن ينادي بالتنظيم الاجتماعي ، فهل نستطيع أن نأخذ من القرآن مبادىء لهذا التنظيم الاجتماعي تساعده على السير في طريق التقدم ، أم أن هذه التنظيمات هي انسانية محضة عليها أن تعمل ما في مستطاعها لتجابه هذا التقدم ؟**

ج : القرآن الكريم يعطي جميع الافكار العامة لجميع المبادىء التي تعتور مجموع الحركات الانسانية ، ولكنه يترك للانسان عناية تطور هذه المبادىء واخذ النتائج منها . حقيقة أن الفلاسفة والمفتين ( الفقهاء ) الذين فسروا القرآن ، وبعض قادة الفكر الاسلامي يظنون بأن الانسان المفكر الاخلاقي الحكيم ليس في اشد الحاجة الى الهام الاهي . ففي داخل الانسان أنوار متعددة هي العقل والضمير اللذين يستطيع بهما الانسان الوصول الى كل شيء : كتحسين حالته وابداع كل ما من شأنه أن يرفع مستوى حياته المادية والفكرية والروحية . ولكن من ناحية الرحمة واللطف الربانيين،كون الله يعيننا ويزيد الالهام في وسائلنا الطبيعية . ولهذا ، فلا ينبغي لنا أن نبحث في الكتب المنزلة عن وسائل التعاليم العلمية والفلسفية التي تؤلف هيكل المظهر المادي لحضارتنا . والقرآن الكريم يحتوي توجيهات عامة أساسية للفت نظر الانسان وتوجيهه نحو تأمل الظواهر الطبيعية . فالقرآن تأليف روحاني وثقافي وسياسي واقتصادي واجتماعي لا يقتصر على علم اللاهوت والعبادة والطقوس الدينية والاحوال الشخصية ومشكلة وجود الله تعالى تحت الانسان نحو استقصاء مستفيض في المجال النفسي والفضائي والمواصلات اللاسلكية والوجدانيات قال تعالى : « يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ، ويحي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون ، ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة، ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون . ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين . ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ، ان في ذلك لايات لقوم يسمعون . ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها ، ان في ذلك لايات لقوم يعقلون . ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره ، ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون» ( سورة الروم : 18 — 24 ) .

وقال أيضا : « الم تر ان الله انزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء . » ( سورة فاطر : 27 — 28 ) .

وقال أيضا : « فلينظر الانسان مما خلق ، خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب ، انه على رجعه لقادر ... » ( سورة الطارق : 5 — 8 ) .

وقال أيضا : « وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم أفلا تبصرون . » ( سورة الذاريات : 19 — 21)

وقال أيضا : « أو لم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وعمروها اكثر مما عمروها . » ( سورة الروم : 8 ) .

وقال ايضا : « خلق السماوات والارض بالحق ، يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل ، وسخر الشمس والقمر ، كل يجري لاجل مسمى الا هو العزيز الغفار ، خلقكم من نفس واحدة ، ثم جعل منها زوجها وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج ، يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق ، في ظلمات ثلاث . ذالكم الله ربكم ، له الملك لا الاه الا هو فأنى تصرفون . » ( سورة الزمر : 4 — 6 ) .

وقال ايضا : « واذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات . » ( المجادلة : 11 )

وقال ايضا : « شهد الله انه لا الاه الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط . » ( سورة آل عمران : 17 )

وقال ايضا : « وقل رب زدني علما . » ( سورة طه : 114 ) .

وقال ايضا : « قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » ( سورة النمل 64 ) .

والقرآن الكريم يأمر الانسان ان يكون دائما حذرا من المغريات والظنون والاوهام ، ويدعوه الى التأمل والتبصر دائما . قال تعالى : « ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون » ( سورة الانعام : 117 ) .

وقال ايضا : « وما يتبع اكثرهم الا ظنا ، ان الظن لايغني من الحق شيئا . » ( سورة يونس : 36 )

وقال أيضا : « ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر ، وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون . »

وأخيرا هذه الآية الهامة التي تدعو الى التأمل الطويل والبحث الدقيق والتجربة والنقد حيث يقول سبحانه وتعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم ، ان السمع والبصر والفؤاد ، كل اولئك كان عنه مسؤولا . » ( سورة الاسراء : 36 ) .

**س : توجد في القرآن الكريم مجموعة من المبادىء والقوانين الاجتماعية ، فهل انزل الله هذه القوانين لتبقى سارية المفعول على مر الدهور والاعوام ، أو انزلها لسد حاجة اجتماعية مؤقتة مست اليها الضرورة في ظرف خاص ، فهل يمكن تغيير هذه القوانين لتتكيف مع الركب الانساني التطوري ؟**

ج : يوجد عدد لا بأس به من « المسلمين » الذين يصرون على ضرورة وجوب مراجعة النظر في بعض تعاليم القرآن واحكامه التي « لا » تساير العصر الذي نعيش فيه ، ويزعمون بأن هذه التعاليم اذا كانت صالحة لعصر ما فهي غير ملائمة لهذا العصر . ويظهر لي ان هذه النظرية غير مقبولة ابدا . وارد على اصحابها قائلا : « اذا كنتم مسلمين فهل تؤمنون بأن القرآن من تأليف النبي اي من انشاء بشري ، أم هو كتاب منزل من عند الله تبارك وتعالى ؟ فاذا كنتم تعتقدون انه من وحي الله تعالى ، وأن النبي ( ص ) لم يزد شيئا على املائه وشرحه ، وأن عظمة الله تعالى وعلمه لا يفرقان بين الماضي والحاضر والمستقبل . فكل ما أمرنا به الله يجب أن يخلد سرمديا لان الله عز وجل يعلم مصالحنا اكثر مما نعلمها نحن ، وهو يعلم الغيب ، ويتنبأ بالمستقبل وانه كان يعرف في عهد النبي ( ص ) ما سيقع في القرن العشرين ، كما انه لا يخفى عليه ما سيقع في القرن المائة . خذوا مثالا من العقوبات التي يجب تطبيقها على الزاني والنمام ومدمن الخمر والسارق : عقاب شديد رادع يشهده الجمهور ، وهو : مائة جلدة للاول وثمانون للثاني ، ومن اربعين الى ثمانين للثالث ( حسب الظروف ) واخيرا الرابع الذي يجب قطع يده . فهذا القصاص ثابت وخالد لا يبطل ابدا . وقطع اليد للسارق شيء يصدم الغربيين ، ولهذا فلا يجب النظر فقط الى القساوة في حد ذاتها ، المتجسمة في قطع عضو من الاعضاء ، بل يجب مراعاة النتائج التي سيسفر عنها هذا العمل ، حيث ان اللص الذي يعلم علم اليقين ان يده ستقطع اذا ما هو سرق ، فسوف يفقد الشجاعة الكافية للقيام بهذا العمل الاجرامي . وتعلمون أنه يوجد موظفون كبار يستغلون مناصبهم العالية لسرق الملايين ، فهل تظنون ان الخوف من السجن سيوقفهم عند حدهم ؟ أنا أؤكد لكم ان هؤلاء الموظفين الكبار لو علموا أنهم سيجازفون بقطع يدهم لترددوا وخافوا وتراجعوا .

**س : تعترفون بأن بعض المسلمين يفكرون في أن القوانين الاجتماعية الاسلامية — واترك جانبا القرآن الموحى — يمكن تطويرها ، ألا توجد في الاسلام مدرستان حول هذا الموضوع ؟**

ج : لا اظن هذا مطلقا ، لان المفسرين أكدوا أن القوانين ثابتة ، أما التنفيذ فهو قابل للتعديل . لنأخذ مثلا الخليفة عمر بن الخطاب ( ض ) الذي يرى انه لا يجب قطع يد السارق في وقت القحط والجذب ، لان الذي يسرق ابان المجاعة ، يفعل ذلك كي يأكل ، وهو مدفوع

الى هذا العمل للابقاء على الحياة . ولهذا يجب التفريق بين اللص الذي يسرق للمحافظة على وجوده وبين الذي يسرق لجمع الثروات وتكديسها أو ليتملص من الكد والاجهاد لانه لا يريد أن يعمل ، فهذا الاخير يستهل اقصى عقوبة مهما بلغت قساوتها ، وقد شاهد احد اصدقائي في مراكش رجلا خطف رغيفا من دكان وبدأ يلتهمه اثناء هروبه ، وقد القي عليه القبض وسيق الى السجن ولكنه أحد من الم الجوع ولو موقتا ، ذلك الجوع الذي كان ينهش بطنه (9) فلو كان الخليفة الثاني عمر حيا لما جعله في السجن .

**س : بعد قليل تحدثم عن الآيات المتشابهات وغير المتشابهات . ألا تعتقدون أن هذه الآيات المتشابهات قابلة للتطور والتغير أما الاخرى التي تحتضن المبادىء الاساسية فيجب أن تبقى ثابتة ولا تتغير ؟ (10) .**

ج : اذا كان الله تعالى قد نزل هذه الآيات المتشابهات فلانه يرى فيها مصلحة هامة ، ولان هذه الآيات المتشابهات مهمتها تغذية الضمير ، لان الضمير يتراخى اذا لم يكن هناك وازع ديني ولا مجهود انساني ، فهذه الآيات تذكر الانسان بضرورية القيام بالعمل الجدي لمعرفة الله تعالى ، ثم لان الله تعالى لا ينزل ابدا شيئا لا فائدة فيه .

**س : لقد قلتم سلفا أن الانسان لم يكن في حاجة الى وحي لان له عقلا وضميرا ، ألا نستطيع أن نقول انه بمفعول الثقافة والتربية تتحرر الشعوب وتصير في حل من الرجوع الى ما هو منزل ؟**

ج : هذا شيء يدهشني . لقد قلت لكم ايضا ان الله يعلم الحاضر والماضي والمستقبل ، ويعرف معرفة جيدة المخلوقات التي ابدعها ، فاذا كان قد انزل الكتب المقدسة فلكونه اعتبر ويعتبر ان البشر في حاجة دائمة اليها . وابان التنزيل كان المثقفون يكونون اقلية ضئيلة . واذا كان التعليم قد قطع اشواطا بعيدة المدى في وقتنا الحاضر ، فان ثقافة الاغلبية الساحقة من الناس يجب مراجعة النظر فيها أو اعادتها . ففي مجال الاخلاق ( التي تكفل العدالة والاخوة ) أرى أن ثقافة بدائية معززة بتربية دينية صحيحة تؤدي خدمات جلى الى الانسانية اكثر من التي تؤديها ثقافة عالية جامعية تتجه خاصة نحو المكاسب المادية وحب الشهرة والنفوذ .

**س : ألا يتطرق الى أذهاننا شك في أن بعض الذين يدرسون الكتب المنزلة يدرسونها لحاجة في نفوسهم ألا وهي التحكم في مصير الجماهير ؟**

ج : هذه اشياء حقيقية بالنسبة لبعض المؤسسات الدينية كالكنائس مثلا ، أما الاسلام فلا اثر للكنيسة فيه ، ولا يمكن لاحد مهما كان ان يقول لنا : « انا الذي امثل الدين لانني قاض أو مفتي أو امام » . ومن جهة اخرى فانني ضد «موضة» تعميم الملابس المتشابهة على «رجال الدين » ، ولا ادري لماذا لا يرتدون ملابس عادية مثلكم ومثلي ، فانا شخصيا اعظ دائما بثيابي العادية . اما الزهد والتصوف فقد انشا فينا اخيرا ما يشبه كنيسة مسلمة ، وهذا الحاد وبدعة ضد معنى القرآن ونصه. ويكفينا ان نعيد الى الذاكرة ان الاستعمار وجد في الزوايات والمزارات والاضرحة عضده الايمن ، لان الاقطاعيين يتفاهمون فيما بينهم ! حيث انه في ابان الاستعمار كان « رجال الطوائف » يستغلون الجاهلين والمتعصبين السذج . « وجمعية العلماء » قدمت خدمات جلى للجزائر والاسلام عند ما حاربت هذه البدع التي ما انزل الله بها من سلطان .

**س : والآن لننتقل الى سؤال آخر ، ما هي ايديولوجية القرآن ازاء المرأة ، هل هي متساوية مع الرجل ؟**

ج : للنساء نفس الحقوق والواجبات التي للرجل ، لكن طبيعة حال المراة تجعلها غير متساوية تماما مع الرجل . وستقولون لي بأن بعض النساء شغلن أو يشغلن نفس الوظائف التي يشغلها الرجل كبلقيس ملكة

---

(9) رغم تشككي في قصة هذه الحادثة فانني ادرجها وفاء للامانة العلمية ( المترجم ) .

(10) هذا السؤال والسؤال الذي يليه لم يلقهما السيد Paul Buttin مدير المجلة الفرنسية Confluent وانما الذي القاهما هو السيد التجاني الذي كان حاضرا اثناء الاستجواب .
والسيد التجاني من علماء الجزائر النطاحل يشغل منصب عميد كلية الآداب في الجامعة الجزائرية زيادة على عضويته في الهيئة التحريرية للمجلة الفرنسية المذكورة . ( المترجم )

سبا (11) وزنوبيا تدمر (12) وفكتوريا انجلترا (13) وكاترينا روسيا (14) والسيدة كوري (15) وسيمون دي بوفوار (16) ، ولكنهن شواذ يؤكدن القاعدة ، فلو كانت المرأة تساوي الرجل حقيقة في كل المسائل لحققت، هي نفسها ، هذه المساواة منذ ابد بعيد بالرغم من انف الرجل ودون ان تطلب معونته . أما عند الله ، فالمرأة متساوية مع الرجل في الاحكام ، ولكن توجد بينها وبين الرجل بعض الفروق الطبيعية التي تجعلها في مرتبة أدنى مرتبة الرجل ، وهذه الفروق الطبيعية ناتجة عن الفروق العقلية والنفسية التي خص الله بها كلا منهما . وهذا ما يفسر كون الله تعالى يعطي المسؤولية للرجل دون المرأة حيث لم تكن اية نبية من النساء ولو مريم التي يعتبرها القرآن اطهر امرأة عرفتها البشرية ، فعقلية المرأة لا تسمح لها باعطاء الدروس للرجل . ومن ناحية البنية الفيزيولوجية والبيولوجية لدماغ الرجل ، نرى ان له تكوينا اعلى مما هو عليه دماغ المرأة . ولست انا الذي أزعم هذا القول ، فالعلماء غير المسلمين هم الذين يؤيدون هذه الفكرة . وطبيعي ان هذه الفروق لا تمس لا بالحقوق ولا بالواجبات التي للمرأة وعليها . قال تعالى « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة . » ( سورة البقرة : 228 ) .

وقال ايضا : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم . » ( النساء : 34 )

وقال ايضا : « اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن ، وان كن أولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن ، فان أرضعن لكم فآتوهن اجورهن واتمروا بينكم بمعروف (الطلاق :6)

وقال ايضا : « يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها ، فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا . » ( الاحزاب 49 ) .

وقال ايضا : « واذا طلقتموا النساء فبلغن اجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ، ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ، ولا تتخذوا آيات الله هزؤا واذكروا نعمة الله عليكم ، وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به .» ( سورة البقرة : 230 )

وقال ايضا : « وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا ، اتاخذونه بهتانا واثما مبينا . » ( سورة النساء : 20 )

---

11) بلقيس اسم لملكة مشهورة كانت تحكم سبا، وكانت تعاصر النبي سليمان ، وقصتها مع هذا النبي مذكورة في القرآن والكتب المنزلة الاخرى مع بعض الاختلاف . ( المترجم ) .

12) زنوبيا تدمر Zenobie de Palmyre كانت زوجة للملك العربي اودنيات الذي كان يحكم تدمر ( سوريا ) . وفي سنة 267 م اغتالت زوجها واستولت على الحكم ، وقد تحسنت الاوضاع في عهدها حتى صارت تدمر عاصمة للشرق في تلك الفترة . لكن في سنة 273 م هجم على تدمر الامبراطور الروماني اوريليان Aurélien فاعتقل هذه الملكة التي بقيت في سجن روما حتى وافاها الاجل . ( المترجم )

13) الملكة فيكتوريا ( 1819 — 1901 ) ازدادت في لندن ، وتتوجت سنة 1837 وسنها 18 سنة . قامت باعمال جليلة لم ينسها التاريخ كعملها الهام من اجل التقارب الانجليزي الفرنسي ، وشهدت احتلال الهند ، حيث نودي بها امبراطورة على هذه البلاد سنة 1876 . ولكن في آخر حياتها شهدت الهزيمة في افريقيا في مقاطعة Transvaal التي كان الهولانديون قد احتلوها سنة 1836 ، وعندما اكتشفوا فيها الذهب هاجر اليها الانجليز فقامت معارك طاحنة ابان هاته الملكة ، دامت مدة سنتين ونصف . وفي سنة 1909 انضمت هذه المقاطعة الى ما يسمى باتحاد جنوب افريقيا . ( المترجم )

14) لعل المقصودة هي كاترينا الثانية ( 1729 — 1896 ) امبراطورية روسيا الشهيرة التي أخذت الملك بعد موت زوجها بطرس الثالث . واشتهرت بانتصاراتها على الاتراك وبعطفها على رجال العلم حيث كان قصرها مقر الفلاسفة والعلماء والادباء وبالاخص رجال الدين اليسوعيين الذين كانوا مضطهدين ابان حكم زوجها . ( المترجم ) .

15) هي السيدة ماري سكلودوفسكي ( 1867 — 1934 ) ولدت في فرسوفيا ، وتزوجت بالفيزيائي الفرنسي الشهير بيير كوري فحملت لقبه وتعاونت معه على اختراع الراديوم سنة 1899 ( المترجم )

16) كاتبة فرنسية معاصرة مشهورة بتتلمذها على الفيلسوف جان بول سارتر واعتناقها المذهب الوجودي البارز في كتاباتها . ( المترجم )

وقال أيضا : « لا جناح عليكم ان طلقتموا النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ، ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين ، وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا ان يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح ، وأن تعفو اقرب للتقوى ، ولا تنسوا الفضل بينكم . ان الله بما تعملون بصير . » ( البقرة : 336 — 337 ) .

وقال ايضا : « وللمطلقات متاع بالمعروف ، حقا على المتقين . » ( سورة البقرة : 241 ) .

وقال ايضا : « ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ، للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن . » ( سورة النساء : 32 )

**س : لي سؤال أخير وهو : كيف تفهمون العلاقات بين الاسلام والمسيحية لا فيما يخص النقط الرئيسية التي طرقتموها في مقدمة الاستجواب فحسب ، ولكن فيما يتعلق بموضوع نفسانية التفاضل . وبديهي أنه يوجد بين دينينا وجهات نظر مشتركة متعددة . وسأقتصر على المجال الديني تاركا مجالات العلاقة السياسية بين الشرق والغرب . فكيف تفهمون هذه العلاقات التي يجب أن تكون بين الاسلام والمسيحية ؟ ولا يخفى عليكم أن مجمع الفاتيكان يعمل جاهدا للتوصل الى وحدة بين الكاثوليكيين والبروتستانيين والارتوذوكسيين (17) ، وهناك اقتراح يستهدف انشاء سكرتيرية لا تهتم باتحاد المسيحيين فحسب ولكنها ترمي الى تحسين العلاقات بين المسيحية والديانات الاخرى وفي مقدمتها الاسلام . فهل تتقبلون قبولا حسنا فكرة انشاءهذه الكتابة الدائمة؟ وهل توافقون على المشاركة في حوار مع المسيحية ؟**

ج : من الان استطيع أن اجيبكم اجابة عامة : ان الاسلام يعتبر ان هناك هوة سحيقة جدا بينه وبين الشعوب الكافرة والملحدة . ولكن الامر يختلف بالنسبة للمسيحيين واليهود لان لهما — وبالاخص اليهود — مفاهيم قريبة من الاسلام . لان اصلنا الروحي واحد حيث اننا ننتمي جميعا لابراهيم عليه السلام . فاذا ما قبلنا ما يقوله « العهد القديم » نجد فيه أن المسيحيين يعتبرون انفسهم خلفا لليهود . اما نحن المسلمين ، فاننا نعتبر انفسنا سائرين على نهج اليهود والمسيحيين الاول والديانات الاخرى التي تقدمت هاتين الديانتين، فالاسلام لا ينتمي خاصة للنبي محمد ( ص ) لانه الديانة التي اوحى بها الله تعالى الى الانبياء كادريس ( الذي تسمونه Enoch, Hermès ) ونوح اللذين تقدما ابراهيم عليه السلام . قال تعالى :

« وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم ، وما جعل عليكم في الدين من حرج ، ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل ، وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس . » ( سورة الحج : 76 )

ان المسلمين يحترمون كل ما جاء في العهدين القديم والجديد الاصليين، اللهم الا فيما يخصتاليه عيسى والتالوث المقدس المذكور في الاناجيل الاربعة وكذلك

(17) انقسمت الكنيسة المسيحية على نفسها عدة مرات عبر التاريخ لعوامل متعددة ، فتكونت طوائف متعددة منها :

ا — الكاثوليكيون : وهم المسيحيون الاصليون الذين « يسيرون » على هدي المسيح ويحترمون سلطة البابا خليفة المسيح في الارض ، ويتبعونه في شكليات الطقوس الدينية وكيفية المراسيم الخاصة بحفلات التعميد والعقيقة والزواج والمآتم .

ب — البروتستانيون : هم المسيحيون الذين انفصلوا عن الكنيسة ايام « الاصلاح » La Réforme تحت تأثير دعاة مشهورين مثل : Luther, Calvin وغيرهما ممن ثاروا ضد البابا في قضية « صكوك الغفران» المشهورة . ينتشرون في المانيا وسويسرا والنرويج والدانمارك واميركا الشمالية .

ج — الاردتودوكسيون : او المسيحيون الشرقيون البيزنطيون ، انفصلوا عن الكنيسة الكاثوليكية سنة 1054 م تحت زعامة بطريق القسطنطينية ميخائيل كارولاريوس . وكنائسهم مستقلة تماما عن سلطة البابا . ويوجدون بكثرة في مختلف بلدان الشرق الادنى وبلاد البلقان واليونان والاتحاد السوفياتي . ( المترجم )

الترجمة السبعينية (18) Septante وما جاء فيها وبالأخص ما يتعلق بالعلاقات المتسافحة التي تزعمون أنها كانت بين النبي لوط عليه السلام وابنتيه وتستدلون على ذلك بسبب ابادة الرجال الذكور بعد تحطيم مدينة سادوم (19) . وكذلك الزعمة المراد بهـــا أن داوود وسليمان ابتعدا من الله في آخر حياتهما ..

فالقرآن الكريم نزل ليصحح هذه الاغلاط ويفند هذا التزوير والتلفيق والتحريف الذي وقع في هـــذه النصوص ، وليعود بنا الى ديانة ابراهيم الاصلية .

وأنا مستعد لان اتحدث مع الكفار والملحدين ، ولهذا فاني اقبل عن رضى وطيب خاطر ان اشارك في حوار بين اليهود والمسيحيين الذين يؤلفون معنا : أهل الكتاب .

ولكننا سوف لا نغتر بالامال الخادعــــة ، لان العلاقات بين الاسلام والمسيحية لا زالت تئن من جراء الحروب الصليبية التي وقعت في القرون الوسطـــى ، وكذلك اخراج العرب من الاندلس وأخيرا احتـــلال الاقطار الاسلامية في افريقيا وآسيا من طرف الانجليز والفرنسيين والاسبان والهولانديين والايطاليين .

ومن جهة اخرى ، فان الاحتلال التركي لم يترك اثرا حسنا في بلدان البلقان وأروبا الوسطى . وعلاوة على ذلك ، فان الالتزام الاستعماري جعل المستشرقين يحيدون عن الموضوعية العلمية : فاغلبية مؤلفـــات المستشرقين المتخصصين في الدراسات الاسلامية ــ التي بين أيدينا أو التي سمعنا عنها ــ لا تخرج عن اطار التعميمات والاحكام الجازفة المتهورة . ولا زالت كتـب هؤلاء مصطبغة بالخرافات الدينية والاوهام العقيمة .

فمن مصلحة المسيحيين أن يعيدوا النظر ويصححوا بعض النصوص .

أما العملية المعاكسة لهذه فلا مبرر لها . حيث انه يوجد في الشرق الادنى ملايين العرب المسيحيين ، منذ المسيح يرعون أدبا وفلسفة كلامية عربية في تمجـيد ديانتهم .

وفي اليوم الذي يمجد فيه اليهود والمسيحيون محمدا ( ص ) نفس التبجيل والاحترام الذين يكنهما المسلمون لموسى وعيسى عليهما السلام ، في هذا اليوم سيشرق عهد جديد في علاقات البشر والشعوب .

« انتهى »

---

18) السبعينية : Septante هي أشهر ترجمة يونانية للتوراة ، لا تزال تستعمل الى اليوم في الكنائس اليونانية . وهذا الاسم المطلق عليها مشتق من ظروف ترجمتها ، حيث ان اليهود لما التجأوا الى مصر تعلموا اللغة اليونانية التي كانت منتشرة بها آنذاك ، ثم رغبوا في ترجمة التوراة الى هذه اللـــغة فتكلفوا بهذه المهمة اثنين وسبعين مترجما كانوا يعملون تحت ارشاد بطليموس فيلادلفس سنة 283 ق.م فجاءت هذه الترجمة مليئة بالاغلاط والترهات التي ما انزل الله بها من سلطان. رحم الله حافظ ابراهيم اذ يقول في موضوع شبيه بهذا :

فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة  مشكلة الالوان مختلفات . ( المترجم )

19) مدينتي سدوم Sadome و Gomorrhe, مدينتان فلسطينيتان قديمتان ، كانتا تقعان على شاطىء بحر لوط ، يذكر الانجيل ان الله سبحانه وتعالى امطر عليهما نارا وجحيما بسبب آثام أهلها وخطاياهم . المترجم )



# الطلاق

## لا يحتاج الى حكم

للأستاذ:
محمد بن عبد العزيز الدباغ

لقد اثبت علماء التربية والاجتماع أن اساس المجتمع الفاضل لا يتأتى الا بايجاد اسرة فاضلة لان تأثير البيت فى التربية يلعب دورا اساسيا فى تهذيب النفوس وتليين الطباع وتوجيه الفرد توجيها صالحا ولا يتيسر ذلك الا اذا كانت العناية الكبرى موجهة الى تأسيس الاسرة الفاضلة واختيار العناصر التي تتكون منها فان الاطفال عندما يوجدون فى الحياة تتأثر غرائزهم بالمؤثرات التي توجههم بحيث لا يتكيف سلوكهم الا حسب ما يتلقونه ويشاهدونه فهم اسرع الكائنات الحية الى الاستفادة بالتجربة والتقليد ، اعينهم كآلات التقاط ونفوسهم كالمادة الخام تتشكل حسب القوالب التي تهيئها الاسرة .

وان اهم وسيلة للتأثير فى تربية الاطفال لا ترجع الى الوعظ والارشاد وانما تأتي عن طريق ممارسة الاعمال الصالحة فاذا استطاع البيت ان يحمل هذه الامانة فهو بيت صالح يؤدي دوره فى المجتمع ويشارك فى بناء الامة بدور فعال اما اذا كان البيت مضطربا لا تسوده الطمانينة ولا ترسي أركانه حياة استقرار فمعنى ذلك انه بيت منحرف يضر ولا ينفع ، يؤذي ولا يفيد ، يكون معولا هداما يؤدي الى انحلال المجتمع وتفسخه .

ان الطفل عندما ينشا فى اسرة ما يتهيأ بكل ما فيه من استعداد طبيعي لتلقي التربية من والديه وممن يعاشرهم من اخوة وخدم .

واخوف ما يخاف المربون أن يعيش الاطفال فى اضطراب نفسي او فى اهمال خلقي او فى تشرد وابعاد عن جو الاسرة الصالحة لذلك نجدهم يهتمون كثيرا ببعض المشاكل الاجتماعية التي قد تفضي الى خلل فى السير الطبيعي لنمو المجتمعات ومن بين هاته المشاكل مشكلة الطلاق لما ينتج عنه من ويلات اجتماعية لا نستطيع حصرها .

وقد تعددت الدراسات الفقهية والتربوية للعمل على التخفيف من وقوع الطلاق وما زال المهتمون بهذا الامر الى الان يفكرون فى حلول سليمة قد تختلف باختلاف البيئات وتتنوع بتنوع الاحوال ومن بين الحلول التي ارتآها بعض رجال الفقه التضييق على حرية الرجل فى ايقاع الطلاق فلا يقبل الا بعد رفع امره الى القاضي الذي يمحص الطلب ويدرسه فاذا رأى الاسباب واهية رفض الطلب واذا رآها معقولة اجازه .

ويرى أصحاب هذا الرأي أن هذه الوسيلة ستكون تخفيفا من وقوع الطلاق وتلافيا لكثير من آثاره السيئة التي تشوه المجتمع وتعوق تقدمه فكثير مما نرى من مظاهر التشرد وسوء التربية لا ياتي الا عن طريق هذا الحق الذي يتصرف فيه الرجل دون تدخل من القضاء ولهذا يجب أن يكون عنصر الحكم اساسيا فى قبول الطلاق او رفضه . وعلى هذا الرأي بنى المشرع التونسي حكم الطلاق فى المدونة التونسية للاحوال الشخصية .

ولكننا اذا ما حاولنا التعمق فى دراسة هذه المشكلة فاننا قد نرى أن النتائج التي نتوصل اليها عن طريق الحكم فى الطلاق لا تزيد الامر الا تعقيدا . فهذا التضييق يزيد المشكلة وبالا ويرهق المجتمع بكثير من المشاكل الجديدة التي سيكون مفعولها قويا فى تلاشي وحدتنا واضطراب أمرنا . فاذا أردنا حقيقة ان نفكر تفكيرا جديا فى حل هذه المشكلة الكبرى فلنبحث عن اسبابها الاقتصادية والاجتماعية والخلقية اما تحوير الحكم الشرعي الذي يجعل الطلاق لمن يملك الساق

فأمر تنطوي تحته شرور قد تنسف الاسس التي تنبني عليها الاسرة في الاسلام .

من الواجب على المهتمين بالدراسات الاسلامية او الدراسات الاجتماعية أن يعرفوا الحكمة الشرعية في جعل الطلاق بيد الزوج .

هذا الحق الذي خوله الله تبارك وتعالى للرجل لم يأت اعتباطا وانما كان لغاية اجتماعية كبرى مرجعها الى التفكير الذي سيوليه الرجل لتنفيذ هذا الحق فهو سيرهقه وسيؤدي به الى خسارات مادية ومعنوية فايقاع الطلاق يكلفه المتعة والنفقة والعمل على ايجاد صداق جديد اذا ما اراد التزوج مرة أخرى زيادة على أن مركزه الاجتماعي يصبح مهددا أمام الراي العام فتخشى كثير من الاسر مصاهرته خوفا من تجديد عمله . ولا ريب ان التفكير فيما سيلحقه قد يجنبه هذا الامر الفظيع ولا يقدم عليه الا اذا راى انه السبيل الوحيد لحل مشاكله وازالة ما بينه وبين زوجه من نفور .

ولما اباح الله تبارك وتعالى الطلاق جعله ابغض الحلال اليه ولم يترك للرجل الحرية المطلقة في استعمال هذا الحق في جميع الحالات ومنح للمراة حقوقا قد تكون من الموانع التي تمنع الزوج من الانسياق الى اهوائه فالحضانة حق للمراة او لامها اذا كان هناك مانع ثم تستمر الحضانة في درجات مختلفة ولا تبلغ الى الزوج الا بعد مراحل متعددة ولاشك ان هذا الحق قد يدفع الزوج الى التفكير في مصير أبنائه قبل الطلاق فلا يتجرأ على ايقاعه الا اذا اضطر الى ذلك .

فهناك اذن موانع نفسية واقتصادية وخلقية قد تجعل الزوج لا يتسرع في استغلال الحق الذي خول له ويمكننا ان نطمئن الى هذه الموانع دون أن نرهق الزوج بالرضوخ الى التقاضي في الطلاق فان استمرار الزواج تحت الضغط اضر على المجتمع من الطلاق فكيف نتصور الحياة في بيت بين رجل يطلب الطلاق وينتظر دوره في المحكمة وبين امراة تعاكس زوجها وتضايقه وقد تستطيع الاضرار به دون ان يستطيع اثباته ؟ ان هذا الانتظار قد يؤدي الى تشريد الاطفال والى العنت المزدوج والى الانتحار احيانا والى الانفصال الجسدي المضر بالمجتمع خلقيا وتربويا .

واذا كنا نعلم أن هناك اسبابا نفسية او اسبابا لا يستطيع الزوج اثباتها مع انه يؤمن بها ايمانا مطلقا لانه لاحظها وراها قبل نحرمه من حقه لانه لم يرد تلطيخ شرف الاسرة التي كان قد صاهرها او لانه عجز عن الحجة ؟ تصور رجلا راى زوجته بين احضان رجل يلاعبها وتلاعبه فغضب غضبا شديدا وهاجته غيرته وآثر مفارقة هاته الزوجة الخائنة فعزم على طلاقها فلم يقبل منه ذلك الا اذا ذكر للقاضي السبب والسبب قذف لا حجة له عليه فهو لا يستطيع ذكره وآنذاك لا يمكن اصدار الحكم بالطلاق ويحكم على الزوج باستمرار الحياة الزوجية الغير المرغوب فيها فيؤدي هذا الاكراه الى جرائم مختلفة ما كان احرانا ان نتجنبها لو تركنا للرجل حقه الطبيعي في اصدار الطلاق دون انتظار الحكم .

ان توقف الطلاق على اصدار حكم كما راينا لا يمكنه ان يحل المشكل وانما يتسبب في خلق اضرار اخرى

الحلول الصالحة للتخفيف من الطلاق لا تأتي عن طريق القسر وانما تأتي عن طريق الميل النفسي لتحقيق أوامر الله .

فأول ما يجب التفكير فيه تهييء الزواج الصالح الملائم فاذا استطعنا تحقيق هذا الزواج المرغوب فيه شرعا فان الطلاق الذي يراد به الاضرار بالمراة أو بالمجتمع يندر وجوده . قال النبي صلى الله عليه وسلم : « تنكح المراة لاربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك » وقال : « اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه الا تفعلوا تكن فتنة في الارض وفساد « كبير » .

اذن اذا وقع حسن الاختيار وعامل الرجل المراة بالحسنى وعاملت الزوجة زوجها بمثل ذلك ستقل كثير من المشاكل ولهذا اول ما يجب التفكير فيه لحل المشاكل الاجتماعية اعادة الثقة بالله في نفوس المواطنين والعمل على تربيتهم تربية دينية يوقنون بها بوجود الحساب الاخروى الذي ينال فيه كل ما قدمت يداه .

وقد قرن الله تبارك وتعالى وعده ووعيده دائما باحكامه ليطمئن الانسان اليها وليطبق روحها فلايستغلها لمصالحه الذاتية فللرجل مثلا حق الطلاق وحق المراجعة في الطلاق الرجعي ولكن الله عز وجل يقول : « واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فأمسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزؤا واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم » .

ان العدة كما ترى تربت للرجل ليفكر في الطلاق الذي أوقعه فان رأى فيه مصلحة أتمه وان ظن ان الخير

فى ارجاع المرأة فليرجعها انما الاساس الاول الـــذي يلتزمه الزوج هو عدم قصد الاضرار بها فمن لم يسر وفق شريعة الله فلينتظر العذاب الاوفى ومن امسـك المرأة للاعتداء عليها فقد ظلم نفسه . وهذا التهديـد للنفس المؤمنة بالله يدفع الانسان الى استعمال هذا الحق فيما فيه خير للبلاد والعباد .

وان الحكمة من العدة قد تبطل اذا ماجعلنا الطلاق متوقفا على الحكم لان العدة فرصة يمنحها الشرع للرجل ليفكر فيما فعل وهذا هو السر فى تطويلها فليس استبراء الرحم وحده العلة فى ذلك .

ومن الطبيعي ان الرجل الذي يوقع الطلاق دون حكم قد تكون الاسباب التي اوقع من اجلها الطـلاق واهية فاذا تأملها كفر عن ذنبه بارجاع الزوجة واعتذر لها وعاشا بعد ذلك عيشة راضية أما اذا لم يقع الطلاق الا بعد الحكم فان كثيرا من الاسرار ستفشى وكثيرا من الاتهامات ستختلق وسيؤدي ذلك الى خصومات عائلية بين الاصهار والاختان فاذا وقع الطلاق بعد كل هذا فانه يصعب على الرجل أمام الراي العام ارجاع زوجة افشى سرها أو أبان عيوبها فسيكون آنذاك الطلاق بالحكم تعطيلا للحكمة من التشريع الذي يجعل الطلاق بيـد الزوج والذي وضحنا فوائده فيما تقدم .

ولقد اثبت علم النفس أن الانسان عند زواجه يريد تحقيق ثلاث غرائز (1) اساسية فى تكوينه :

الغريزة الجنسية المتصلة بتحقيق لذته الجسمية .
الغريزة العاطفية التي تتجلى فى الحب .

غريزة الحنان التي تتجلى فى حب الاولاد والاسرة

وتتضمن هذه الغرائز قوله تعالى : « ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعـل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » .

والزواج السعيد هو الذي يستطيع تحقيق هذه الغرائز الثلاث فاذا ما وقع تنافر بين الزوجين بسبب عدم التوافق فى بعض الغرائز فان الرجل قد يستطيـع التغلب على نفسه فيضبطها ويلهيها بوسائل اخرى وقد لا يستطيع ذلك فلا يكون الحل السليم آنـــذاك الا بالطلاق .

وقد أحس الشرع الاسلامي بهذه الحقيقة العلمية التي اثبتها علم النفس لذلك استغلها فى تطبيق حـق الطلاق فاستمال الزوج عن طريق العاطفة حينا وعن طريق الغريزة الجنسية حينا آخر .

قال تعالى : « وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » وأما الجانب الجنسي فهو ظاهر فى تحريم الطـلاق فى حالتي الحيض والنفاس كان المرأة فى هذه الحالة قد تكون مضطربة أو قلقة أو بها مرض فلا تستطيع ضبط نفسـها فتكثر معارضتها لزوجها فينشأ خلاف يؤدي الى الطلاق وقد يكون الامر يرجع الى أن الشرع يحرم الاتصـــال الجنسي بالمرأة فى أيام حيضها لما فى ذلك مـــن الاذى فيكون الزوج أو الزوجة فى نزوة شهوانية فيؤدي ذلك الى اضطراب يؤدي الى فراق ولهذا أجبر الاسلام الزوج على مراجعة زوجته فى هذه الحالة الطارئة كمـــا فى حديث ابن عمر لان كثيرا من المشاكل قد تضمحل عند تحقيق بعض الغرائز الجنسية بين الزوج والزوجة .

ان هذه الوسائل الشرعية فى الحقيقة تخفف من الطلاق رغم أنها لا تتنافى مع غريزة الانسان وحقيقـة وجوده .

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم ينشـر تعاليمه القيمة بين صحابته حفظا على سلامة الاسرة من الانحلال حتى لا يتسرب اليها الشقاق فيؤدي الى الطلاق ومن اقوى تعاليمه قوله صلى الله عليه وسلم كما جاء فى صحيح البخاري : « اذا اطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلا » هذا الحديث يدل على أن الزوج يجب عليه ما أمكنه أن يبتعد عن بعض الاسباب التي تخلق الاضطراب داخل أسرته .

انه ان سافر وتغيب كثيرا عن زوجه ثم رجع ليلا دون أن يكون لها علم برجوعه فقد تضطرب أو تخاف أو لا تكون مستعدة له أو قد يساورها شك بأن زوجها لم يطرق بابها الا ليختبر عفتها فيكون ذلك سبـب انكسارها فتفسد العلاقات وقد تكون الحكمة غير ذلك ولكن لا تخرج عن الهدف الاصلاحي الذي يرجوه الشرع من حسن التآلف بين الزوجين .

ومما تقدم نلاحظ أن الغاية من العلاقات الزوجية ايجاد التفاهم بين الزوجين ومعاملة كل طرف للآخـر بالحسنى وليس فى جعل حق الطلاق للرجل اي ضير على المرأة مادام من المفروض أن تراعي حقوقها فاذا اخل الزوج بهاته الحقوق فان الشرع آنذاك اباح للمرأة ان تطالب

---

1) علم النفس الجنائي علما وعملا للاستاذ محمد فتحي بك . الجزء الاول صفحة 141 .

بالتطليق في مسائل ابرزها الفقهاء كالاضرار والعيب والغيبة والايلاء والاعسار بالنفقة وفي النشوز ايضا بعد ارسال الحكمين .

واختلفت آراء الفقهاء في تعليل هاته الاحكام بل ضيق بعضهم على المراة في المطالبة بالطلاق حين عجز الرجل على الانفاق فقال ابن حزم ان الاعسار بالنفقة لا يمكن ان نجعله موجبا للتطبيق فاذا عجز الزوج عن الانفاق فلينفق عوضه والده او ابنه ان كانا غنيين فان لم يوجدا او لميكونا غنيينفلننظرالىحالة الزوجةالمدعيةفاذا كانت غنية انفقت من مالها ولا تطالب زوجها بما انفقت اذا أيسر فان كانت المراة فقيرة أخذت من سهم الفقراء في بيت المال (1) .

ولا ريب أن راي ابن حزم انما هو حل موقت حتى يبحث الزوج عن عمل يكفيه شر الفقر والعجز والاتكال على الغير وفيه تخفيف من الاسباب الداعية الى الطلاق

وقد عمل بعض المشرعين في المغرب حين تدوين الاحوال الشخصية على تحجير الزوج في الحق الذي كان يتصرف فيه بكل حرية فحرموا الطلاق المعلق على فعل شيء أو تركه والطلاق باليمين والحرام وطلاق الغضبان الذي اشتد غضبه وطلاق السكران المتلىء سكرا وطلاق المكره (2) .

وهم في جل هذه الاحكام يرجعون الى اجتهادات أئمة مسلمين راوا في تضييق الحق تخفيفا من وقوع الطلاق

ان الاسلام كما لاحظنا لم يكن موقفه سلبيا حين جعل الطلاق بيد الرجل ولم يجعله بيد المراة وحينما جعله لا يتوقف على الحكم في اصداره الا اذا كانت المراة ترغب فيه فينظر القاضي في طلبها ويحقق ما فيه مصلحة الاسرة .

ان الطلاق في الاسلام حق منحه الله للرجل وينتقل هذا الحق الى القضاء اذا طلبت المراة ذلك في احوال خاصة قد تقدم تحليلها .

وما الحكمة من تشريع الطلاق الا الالتجاء اليه لحفظ كيان الاسرة واصلاح الفرد والمجتمع اذا تعذر ذلك عن طريق زواج قد فشل في تحقيق مهمته الاجتماعية والانسانية .

فاس **محمد بن عبد العزيز الدباغ**

---

1) المحلى الجزء العاشر عن كتاب ابن حزم للاستاذ محمد أبي زهرة صفحة 462 .
2) المواد 49 — 50 — 51 — 52 من مدونة الاحوال الشخصية المغربية . ثم الرجوع الى الجزء الرابع من كتاب « زاد المعاد ، في هدي خير العباد » لابن القيم الجوزي .



للأستاذ: الراجي التهامي الهاشمي

- 4 -

### القبيلـة الثالثـة
### ـ حميـــــر ـ

اما القبيلة الثالثة التي استعار منها القرءان الكريم الفاظا ، فهي حمير . وتاتي كما وصلت اليه في بحثي ، في الدرجة الثالثة بعد هذيـل وكنانة ، اذ تشـارك في القرءان الكريم بحصة مهمة بلغ تعدادها 26 لفظة .

ولا يعزب عن احد الفـرق الكبير الموجـود بين لغة حمير هذه ولغة قريش . قال الدكتور طه حسين في كتابه ( الادب الجاهلي ) : « ان هناك خـلافا قويا بين لغة حمير ( وهي العرب العاربة ) ، ولغة عدنان ( وهي العرب المستعربة ) . وقديما قال العالم اللغوي المشهور ابو عمرو بن العلاء : « ما لسـان حميـر بلساننـا ، ولا لغتهم بلغتنا » غير ان مثل هذا البحث ، ان كان مجد ، فقد يقودنا الى ابعد مما نريده ، وهو من جهة اخرى امر ءاخر لا يدخل فيما عزمنا على كتابته ، ولذا نتركه لغيرنا يخوض فيه . اما نحن فلنبحث في القرءان الكريم عن المفردات الحميرية ، نحـدد مكانها في الكتـاب العزيز ، ونحاول شرحها جهد المستطاع .

1 ـ « سيدا » في قوله تعالى : « فنادته الملائكـة وهو قائم يصلي في المحـراب ان الله يبشـرك بيحـى مصدقا بكلمـة من الله وسيـدا وحصـورا ونبيئـا من الصالحين » الاية 39 من سـورة ءال عمـران ، ومعناها « الحكيم » بلغة حمير .

وبما انها ليست قرشيـة قام اللغويون القدمـاء ، الذين كانوا لا يحبون ان يسمعوا ان مفردة من غيـر لغة قريش استعملت في القرءان ، يبحثون لها عن اوزان في اللغة القرشية الفصيحة وعند ما اعياهم البحث ولم يجدوا مبتغاهم ، قالوا كمـا قال اسماعيل ابن حمـاد الجوهري في قاموسه الصحاح : « لان تقدير سيد فعيل وهو مثل سري وسراة ، ولا نظيـر لهما » . وهو كـلام لا يقنعنا لانه لا يفيد شيئا .

ولا ادري هل كلمة « السيد » التي تعنـي المسن من المعز ، والتي اوردها النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف حين قال : « تني الضاءن خير من السيد من « المعز » اخـذت من السيد الحميريـة ام لا . ولا احب ان اوءول شيئا ما دامـت بحوثـي في هذا الباب لم تات بطائل بعد .

2 ـ لفظة « تفشلا » بسورة ءال عمران الايـة 122 ومعناها « تجبنا » والخطـاب موجـه الى طائفتيـن من المجاهدين وهما حيان من الانصار الاول بنو سلمة وهم ( الخزرج ) والثاني بنو الحارثة وهم ( من الاوس ) ، وكانا يمثلان جناحي جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يزيد عدده على الف مجاهـد . وكـان من بينهم المنافق عبد الله بن ابي الذي استطاع ان يوسوس في نفس بني سلمة وبني الحارثة ،وكاد ان يكرههم في الجهاد في سبيل الله لولا ان عزم الله لهم على الرشد .

واخرج الشيخان عن جابر عن عبد الله قال : «فينا نزلت في بني سلمة وبني حارثة ( اذ همت طائفتان منكم ان تفشـــــلا )

3 ـ كلمـة «سفاهة» في الاية 66 من سورة الاعراف ومعناها جنون في هذه اللغة . والحق سبحانه وتعالـى يشرحها اكثر في الاية اللاحقة اذ يقول : « قال يا قـوم

ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين » ليس بهذا النبي جنون ولكنه رسول حق وهداية وناصح امين. وهذه المادة مذكورة احدى عشرة مرة : خمسة في البقرة واحدة في النساء، واحدة في الانعام، ثلاثة في الاعراف، وواحدة في الجن.

ولا بد ان ابدي هنا ملاحظة عنت لي ، ارجو الله ان اكون موفقا فيها. اعتقد ان اصل هذه الكلمة الحميرية سفه بضم الفاء دون غيره ، ومن هنا يكون الفعل لازما لان فعل بالضم لا يكون متعديا ابدا. فيقال فيها سفه فلان اي جن.

واما سفه بالكسر فيكون اصلها السفه الذي هو ضد الحلم واصله الخفة والحركة وتكون قرشية.

والذي يعزز ما ذهبت اليه ما يذكره عرضا اللغويون القدماء في هذه الكلمة. فقد اجمعوا كلهم تقريبا على ان : « سفه فلان بالضم سفاها وسفاهة وسفه بالكسر سفها ، لغتان ، اي صار سفيها ».

4 ـ مفردة « زيلنا » الكائنة في سورة يونس الاية 28 ومعناها ميزنا بلغة حمير. وفي القرءان لفظة اخرى من مادتها وهي « تزيلوا » في الاية 25 من سورة الفتح : « لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما ».

5 ـ كلمة « مرجوا » في الاية : « قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اتنهانا ان نعبد ما يعبد ءاباوءنا واننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب. » الاية 62 من سورة هود. ومعناها بلغة حمير « حقيرا ».

واعتقد ان هذه الكلمة صادفت بشكل عرضي غريب اسم المفعول من فعل رجا.

والواقع ان سياق الكلمة الكريمة يستقيم بعض الشيء عند ما تعطى لهذه اللفظة المعنى الذي يحمله اسم المفعول من رجا. واليه ذهب الزمخشري في كتابه الكشاف (1) ولكنه وهو اللغوي البارع ، لاحظ ان الشرح بقي مغبونا ، فصار ياتي بالتاويلات علّه يعطي للاية الشريفة ما تستحق من بيان وتوضيح.

وهكذا اتى بثلاث تاويلات لهذه الكلمة : فقال في التاويل الاول ما مؤداه : « كانوا يرون فيه مخايل الخير » وقال في التاويل الثاني : « وكانوا يرجون الانتفاع به ، لكن انقطع رجاؤهم لما نطق بما نطق. به » اما التاويل الاول فقد رواه عن ابن عباس الذي فسر مرجوا بـ « فاضلا » و « خيرا ». واخيرا اولها بانهم كانوا يرجون ان يدخل في دينهم.

لكن تفسير الاية يستقيم تمام الاستقامة بما للفظة من معنى في لغة حمير. وعلم ذلك عند الله.

6 ـ لفظة « السقاية » الكائنة في الاية 70 من سورة يوسف « فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه ثم اذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون. » كما جاءت نفس هذه اللفظة في الاية 19 من سورة التوبة. ومعناها في لغة حمير الاناء مطلقا. لكن الشراح اولوها تاويلات طويلة ، فمنهم من شرحها بمشربة ، ومنهم من قال انها هي صواع الملك الذي تكلم عنه القرءان في الاية 72 من نفس السورة : « قالوا نفقد صواع الملك ، ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم » وقالوا انها هي المكوك الفارسية.

7 ـ لفظتا « حمأ مسنون » وقد وردتا ثلاث مرات في سورة الحجر في الايات 26 ، 28 ، 33. ولم تردا في مكان ءاخر من القرءان ، والحما بلغة حمير هو الطين ولعله الطين الاسود ، والمسنون المنتن المتغير.

ولقد ذهب الشراح هنا مذاهب مختلفة ، كل حسب اجتهاده ، ومداركه اللغوية ، فمن اراد التوسع رجع الى المطولات يجد ضالته.

والملاحظ هنا ان اللفظتين لم تردا ، في القرءان الكريم ، منفصلتين ابدا. وهذا يقوم دليلا قاطعا على ان الحمأ لا يكون الا مسنونا ، والمسنون لا يكون الا من حما ، واستعمالهما منفردتين خطا ، اعتقد ان اللغة العربية لا تسمح به.

8 ـ الكلمة « فسينغضون » في الاية « فسينغضون اليك رؤوسهم ويقولون متى هو ؟ » التي رقمها 51 من

1 ) الجزء الثاني صفحة 223 طبعة القاهرة سنة 1354.

سورة الاسراء . ومعناها « يحركون » بلغة حمير . ولم ترد هذه المفردة الا في هذه الاية ، ولهذا ندر جدا استعمالها في اللغة العربية .

9 ـ « مسطورا » في الاية 58 من سورة الاسراء ، ومعناها « مكتوبا » بهذه اللغة وما من شك ان الفعل المضارع يسطرون في الاية « ن والقلم وما يسطرون ، ما انت بنعمة ربك بمجنون » رقم 1 من سورة القلم هو من نفس المادة .

ولقد وردت لفظة مسطورا بهذه الصيغة في ءايتين اخريين هما :«والطور وكتاب مسطور في رق منشور ..» الاية 2 من سورة الطور . و « الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورا ... » الاية 6 من سورة الاحزاب .

10 ـ « حسبانا » في قوله تعالى : « فعسى ربي ان يوتيني خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء » الاية 40 من سورة الكهف . ومعناها بردا بلغه حمير . ولعل حسبانا الكائنة في الاية 96 من سورة الانعام من هذه اللغة ايضا .

11 ـ « عتيا » في الاية الكريمة رقم 8 : « قال رب انى يكون لي غلام وكانت امرا'تي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا .» في سورة مريم . ومعناها بلغة حمير نحولا. وهو فيما ذهب اليه اكثر الشراح نهاية السن التي يقدرها جلهم بمائة وعشرين سنة ، واصل هذه المفردة عند النحاة عتا كغزا فيكون اصلها واوا .

واغلبية العلماء على ان اصل « عتيا » عتوا ثم يذهبون في تحويل الواو ياء مذهبا غريبا ، فيقولون ان ضمة التاء انقلبت كسرة (2) ، وهذه الكسرة ادت الى تحويل الواو الاول في عتو ياء ليجانس كسرة التاء ثم تجتمع ياء وواو اخيره فتنقلب هذه الى ياء ثم يقع الادغــــام .

اما محمد بن السري النحوي فيقنن هذا الامر حين يقول : « وفعول اذا كانت جمعا فحقها القلب ، واذا كانت مصدرا فحقها التصحيح لان الجمع اثقل عندهم من الواحــــد » .

ولذا جاز ، ان يقول القرءان الكريم في سورة الفرقان الاية 25 : « لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا . لانه مصدر ، وبما انه مفرد اتى صحيحا .

وجاز له ان يقول في الاية 21 من سورة الملك : « بل لجو في عتو ونفور » .

لكنه قال في الاية «69» من سورة مريم : «ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا » . فكان حظه القلب لانه جمعا .

هذا من حيث تصريف الكلمة ، واما من حيث قراءتها فلا بد من كلمة ولو قصيرة في هذا الباب لانها ستبين لنا ان المفردة عند ما تكون دخيلة على لغة قريش، غير معروفة عندهم يقع في نطقها خلاف كبير مما يوءكد غرابتها من اللغة القريشية . يقول الزمخشري في كشافه (3) عند شرحه لهذه المفردة : « وقرا' بن وثاب وحمزة والكسائي بكسر العين وكذلك صليا وابن مسعود بفتحهما ، وقرا' ابى ومجاهد عسيا . » .

ويخيل الي ان الامام الزمخشري وهو من هو، لم يحقق في هذا الامر كما تعهد ذلك فيه . وانا مع ضعفي ، وضالة علمي ، وقصر معرفتي ، لا ارد ، وما انا بقادر ان ارد على جار الله ، وهو ما هو في هذا العلم ، وانما احببت ان ابدي للناس ملاحظة ، ظننت ، غفر الله لي ، انها على صواب ، وليس هذا طعنا يوجه الى الامام ، وما استطاع ان يطعن فيه حتى من كنت اتمنى ان اكون تلميذا له ، وليس هذا نقصا يمكن ان يوءخذ به الزمخشري وانما هو سهو ، او لعله على الاصح اغفال مقصود من السيد الموءلف خوفا من التطويل ورفقا لطيفا بالقراء .

اما نحن ، ومهمتنا الان الحديث عن الالفاظ الدخيلة على لغة قريش في القرءان الكريم فمطالبون بذكر ـ ولو من حين لحين ، القراءات المختلفة ، واوجه

---

2 ) ويذكر صاحب الصحاح صفحة 2418 وجها اخر لسبب كسر التاء فارجع اليه .
3 ) الطبعة المصرية سنة 1354 هجرية الجزء 2 صفحة 406 .

النطق بالمفردة اذ، من شان ذلك ان يلقي ضوءا على ما نحن بصدد تبيانه للناس، يقول الزمخشري : « ( وقرأ ) ابن مسعود بفتحهما لكن المشهور هو ان ابن مسعود لم يقراهما بالفتح فقط، وانما قراهما بالكسر ايضا (4) وقال الزمخشري : « وقرا ابي ومجاهد عسيا » لكن ابي بن كعب ومجاهد لم يقرا فقط «عسيا» وانما قراها ايضا عتيا بالكسر (5) كما ان الزمخشري اغفل قراءة ابن عباس الذي قراها ايضا عسيا وعتيا (6)

والغرض من كل هذا، هو ان نفهم ان نطق هذه المفردة لم يكن بالشيء البسيط، وانما نطق بها كل واحد من القراء حسب مداركه . ولعل ذلك عائد الى غرابتها .

12 ـ لفظة « ما رب » في قوله تعالى : « قال هي عصاي اتوكأ عليها واهش بها على غنمي ولي فيها ما رب اخرى . » الاية 18 من سورة طه، معناها بلغة حمير حاجات . وفي هذه الكلمة لغات لا شك انها كلها من اصل حميري، وهذه اللغات هي، ارب وارب وما ربة بضم الراء وما ربة بفتحها، وارية وهذه الكلمة الاخيرة هي الوحيدة من هذه اللغات، غير ما رب طبعا، التي استعملت في القرءان الكريم، في الاية 31 سورة النور في قوله : « او ما ملكت ايمانهن او التابعين غير اولي الاربة ... » والغالب على الظن ان الكلمة الحميرية ما رب هي الكلمة الاولى التي دخلت اللغة العربية الفصحة بدليل وجودها في مثل عربي قديم هو « ما ربة لا حفاوة »

13 ـ كلمة « غرام » في الاية 65 من سورة الفرقان، ومعناها بهذه اللغة بلاء، وكثيرا ما يشرحها المفسرون بالعذاب الملازم لان الغرام بلاء ملازم، وفي هذا المعنى استعمله الاعشى حين قال :

ان يعاقب يكن غراما وان يعـ
ـط جزيلا فانه لا يبالي

14 ـ لفظة « الصرح » في الاية 44 من سورة النمل : ومعناها بلغة حمير البيت . لكن الشراح يفسرون الكلمة معتمدين على القرائن لا على اصل المفردة، واعتقد انهم على حق ما داموا لم يبتعدوا عن المعنى الاجمالي الذي قصد اليه الحق سبحانه . وهكذا شرحها الامامان جلال الدين محمد بن احمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن ابن ابي بكر السيوطي بقولهما : « هو سطح من زجاج ابيض شفاف تحته ماء عذب جار فيه سمك اصطنعه سليمان لما قيل له ان ساقيها ( والكلام عن بلقيس ) وقدميها كقدمي الحمار . ويفسرها الزمخشري بقوله : « الصرح : القصر، وقيل صحن الدار ... » وجميع المفسرين على هذا .

15 ـ لفظة « انكر » في قوله تعالى : « واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير » الاية 19 من سورة لقمان . ومعناها بلغة حمير اقبح الاصوات .

16 ـ مفردة « بعلا » في الاية 125 من سورة الصافات ومعناها بلغة حمير الرب . وتجدر الاشارة هنا الى ان بعض الشراح ذكروا اصل هذه المفردة، ومن بينهم الزمخشري الذي قال : « البعل الرب بلغة اليمن (7) » ولكنهم يذهبون كلهم تقريبا الى تاويل اخر فيذكرون ان البعل كان علما لصنم من اصنامهم مصنوع من ذهب طوله عشرين ذراعا وله اربعة اوجه، وعينوا له اربعمائة سادن جعلوهم انبياءه، ومما زين لهم ذلك ان الشيطان كان يدخل جوفه ويكلمهم بشريعة الضلالة . ويذكرون ان مكان بعلبك بالشام هم المعنيون بهذه الايات . ويحسن ان انبه الى ان بعلا يوجد بمعنى الرب ايضا في لغة ازد شنوءة .

**اكادير ـ الراجي التهامي الهاشمي**

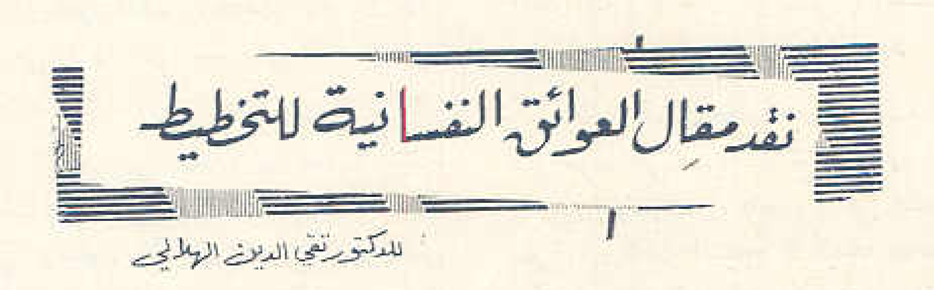
---

4 ) انظر كتاب المصاحف للحافظ ابي بكر عبد الله بن ابي داود سليمان ابن الاشعث السجستاني الذي حققه المستشرق (Arthur Jeffery) طبعة (Leiden E. J. Bull) 1937 صفحة 58

5 ) نفس المصدر صفحة 144 بالنسبة لابي بن كعب وصفحة 280 بالنسبة لمجاهد

6 ) نفس المصدر صفحة 201

7 ) الكشاف ـ نفس الطبعة السابقة صفحة 310 من الجزء الثالث




## - 12 -

**اقوال علماء المذهب الروحي وتجاربهم وشهادتهم :**

اعلموا ايها القراء الطالبون للحق ، البريئون من الغش ، الموفقون للحق ، انني مسلم لا احتج الا بكتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم في العقائد والاحكام والاداب ، ولكن من القواعد المسلمة في علم المناظرة ان ما يعتقده الخصم حجة عليه ، ولمخاصمه ان يحتج به عليه ، وان لم يعتقده هو . ولما سردت طائفة من شبهات الماديين وكررت عليها بالرد والنقض من طريق الماديين انفسهم واغلقت عليهم كل باب حتى صار كيدهم في تباب ، وانقشع عن المغتر بهم الضباب، بدا لي ان لا ازيد على ما تقدم من مراوغاتهم وحججهم الواهية ، ومغالطاتهم الواهنة ، لانها ظلمات يشبه بعضها بعضا ، والاكثار منها يفضي الى الملل ، وبدا لي ان اذكر طائفة من حجج اضدادهم الروحيين من اساطين العلم والمعرفة الذين رسخت في المعارف اقدامهم ، واصمت المخالفين سهامهم ، لتعلم هذه الضفادع التي تنق نقيقا ، وتوهم العامة ان جميع الباحثين والفلاسفة والمفكرين في اوربا وامريكا وصلوا الى عين اليقين انه لا شيء وراء المادة ، وان المتدينين انما يتمسكون باوهام وخيالات اكل عليها الدهر وشرب ، ومضى زمانها . فمن كان منهم يعرف الحقيقة فهو دجال مجرم خائن لوطنه ولابناء شعبه ، ومن كان يجهلها فهو مفتر كذاب عديم المروءة والشرف لا يستحي من نفسه ولا من الناس .

قال المحقق الاستاذ محمد فريد وجدي ما نصه : ان من يطلع على ما كتبه بعض علماء المادة في القرن الثامن عشر ومقدمة التاسع عشر يخيل له ان مستقبل الاعتقاد بوجود النفس والاخرة محفوف بالمخاطر ، وانه سيؤول الامر بالناس الى نبذ هاتين العقيدتين والتيقن بان المادة هي مصدر الحياة وموردها ، وان دار الثواب والعقاب ليست الا من موضوعات العقول البشرية . وفي الواقع اخذت هذه الفكرة السيئة تنتشر بين الطبقات المثقفة في اوربا انتشارا ادى كثيرا من الكتاب الى المجاهرة بها على رؤوس الاشهاد والمشافهة بها في كل ناد .

وكان العلماء المضادون لها من اهل الوجدان السليم ، قاصري الحجة امام اولئك الذين يصرحون بانهم لن يقبلوا نظرية في العلم الا اذا كانت مما تقبل الامتحان باحدى مشاعر الانسان . ولا مشاحة في انه لو كان الحال دام على ذلك المنوال لكان الامر آل اليوم الى فشو الالحاد دفعة واحدة ، وطروء اليأس على الافئدة البشرية من الحياة الخالدة . ولا يخفى ما كان ينبني عليه من الفساد الخلقي الذي هو ميكروب السل الاجتماعي ، ولكن خالق هذا الكون العالم بما سينتهي اليه حال الجمعية البشرية الضئيلة من الخلل والخطل من جراء ذلك المذهب المادي ، خلق بازاء هذه الحركة الشيطانية عقبة وقف امامها غطاريف المادة حيارى لا يحيرون جوابا ، ولا يرجعون .

وعزم من رأى تلك العقبة منهم على تطليق مذهب المادة بتاتا واقامة الادلة الحسية لاقرانه بانهم عن الحقيقة ضالون ، وان الروح لها وجود متميز عن الجسم ، وان الاخرة لا شك فيها . وما احسن ما كتبه

الدكتور الالماني الشهير ( كارل دوبرل ) في مجلة ( توكونفت ) الالمانية قال : « ان العلوم الطبيعية قد تجارت على نكران خلود النفس ، فعاقبها الله بان حكم عليها بان تكون هي نفسها التي تقيم على ذلك الخلود البرهان القاطع » .

ما هي تلك العقبة التي اصطدم بها مذهب المادة فارتد طرفه خاسئا وهو حسير ؟ هي ظهور طائفة الروحيين الذين يزعمون الاتصال بارواح الموتى ومكالمتهم ، ويعملون بواسطتهم من الخوارق ما لا يصدقه الا من كان على مرآى منهم ومسمع .

كاني ببعض القراء من ذوي الافكار الحادة ينكر علي ذلك ويعده من الخرافات التي لا تليق ان تسطر على صفحات الكتب ، اقول مهلا مهلا ، فترى ان اعضاء هذا المذهب الذين بلغوا الان نحو عشرين مليونا ليسوا الا من رجال العلوم الطبيعية والعقول النقية .

قال ( جان فينو ) : مدير مجلة ( المجلات ) بعد ان ذكر عدد الروحيين : ولنضف الى هذا صفة اشياع هذا المذهب . فهم اما علماء او اساتذة فنيون او اطباء او مهندسون . وقال في موضوع ءاخر : ونحن مع ثنائنا على الذين يريدون كشف اسرار المشعوذين منهم لا يجوز ان ننسى انه يوجد بجانب هؤلاء رجال اذكياء من الطبقة الاولى وذوو ذمم طاهرة لا يدلك فيها ، وكيماويون وطبيعيون وعلماء مثل ( كروكس ) و ( نير ) و ( ولاس ) و ( زلنر ) و ( اوليفييه ) و ( لودج ) و ( باريت ) و ( دومرجان ) و ( بوتليروف ) الخ .

ولا يصح ان يفرض ان هؤلاء الرجال يستعملون الغش والتدليس لانجاح الخرافات التي اهبطت كثيرا من العظمة الروحية . كما انه من الصعب ان تتهم هؤلاء العلماء بالسذاجة ، فان دقتهم الشديدة في التجارب العلمية اشهر من ان تذكر . اه

لما انتشر هذا المذهب بين علماء اوربا تالفت سنة 1869 جمعية من اكابر علماء لندن لفحص هذه الخوارق فحصا دقيقا علميا ، وكانت هذه الجمعية مركبة هكذا : ( جون لبك ) رئيسا لها و ( توما هكسلي ) اشهر علماء بريطانيا و ( لويس ) الفيسولوجي الطائر الصيت وكيلان لها . ومن اعضائها ( الفريد رسل ولاس ) و ( هونديد دارون ) الشهير وزميله ( مرجان ) رئيس الجمعية الرياضية و ( فارلي ) رئيس مهندسي شركات التلغراف و ( جان كوكس ) المشترع الفيلسوف و ( اكسون ) استاذ في كلية اكسفورد . الخ

فلما تكونت هذه الجمعية المهمة اشرأب الناس من كل صوب الى معرفة نتائج ابحاثها لعلمهم ان حكمها لا يقبل الاستئناف ، فاستمرت في الفحص الدقيق (18) شهرا ، وكانت النتيجة تاكيدها صحة تلك الاعمال ، وكتبت بذلك تقريرا مطولا منه هذه العبارة : ان اللجنة اقتصرت في تقريرها على الاعمال التي شاهدها كل الاعضاء مما كانت محسوسة لمشاعرهم ، وكانت صحتها مقترنة بالبرهان القاطع . ان اربعة اخماس الاعضاء ابتدأوا البحث ، وهم في اشد درجات الانكار لهذه الاشياء ، ومعتقدون قلبا وقالبا انها ليست الا نتيجة الغش او الوهم ، او بالاقل ، نتيجة العمل الاضطراري للاعصاب . ولكن بعد ان وضحت لهم هذه الاشياء وضوحا تاما في شروط نفت كل تلك الفروض ، وبعد تجارب دقيقة جدا تكررت مرارا لم ير هؤلاء الاعضاء المنكرون بدا من اعتقاد ان هذه الخوارق حقيقة رغم انفسهم . الخ

وهذا هو ( كروكس ) الطائر الصيت رئيس الجمعية الملكية البريطانية قد اكد في خطبته التي تلاها يوم توليه الرئاسة انه لم يزل كما كان منذ ثلاثين سنة ، يؤكد انه يعتقد بوجود قوة في الطبيعة متمتعة بعقل وارادة ومتميزة عن المادة .

وهذا هو الدكتور ( لمبروزو ) اشهر البحاثين في الجرائم بعد ما وصم في مؤلفاته الروحيين بالجنون اقر بغلطه . والف كتابا قال في ءاخره ناصحا لغيره : ولتحذر من ادعائنا دقة العقل واعتقاد ان كل الناس من قبيل المخرفين ، والظن باننا نحن فقط العلماء ، فان ذلك يوقعنا في الضلال .

وهذا هو الدكتور ( جورج سكستون ) الخطيب الانكليزي الشهير ، كان اقسى الناس قلبا ، وامض العلماء لسانا على هذا المذهب ، ثم حبب اليه ان يدرسه فاستمر في ذلك (15) سنة ثم انتهى امره باعتقاد صحته ، وصار الان من كبار اشياعه ومشيعيه وهذا هو الدكتور ( شمبير ) الشهير بعد ما كافح هذا المذهب مدة مديدة

فحصه واعتقد صحته ، وكتب اقراره بغلطه السابق في مجلة ( سبرتيوالي مكازين ) وكذلك كان حال الدكتور المشهور ( جمس جللي )

وقد تالفت جمعية في بريطانيا وامريكا تحت رئاسة الاستاذين الشهيرين ( هبزلوب ) عن امريكا والدكتور ( هودسن ) عن بريطانيا ، فاستمرت هذه الجمعية في الفحص والبحث نحوا من (12) سنة ، ثم اعلنت اخيرا في سنة 1899 انها قد اقتنعت بصحة تلك المشاهدات ، واعتقدت انها فعل ارواح الموتى .

وقد وردت في المجلة الروحية بعض من افكار رئيسي هذه الجمعية نترجم منها ما ياتي : قال الاستاذ ( هبزلوب ) اؤمل ان اثبت بعد مضي سنة للعالم اجمع براهين لا تحتمل شبهة انه يوجد حياة بعد هذه الحياة. ثم قال : وقد رأيت بعيني خوارق ومدهشات حقيقية ليست مشوبة للتدليس ولا للوهم .

وقال الاستاذ ( هودسن ) : العالم على وشك رؤية حوادث خطيرة جدا . فاؤمل بعد مضي سنتين او اقل ان اهدي للعالم اجمع تفسيرا جديدا لنواميس الحياة الانسانية ، ولهذه الديانة القديمة التي لا يمكن ان يعارضها دين ، ولا ان تصادمها طائفة من الطوائف . ثم قال : فيتضح كل شيء للنوع الانساني الذي يئن ويتالم من الشكوك ويتذبذب معها الى هنا وهناك . ثم قال: واذا كان الاستاذ ( هبزلوب ) قد اعلن انه تحادث مع ارواح الموتى ، فانه لم ينطق الا بحقيقة نقية . اه

ولما قابله احد مكاتبي الجرائد وساله عن سبب ايمانه اجابه قائلا : قد ابتدأت ابحاثي انا والاستاذ ( هبزلوب ) منذ (12) سنة ، وكنا ماديين دهريين لا نصدق بشيء مطلقا ، ولم يكن لنا الا غرض واحد ، وهو كشف الغش والتدليس ليس الا . اما اليوم وما ادراك ما اليوم، فاني اعتقد واجزم بامكان المحادثة مع ارواح الموتى وقد قام لي الدليل على هذا الامر ، بحيث لا اتصور ان يتطرق اليه الشك مطلقا .

وقد اشاعت بعض الجرائد يوما ان الاستاذ الفلكي الشهير ( كامل فلامريون ) قد ترك ما كان يعتقده في الارواح فقصده مكاتب ( الفيكاروا ) وحصلت بينهما هذه المحادثة :

الكاتب ـ نهارك سعيد يا حضرة الاستاذ ، ما الذي طرأ ، ولم رفضت مذهبك ؟

الاستاذ ـ اني لدهش من الاشاعات التي ذاعت بشاني منذ ايام ، فاني لم ارفض مذهبي مطلقا .

المكاتب ـ اذن هذا الامر كذب محض ؟

الاستاذ ـ يقينا ، فاني ادرس دائما هذه الظواهر الروحية،واني لمعتقد اكثر مما كنت باننا فيغايةالجهل باسرار هذا الوجود . ومع هذا فاني مشتغل منذ بضعة شهور بعمل كتاب سيظهر قريبا اسمه ( المجهول والمسائل الروحية ) وسأتكلم فيه بالخصوص على ظهور ارواح الموتى .

ثم انتقل بهم الكلام الى مسائل فلكية فقال الاستاذ ( كاميل ) : في هذه المناسبة اقول لك : انه توجد مسائل مهمة ( يعني الاسبرتزم ) يجب ان تدرس ، وهي اولى بالعناية من كل المسائل الفلكية ، وساستمر على درسها باستقلال وامانة .

قال الاستاذ (كروكس) الذي تولى رئاسة الجمعية الملكية العلمية البريطانية ، وهذا اللقب وحده يكفي في تعريف قيمته ، ويغني عن سائر الالقاب ، قال امام ( مئين ) من اقرانه في الجمعية في مناسبة الكلام على ( الاسبرتزم ) : انا لا اقول ، هذا ممكن ، بل اقول ، لكم ، انه حقيقة موجوده

وقال في كتابه المسمى ( الابحاث على الظواهر الروحية) الذي طبع عشرات المرات : وبما اني متحقق من صحة هذه الظواهر ، فمن الجبن الادبي ان ءابى الشهادة لها بحجة ان كتاباتي قد استهزأ بها المنتقدون وغيرهم ممن لا يعلمون شيئا في هذا الشأن ، ولا يستطيعون لما علقوه من الاوهام ان يحكموا عليها بانفسهم . اما انا فسأسرد بغاية الصراحة ما رايته بعيني وحققته بالتجارب المتكررة المدققة .

## تعليقات وتوضيحات

1 ـ قوله : **وكان العلماء المضادون لها من اهل الوجدان السليم قاصري الحجة ، الخ.** كذا الامر الذي كان واقعا في اوربا في القرن الثامن عشر بتاريخ النصارى وفي اوائل القرن التاسع عشر هو بعينه الواقع اليوم في الشعوب المتخلفة ، فان علماء الدين المومنين بما في كتاب الله وسنة رسوله (ص) من الملائكة والثواب والعقاب الاخرين ، ووحي الله الى رسله وغير ذلك مما وراء المادة اذا جاءهم معلم في المدرسة الابتدائية ، او طالب راسب في الثانوية يعرض عليهم اراء الملحدين من اهل القرن الثامن عشر ، فتصيبهم صدمة عظيمة لا قبل لهم بها ، ولم يطلعوا على الحجج التي تقضي على تلك الاراء وتزهقها . فمنهم من يغضب ويسب ذلك المعلم وذلك الطالب ويقوم من ذلك المكان، ويمتنع من الاكل معه ، ان جمعتهم وليمة او مادبة ويشنع على خصمه بانه كافر يجب ان يقتل ، فيبلغ بذلك المعترض مراده من اهانة ذلك الشيخ واضحاك السفهاء عليه،ويوهمهم انه جاءه بالبراهين التي لا يستطيع ردها، ولذلك لجأ الى الشتم والفرار ، فيضلهم بذلك ضلالا بعيدا .

ومن الشيوخ من يكظم غيظه فلا يزيد على الحوقلة والاسترجاع ويذم الزمان واهله ، ويقول لمن حوله : هذا اخر الزمان ، هذا هو الزمان الذي جاءت الاخبار التي ورد فيها ، سياتي على الناس زمان ، يكون فيه بطن الارض خيرا من ظهرها ، ويمر الحي على قبر الميت فيقول : ليتني صرت مكانك ، وهذا هو الزمان الذي جاء فيه الخبر ( اذا رأيت هوى متبعا ، وشحا مطاعا ، واعجاب كل ذي راي برايه ، فعليك بخويصة نفسك ، ودع امر العامة ) .

اقول : والاخبار الواردة في هذا المعنى بعضها واه ضعيف لا يثبت ، وبعضها ثابت ، ولكن عامة الشيوخ لم يفهموا معناه ، ولم يجمعوا بينه وبين الايات والاخبار التي تدل على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الجاهل ، وجهاد الكافرين والمنافقين ، والصبر على اذاهم . والذي يلقم اولئك الشياطين الفتانين الاحجار وياخذ منهم بالثار ، ويسل عليهم من الحجج السيف البتار ، حتى يلوذوا بالفرار ، هو التسلح بسلاح العلم الديني والعلم الكوني ، ومناهضة اولئك الجاهلين الفاتنين ، والقضاء على اباطيلهم بالحجج القاطعة ، والبراهين الساطعة ، حتى يخسأوا ويستبشر المومنون ويفرحوا بنصر الله .

ولما كنت في الهند رئيسا لاساتذة اللغة العربية في كلية ندوة العلماء ( بلكناو ) جاءني متفلسف لم يحصل من الفلسفة الا نصفها الثاني وهو السفه ، فقال لي : القرءان يقول : ان الله خلق الكواكب والنجوم زينة للسماء ، والزينة تحتاج الى اشكال هندسية مضبوطة الاقيسة كما نرى في الزرابي وفي الحدائق التي جعلت فيها الازهار على اشكال جميلة . اما الكواكب والنجوم فانها مبثوثة في السماء على غير نظام ، فصارت زينة المخلوق جميلة متقنة ، وزينة الخالق غير متقنة ولا منظمة . فقلت له : قولك ، انها مبثوثة على غير نظام لا نسلمه ، لاننا لا نرى الا بعضها بالعين المجردة ، وحتى باكبر منظار فقد ثبت عند علماء الفلك انهم لم يستطيعوا ان يدركوا نهايتها ، فكيف علمت انها مبثوثة بلا نظام ، وانت لا ترى الا جزءا قليلا منها .

ولو سلمنا انها في الواقع مجعولة على غير نظام ما جاز لنا ان ننفي انها زينة ، لاننا لو نثرنا لا لىء على بساط ازرق كيفما اتفق بدون ضبط لأبعادها لكانت زينة لذلك البساط بلا شك ، ولكان الناظر الى البساط المزين بها يفضله على البساط الخالي منها ، كاني بك تقول : ان تنظيمها يكون اجمل واكمل ، وهي ناشئة عن قدرة الله وصنعه المتصف بالكمال المطلق ، فكيف تجيء ناقصة . والجواب ان الله لم يخلقها للزينة وحدها ، بل خلقها كذلك ليهتدي الناس بها في ظلمات البر والبحر كما قال تعالى ( وبالنجم هم يهتدون ) ولاغراض اخرى يقصر عنها علمنا ، فضحك وقال لي : اني قصدت ان اغضبك كما اغضبت كثيرا من علمائنا بهذا السؤال ، فهل علماء العرب كلهم مثلك يقرعون الحجة ولا يغضبون ، فقلت له : انا لا استطيع ان احكم على علماء العرب كلهم ، ولكنني اعرف كثيرا منهم ، يسلكون طريق المناظرة وهم اكبت للعدو واهدى للصديق .

2 ـ قوله : **الذين يزعمون الاتصال بارواح الموتى ومكالمتهم الخ.** اعلم ايها القارىء العزيز انني لا اقصد بما نقلته هنا ان اثبت ما ادعوه من الاتصال بارواح الموتى او مكالمتهم ، فذلك ما لا علم لي به ،

وانما اريد ان اهدم ما بناه الجهال من بيوت العنكبوت التي اوهموا بها الناس ، ان جميع علماء اوربا وامريكا في هذا العصر نفاة معطلون ، وكما زعم ذو الريين الحبشي انه عن قريب سيقضي على الايمان بالله ولا يبقى له اثر في نفوس الناس ، وهذا كلام بال سرقه ممن سرقه من هكسلي واضرابه المكابرين . وانت ترى هنا جما غفيرا من علماء اوربا وامريكا ، بعد ما كانوا اشد الناس تكذيبا لما وراء المادة واقاموا سنين طويلة في البحث والتنقيب ليقهروا رجال الدين وعلماء الروح بدا لهم ما لم يكونوا يحتسبوه ، فاصبحوا اشد الناس ايمانا بالله واليوم الاخر والملائكة والكتب السماوية، فلا يستطيع الجاحدون ان يطعنوا في علمهم ، ولا في تحقيقهم ، ولا في اماناتهم، كما لا يستطيعون ان يتهموهم على كثرتهم بالشذوذ . على ان هؤلاء الضفادع اذا سالت احدهم من اين جاءك هذا العلم يقول : من فلان ، فاذا بحثت عنه تجده ضفدعا بشريا مثله ، ولتسمح جمعية الضفادع البشرية اذ استعملت هذا اللفظ في هذه الضفادع الضارة الحقيرة ، فاني لا اقصد تشبيهها بهم ، فانهم رجال يغوصون في البحار ويكتشفون اسرارها ودقائقها وينقذون الغرقى من الناس والقوارب والسفن.

اما هذه الضفادع ، فانها تسبح في بحور الجهل وتغرق معها الجهال ، ولا تنفع الناس بشيء .

وقوله : وقال ( كارلدوبرل ) في مجلة (توكونفت) الخ . اعلم ان لفظة ( توكونفت ) معناها باللغة الالمانية المستقبل ، ونستطيع ان نفهم من تسميتها بالمستقبل ، ومن كلام ذلك الاستاذ العظيم ان المستقبل للمؤمنين المثبتين لا للكافرين النفاة المعطلين ، قال تعالى : ( سنريهم اياتنا في الافاق ، وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ).

وساثبت هنا امرا شاهدته بعيني من امور الغيب ، وقد خاب من افترى . كنت مشارطا في دوار المغوالية من قبيلة حميان ، دائرة عين الصفرة بالجزائر ، وكان الفصل شتاء ، والثلج يكسو السهول فضلا عن الجبال والخيمة التي اعطاني اولئك القوم هي حصير منصوب على عمود قصير على قدر جلسة الانسان ، وفي اطرافه الاربعة قد ربطت اربعة اوتاد مثبتة في الارض ، وليس لي فراش ولا غطاء الا غرارتان باليتان قد خيطت احداهما بالاخرى ، فالهمني الله تعالى فحفرت قبرا في وسط الخيمة ، وعمقته حتى صار طرفه يستوي مع خاصرتي ، وجمعت نوعا من الحلفاء يسمى ( الضغة ) وملأته بها واوقفت الحلفاء الخشنة الى جوانب القبر، وحفرت الى جانب راسه حفرة بقدر عمق ذراعين ، واوصيت المسافرين الى المدن فاشتروا لي قديرة بقدر فوهة الحفرة ، فصرت التقط العيدان الصغيرة اليابسة من الحطب واملأ تلك القديرة بالثلج ، واضع العيدان في اسفل الحفرة واوقد فيها النار ، فيمتد لهبها الى اعلى ، ولكنه لا يكاد يتجاوز فم الحفرة ، واضع عليه القديرة ، وهي من الخزف ، فيذوب الثلج ويصير ماء فأتوضأ به ، واجلس على فم الحفرة ، وفي اسفلها الجمر ، فادفأ حتى اعرق ، واقوم للصلاة في جوف الليل ـ خارج الخيمة طبعا ـ وفي ذات ليلة بينما انا قائم اصلي اذ رايت غماما ابيض ، اسفله في الارض واعلاه في السماء قد سد الافق حتى لا يبصر شيء سواه ، وجاء من بعيد واخذ يدنو حتى لم يبق بيني وبينه الا بضعة امتار ، فخرج منه شخص عليه ثياب تشبه ثياب النساء ، ووقف غير بعيد مني واخذ يصلي بصلاتي كانني امامه، الا انه كان يخالفني قليلا في القبلة ، فلا ادري اينا كان مخطئا واينا كان مصيبا . وما ان ابصرته حتى اخذت ارتجف من الخوف ، وكنت اقرأ في سورة السجدة ، فخرجت منها الى سورة اخرى ، وايقنت انني من شدة الخوف لا استطيع ان اقرا السور الطوال التي فيها الايات المتشابهة ، فعمدت الى قراءة السور القصار التي لا احتاج في قراءتها الى احضار ذهني . وخطر ببالي ما يوصي به المتصوفة،وكنت اذ ذاك على طريقتهم، وهو قولهم : يجب على السائر الى الله تعالى ان لا يلتفت الى اي شيء يعرض له في طريقه، فلذلك لم ارد ان اكلمه ، فصلى معي ست ركعات ، اسلم بعد كل ركعتين ، فالتفت بالسلام عن يميني فيفعل هو مثل ما افعله ، فلما كنت في سجود الركعة السادسة دعوت الله، فقلت : يا رب ان كان في محادثة هذا الشخص لي خير فاجعله هو يكلمني والا فاصرفه عني ، فلما سلمت من تينك الركعتين قام فمشى متئدا حتى دخل في الغمام الذي كان ينتظره ، وبمجرد دخوله فيه واختفائه اخذ الغمام يتراجع ويبتعد حتى اختفى عن بصري .

فلما التقيت استاذي الاول الشيخ الصالح الرباني محمد سيدي بن حبيب الله رحمه الله حكيت له ذلك فقال لي : اظن ان ذلك شيطان ، اذ لو كان ملكا لما اصابك منه ذلك الخوف ، واعتقدت صحة هذا الجواب مدة طويلة من الزمان ، ثم بدا لي انه غير صحيح ، لان النبي (ص) لما جاءه جبريل وهو في غار حراء خاف منه خوفا شديدا . والى الان لا اعرف حقيقة ذلك الشخص .

وسيقول الضفدع المغتر بأقوال الماديين : حديث خرافة يا ام عمرو ، او يقول : انما استولى عليك الوهم والخيال ، فاقول على رسلك ايها الضفدع . فقد رأى العلماء المذكورون في هذا المقال من الخوارق اعظم بكثير مما رأيت انا ، وهيهات ان تستطيع تكذيبهم او نسبتهم الى التخيل والوهم . وقد اذكر في المقالات التالية بعض مشاهداتهم ان شاء الله .

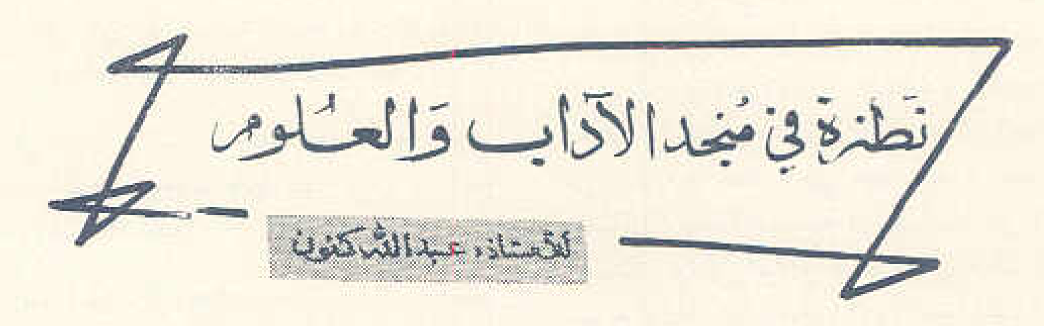
3 ـ قوله : ( سبرتبوالي ) معناه المجلة الروحية .
4 ـ قوله : ( سبرتزم ) معناه علم الارواح .

انتظروا المقال التالي لتطلعوا على نتائج اخرى وتقريرات لأشهر العلماء الباحثين ..

واختم هذا المقال باهداء اطيب الشكر وازكى التحيات للاستاذ الاديب النقاد السيد ادريس الكتاني على ذلك النقد النزيه الذي جاء في وزنه للجزء الثاني من السنة التاسعة لهذه المجلة الحافلة ، واخبر سيادته باني جمعت هذه المقالات ، ومقالات سابقة لها في هذا الموضوع ، نشرت تحت عنوان ( دواء الشاكين وقامع المشككين ) ودعوت وزارة الاوقاف الموقرة على صفحات هذه المجلة لنشر هذا الكتاب ، واكدت لها ان الناس في هذا الزمان في اشد الحاجة الى قراءته ، وان نشره في المجلة لا يسد حاجتهم ، ولا ازال انتظر وامل ان توفق وزارة الاوقاف الى القيام بهذا العمل . وبالله التوفيق .

**هم لها سابقون**

... فذرهم في غمرتهم حتى حين ، ايحسبون انما نمدهم به من مال ، وبنين ، نسارع لهم في الخيرات ، بل ، لا يشعرون ! . ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون ، والذين هم بآيات ربهم يومنون، والذين هم بربهم لا يشركون، والذين يوتون ما ءاتوا ، وقلوبهم وجلة ، انهم ، الى ربهم راجعون ، اولئك يسارعون في الخيرات ، وهم لها سابقون .
قرءان كريم




- 9 -

حـــرف الزاي :

221 في ص 231 ع ل تعريف بزال احـد ابطـال الشاهنامه الاسطوريين ، جاء فيه ما نصه : ( وقد اوحت الحكاية وحيهم للشعراء والمصورين الفـرس ) وهذا التعبير غير صحيح لان فيه عود الضمير على متاخر لفظا ورتبة وهو لا يجوز الا في مواضع معـدودة ليس هـذا منها ، فالصواب ان يقال : وقد اوحت الحكاية للشعراء والمصورين الفرس وحيهم .

222 ) في نفس المكان ذكر ( زاما ) على انهـا موضع في شمال افريقيـا القديمـة عنده هـزم القائـد الروماني سقيبيون الافريقي جيوش هنيبعل . والذي نلاحظه على هذا الكلام هو ان اسم ( زاما ) هو النطق الاجنبي لقرية جامه بالقطر التونسي التي وقعت عندها المعركة المذكورة ، فكان الاولى ذكرها باسمها العربي في حرف الجيم . ثم ان القائد شيبون هو في الحقيقة روماني وان كان يعرف بالافريقي فكان من المستحسن التنبيه على ذلك لئـلا يتناقض الوصفـان : الرومانـي والافريقي . اما هنيبعل ) فان تعريفه الشائع هو (حنيبعل) بالحاء لا بالهاء .

223 ) في ص 232 ع ل وقع ذكر (القضاء الزبداني) من بلاد الشام وضبط بسكـون الباء وهـو في المعروف بفتحهـــا .

224) في نفس العمود ذكر مدينة (زبيد اليمنيـة) وضبطها بضم ففتح على صيغة المصغر وهو خطـا فانهـا بفتح الزاي وكسر الباء ، والنسبة اليها ( زبيـدي ) ، ومن المنسوبين اليها الشيـخ مرتضـى الزبيدي شارح القاموس والاحياء ، وقد ذكره المنجد في العمود الثاني من هذه الصفحة وضبطه خطا بضم الزاي وفتح الباء ، وقد نبهنا عليه هنا تفاديا من تكثير اعداد هذه الملاحظات . ونقول ان هذه النسـبـة كثيـرا ما تختلـط على غير المحققين بالنسبة الى ( زبيد ) بالتصغير وهو ( ابو قبيل) من العرب فليعرف الفرق بينهما .

225 ) في ص 233 ع نى ترجمة للزجاج النحوي المعروف ، ذكر فيها ان له كتاب النحو ، مخطوط في القاهرة ولا نعرف للزجاج كتابا اسمه هكـذا كتـاب النحو ، وا نما المعروف له كتاب معاني القرءان وخلق الانسان وفعلت وافعلت وهذا مطبوع وغير ذلك .

226 ) في المكان نفسه تعريف بالزجاجي النحوي تلميذ الزجاج المذكور سابقا جاء فيه ان له كتـــاب الجمل في النحو .. مخطوط في برلين ، وقد طبـــع الجمل في الجزائر بعناية ابن شنب منذ اكثر من 30 سنة

227 ) وفيه ايضا ذكر الزجـر والعيافـة وضبـط العيافة بفتح العين وهي في منجد اللغة نفسه بكسرهـا فلعل الضبط من خطأ الطبع .

228) في ص 233 ع ل ترجمة لابن ابي زرع المؤرخ المغربي المعروف ، ذكر فيها ان من مؤلفاته الانيس المطرب .. وتاريخ مدينة فاس . وقد حذف من اسم الكتاب اللفظ الذي اشتهر به ولا يعرف بدونه وهو القرطاس ، والاسم الكامل للكتاب هو ( الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ) ، ولكنه اشتهر باسم القرطاس فقط

229 ) في العمود نفسه ترجمة للفقيه عبد الباقي الزرقاني وابنه المحدث محمد ضبط فيها الزرقاني بفتح الزاي والمعروف انه بالضم

230 ) وفيه ايضا ذكر جبال زرهون ولكن بادخال ال على اسم زرهون وهو معرفة بدونها .

231 ) وفيه كذلك تعريف بالشيخ زروق قال فيه انه ولد في تكرين ( طرابلس الغرب ) وهو خطأ فانه من مواليد مدينة فاس (المغرب الاقصى ) نعم توفي في تكرين المذكورة ، ولم يذكر له من المؤلفات الا الوظيفة الزروقية ، ومؤلفاته تعد بالعشرات .

232 ) في ع ني من نفس الصفحة ذكر بحر الزقاق واحال على جبل طارق . وقد تكلمنا عليه في حرف الجيم ، وهنا انما نريد ان تنبه على انه ضبط الزقاق بكسر الزاي وهو بضمها واحد الازقة اعني الطريق الضيق وقد اطلقه العرب على ما نسميه اليوم بمضيق جبل طارق .

233 ) وفيه ايضا تعريف بابن الزقاق الشاعر الاندلسي المعروف ، ضبط الزقاق فيها بكسر الزاي وهو بفتحها مع فتح القاف وتشديدها ، والزقاق بائع الزقاق بكسر الزاي وتخفيف القاف جمع زق وهو القربة

234 ) في ص 234 ع ل ذكر (الزلم واحد الازلام) اي السهام التي كانوا يتقسمون بها في الجاهلية ، وضبط بكسر الزاي وسكون اللام وهو بفتحتين ، زلم على وزن جبل .

235 ) في ع ني من الصفحة ذكر قبيلة زناتة المغربية وضبطها بفتح الزاي والمعروف فيها الكسر وعليه اقتصر في القاموس .

236 ) وفيه ايضا تعريف بابي الحسن بن زنباع من علماء المغرب وادبائه ، من اهل طنجة ، قال فيه انه من فقهاء الاندلس وهو غلط ، وضبطه بفتح الزاي، وزنباع في اسماء العرب بالكسر على وزن قنطار .

237 ) في ص 235 ع ل ذكر المسالة الزنبورية المشهورة ، وقال ان سيبويه والكسائي تناظرا فيها عند المامون ، والمعروف ان المناظرة كانت عند الامين والكسائي يومئذ معلمه ، وقال : انهما راجعا فيها اعرابيا من البادية فاخطا ( يعني خطا بتشديد الطاء ) الاعرابي الكسائي ، وهذا صحيح ان جرينا على الصواب في المسالة ، ولكن الواقع ان الاعرابي حكم للكسائي على سيبويه باغراء من رجال الامين تعصبا منهم لمعلمه

238 ) وفيه ايضا تعريف بابناء زهر الاطباء الاندلسيين المشهورين ، ابو مروان وابو العلاء وابو بكر ضبط فيه هذا الاسم بفتح الزاي وهو بضمها

239 ) في ع ني من الصفحة ذكر ابن شهاب الزهري من رجال الحديث واعلام التابعين وضبطه بفتح الزاي وهو بضمها لانه منسوب الى زهرة قريش التي منها ام النبي (ص) .

240 ) في ص 237 ع ني ذكر زويلة السودان وقال ان بها قبر دعبل الشاعر وضبطه بفتح الدال والباء بينهما عين ساكنة والمعروف فيه دعبل بكسر فسكون ثم كسر على ان قصة موت دعبل بزويلة ودفنه فيها غير مسلمة ولينظر معجم البلدان .

241 ) في ص 238 ع ني ذكر جامع الزيتونة البراني فقال بنته في تونس عطف ارملة المستنصر الحفصي (1283) خارج باب البحر .. هكذا .. ولم ادر كيف ذهب بالمؤلف عن ذكر جامع الزيتونة الاعظم الذي هو ثالث ثلاث جامعات اسلامية كبرى في العالم الاسلامي بالاضافة الى القرويين والازهر ، واقتصر على ذكر هذا الجامع الذي قل ان يعرفه احد؟ .

242 ) وفيه ذكر زيد بن الكيس النمري النسابة وضبط النمري بكسر الميم وهو بفتحها على القاعدة المعروفة في النسبة المشار اليها بقول ابن مالك في الالفية ( وفعل .. وفعل عينهما افتح ) الخ

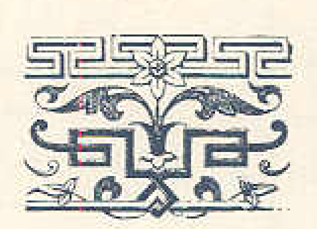
243) وفيه ايضا ترجمة لابن ابي زيد القيرواني قال فيها انه ينتسب الى نفزة وضبطها بفتح الفاء وهي بالسكون وقال لم يبق من مصنفاته الثلاثين الا الرسالة وقصيدة في مدح النبي ، وليس كذلك فان من مصنفاته الباقية كتاب النوادر وهو من اجلها ، واما القصيدة التي ذكرها فلا نعرفها

244 ) في 240 ع ل ذكر لزينب بنت جحش جعلت الحاء في اسمها هاء هكذا جهش وهو من خطا الترجمة كما لا يخفــــى .

245 ) وفيها ع ني ترجمة لابن الزيـات صاحـب كتاب ( التشوف الى رجال التصوف ) سماه فيها يونس وكناه بابي الحجاج وهو ابو يعقوب يوسف وسمي كتابه ( التصوف الى معرفة رجال التصـوف ) والصـواب في اسمه ما ذكرناه ، وعرفه بالزيـات وهـو يعرف بابن الزيات ، وقال ان كتابه مخطوط في فاس وهو قد طبع اخيرا في الرباط ، وهذا مما يمكن ان يفوته الاطلاع عليه فله العذر في ذلك .

246 ) وفيه ترجمة لابـي القاسـم الزياني ضبـط الزياني فيها بتشديد الياء وهو بالتخفيف نسبة الى قبيلة زيان بوزن بيان وهـي مما يخفـى على كثيرين ، فـلا يهتدون الى ضبط المنسوب اليها .

**طنجـة ــ عبـد الله كنـون**





# حج الأدباء

للدكتور زكي المحاسني

الا قاتل الله ابا نواس حين حج فراح يقول :

حججت وقلت حجت جنان
فيجمعنا واياها المسير

فلقد دخل هذا البيت في وساوس فكري ، وانا قائم بلباس الاحرام ، تحت رواق شاهق من مضارب الضيافة في بيداء عرفات ولم تكن الشمس لافحة هذا العام ، فكان رقراق من النسيم يترامى ليبهج الحج ويحمل اليه رفاهية الجو الذي كم الهب تحته الرؤوس .

جلست اترشف القهوة المذابة بحب الهال ، ثم لاعب بعدها كاسات الشاي ، يدخل علينا بها نادل سخي مؤتمر بامر سيده الوزير المضياف ، وحان موعد راحتي فدلفت الى خيمتي فاذا هي موقد تكثفت فيه اشعة الشمس من خلال الوانه الحمراء والخضراء ، وكان اشبه بمستحم تفصد فيه عرقي من عروقي ، فجوزيت بما اكثرت من كاسات الشاي ، ماء بللني

وكان يداعب خواطري الشعراء والادباء الذين حجوا قبلي ، فاخذت افكر بالشاعر الغزل عمر بن ابي ربيعة ، فاتمثل بصحبه وحشمه حاجا ، وقد نهض بلباس احرامه الابيض ، بض الوجه ، منسكب الزندين ، فارع القامة ، مثلما وصف نفسه ذلك الزير للنساء ، في جماله الذي كن يلحقنه اليه ، وكان عمر بن ابي ربيعة يحج ومعه صديقه وصفيه خالد الخريت الذي كان يسمى بينه بالحب ، وبين صويحباته ، وكان يقيس للقائهن ذراعاً، كلما قسن اصبعا ، ولقد جعلت اثلث بتلك الروايات من ملاحقة الشاعر في الحج لبنات عبد الملك وللغواني الاميرات ، ثم عكفت عليه بالتلوام ، وانا اسدر بنظراتي الى امواج الخيام البيض متراصة بعرفات ، كانهن مبتهلات برؤوسهن نحو السماء ، لقد عنفت على الشاعر الحجازي القديم في عصر بني امية ، كيف لها بالنساء والغزل والصيد عن داعية الوطن ، والهبة باهليه لحال افضل غير المكاسب يومئذ والراحة وانتظار مواسم الحجيج ، وقلت لو ان عمر بن ابي ربيعة انصرف عن النساء الى حياة الوطن وغياث الامة ، لكان للحجاز غير ذلك الشان في ظلال بني امية الذين افقدوه زعامته الفكرية ولم يستطيعوا ان يفقدوه زعامته الدينية .

وجلست اقضي نهاري بالتسبيح الديني وغالبني التسبيح الادبي ، فقلت هذه الابيات من شعري وانا اناجي الشاعر الخالد احمد شوقي شاعر القرن العشرين :

امير القوافي جئت بالشعر هاديا
وخلفت فيه الذكر لله شاديا
ابا شاعر الاسلام في نهج برده
تزملت حتى الحشر ريان حاليا
وسحت خلاق البرية حيثما
وجدت سنيات المعاني بواقيا
فهل عرف التاريخ في الله شاعرا
يضاهيك ؟ لا والله لم تلق ثانيا
فليتك جئت البيت تلق جماله
على مكة البطحاء بالخلد باديا
ومن حوله العباد بالوجد عكف
يناجون ربا للخليقة راعيا

اذن لكتبت الشعر في وحي (احمد)
وصغت الدراري في الزمان قوافيا

وانه لحق ، فلو ان (احمد شوقي) حج لاعطى دنيا العروبة والاسلام ءاثارا من شعره لا تفنى ، كما اعطى موطني العربي السوري من قصائده غرر شعره في وصف مباهج الشام ، والدخول الى دمشق ، ورسم نهر بردى ، وتصوير دمر والهامة ، وما فيهما من مناظر الجنات الخالدات لكان وصف مكة والبيت العتيق وجبالها المحيطة بها ، ولتغمر من زمزم حتى ارتوى ، ولجاء مسجد رسول الله صلوات الرحمن عليه سادرا في غيابة التوله والابتهال الالهي .

ثم انقلبنا في اليوم الثاني الى المزدلفة وحللنا بمنى : ومنى مدينة ضاحية فيها مبان ، ولها شارعان متسعان كبيران يحدق بهما جبلان متراميان قد ركبهما الحجاج بخيامهم ، وانحطوا على السفوح ، حتى دلفوا الى الشوارع .

وكانت رعاية القائمين على الحكم تبلغ حدود التفاني في خدمة الامم الحاجة ، وقد بلغت هذا العام ثلاثمائة الف عدا حجيج المواطنين ، رعاية ما شهد مثلها في السهر على ما يريح الحاج ويحفظ ماله وصحته . وفي مقدمة هؤلاء وزير الادب والفكر الاستاذ الكبير محمد عمر توفيق وزير الحج والاوقاف .

وحين اخذت اجول في شارع ( منى ) في زحام يوم الحشر ، امضي الى رمي الجمار مع وفود متراصة متسابقة الى رجم ابليس ، وحين بلغت في اشد التزاحم ، ذلك المكان من « جمرة العقبة » كادت تصيبني شظايا الحجارة المسماة بالجمرات ، وقد تراكض القوم بالجموع المسلمة لرمي الشيطان ، وفي قلب كل منهم غل عليه ، وقد رفه على ذلك الجهد الذي جهدته ذلك المساء صديق لي قال :

— زاحمت امراة مصرية حاجة بمنكبيها المكتنزين الجموع الحاشدة حتى بلغت مكان الرمي ، فقذفت الشيطان بحجر ذي حجم ، وهتفت به صائحة : ( يا ابن الكلب ، فرقت بيني وبين « حماد » خذها ..

فهوى الحجر الى جانب المرمى ، فصكه وارتد على جندي من الحراس فضرب جبينه ، فقال لها الجندي :

— وانا عملت لك اساءة حتى ترجميني ؟

وقد ءاثرت ايراد هذا القصص لادل على مبلغ الاعتقاد الديني في رمي الجمار .

ومضينا بعد الاقامة ( بمنى ) نشق قبيل منحدر الحجيج منها ، وقد سدوا الافاق بسياراتهم ومراكبهم الثقال ، فحصلت منتصف الليل لاطوف بالبيت العتيق واعيد الى مشاهدتي روعة ما اعتراني فيها اول مرة دلفت بها الى الحرم الاقدس اطالع الكعبة طلع الدهشة الغامرة والاعجاب الكبير .

لقد كنت اتهيأ صيف 1960 لدخول باريس ومعي احد ادبائها ، فقال لي :

— ستدهش حين ترى باريس ام بلاد العالم ، فان حقيقتها اكبر من حلمها

وحين دخلتها لم ادهش كثيرا ، اذ كنت عرفتها بالصور والمشاهدات التلفزيونية وفي السينما ، وتبينت احياءها في دليلها حتى كدت اسلكها وحدي بغير دليل ، وحين غمرتني مشاهدتها الاولى بذلك الصيف ، اكبرت هولها ، لكن حقيقتها لم تكن اروع من خيالها عندي .

اما الكعبة — زادها الله تعظيما وعمرها تشريفا — فانني عند ما قدمت على رحبتها ، وضمتني صحنها بالمرمر الملون وجدت حقيقتها اروع من خيالها في تصوري .

وليلة مجيئي من (منى) : طفت بها اشواطها السبعة في زحام رفيق ، وكان بين الطوفة والطوفة يدق كتفي رجلان يحملان على محفة عجوزا ابت الا ان تحج وهي مثقلة بالسنين والمرض ، ثم خرجنا الى السعي بين الصفا والمروة فاشهد انني وقد خطوت الخمسين خففت في السعي ، وكانني ابن عشرين ، انه لمشهد رهيب بافواج الساعين ذهابا من اليمين وعودا من اليسار ، والهين ، تائبين ، قانتين .

ولقد جعلت استعيد في بالي اقوالا من شعر دانتي صاحب الاهزولة التي صنعها لضفاف الجحيم وجعل الجحيم لها « مطهرا » ، الا انه لغاشم كبير ، فان الدين الاسلامي الحنيف جعل المطهر الحج من كل ذنب

حوب ، وهذا سر اقبال المسلمين من اشتات بقاع الدنيا على الحج ، ليغسلوا به كل ما كدر نفوسهم وليعيدوا تلك النفوس جديدة نقية من اكدار الحياة

ولقد كان قنوتي وايماني يفيضان علي احاسيس تفجرت في نفسي بانوار الايمان ، منذ حللت مكة هذا العام الجامعي ، مندوبا من وزارة التربية السورية للمحاضرة بالادب العربي والاسلامي في كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، فانتهزتها سانحة للحج ، فحججت ، ولقد عشت خلال هذه الشهور بين جبال مكة متوحدا متوجدا مثل راهب من رهبان الفكر ، ادير عند الصباح من مسكني عيني بهذه الجبال الملتفة وهي تحدق بمكة ، فاسالها على جفافها وجفائها :

— يالك من منازل انزلها اسماعيل ابوه ابراهيم في واد غير ذي زرع ، **كيف اطلعت زرعك ؟**

فكان صدى داخلي يحور خلال نفسي بصوت رهيب حينا ، وحنون تارات ، يقول :

— لقد اطلعت نبعا سقى الدنيا بشراب الخلود ، انا من مهادي درج محمد بن عبد الله رسول الاسلام – صلوات الرحمن عليه – .

ولكم شاقتني الينابيع الثرة منحدرة من جبال لبنان، او منسكبة من بردى ، نهر بلدي الحبيب ، فتشهت منها نقبات ، لم البث ان وجدتها في قلبي وعلى لساني من نبعة الرسول الحبيب . انني حين زرت مرقده الاعظم اطللت عليه من شباك نحاسي متوهج واطلت المكث في رحابه اقرأ له سورة الفاتحة ولصحبه الميامين الذين اعطوا دنيا الاسلام مجدا لا يزول الا مع زوال العالم ، وكانت زوجتي الكاتبة وداد سكاكيني تشاركني الزورة حين زرت مسجد الرسول قبل الحج بشهرين وقد جاءت مكة لايناسي اسبوعين فحسب .

وجلست بجانب ناسك من سدنة المسجد النبوي الاكرم فقلت له ما اسمك ايها الشيخ ؟

— اسمي عبد السلام .

— وكم عمرك في خدمة الرسول ؟ .

— منذ كنت طفلا وانا اليوم في الثمانين .

— والله لاذكرنك في كتاب من كتبي وهبت لمفارقة المدينة المنورة ، وقد كرمنا انا وزوجتي كبير وجوهها السري العظيم الاستاذ حبيب احمد محمود ورجال من ادبائها الصيد الميامين وقد كان بيت صعد من خاطري وانا اغادر المسجد قلت فيه :

ودنوت من جدث الرسول اضمه
واقول يا ويحي فكيف افارق

وعدت الى دنيا الادب التي اعيش فيها ، فاخذت اجاذب بالشعر عمر بن ابي ربيعة ، واسميه شاعر الحجيج ، واديب الطواف حيث كان يقول :

ولما قضينا من « منى » كل حاجة
ومسح بالاركان من هو ماسح
اخذنا باطراف الاحاديث بيننا
ولم يسأل الغادي الذي هو رائح

**الدكتور زكي المحاسني**






تقديـــــم :

**نظمت لجنة فاس الثقافية لمكتب التعريب التابع لجامعة الدول العربية يوم 12 مارس 1966 ندوة تحت عنوان : « الاسرة الفاضلة أساس المجتمع الفاضل » وشارك في هذه الندوة السادة : الحاج أحمد بناني ، محمد بن عبد العزيز الدباغ . حبيبة البورقادي ، قاسم الزهيري .**

**وقد أسهم هذا الاخير بالحديث الآتي :**

منذ تلقيت الدعوة الكريمة التي تفضلت بها لجنة فاس لمكتب التعريب طالبة مني الاسهام في هذه الندوة، وانا اسائل نفسي عن المعنى المقصود من الموضوع الجامع الذي جعلته اللجنة شعارا لهذا المنتدى ، وهو: الاسرة الفاضلة اساس المجتمع الفاضل . ماذا تعني بالاسرة الفاضلة ؟ ماذا تعني بالمجتمع الفاضل ؟ الالفاظ بسيطة الى ابعد حدود البساطة وخاصة منها كلمتي أسرة ومجتمع . لكن محط الاشكال هو كلمة فضل . ان معناها التحلي بالخلق الجميل . والتخلي عن الرذائل . وهي صفات قلما تجتمع لشخص حاشا الانبياء والمرسلين فان هي اجتمعت لشخص ، كان محل التقدير والاعجاب .

وعلى فرض ان الشاعر العربي الذي يقول :

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها
كفى المرء نبلا ان تعد معايبه

على فرض أن هذا الشاعر قد اخطأ ، وكان متشائما في تقديره لطبيعة البشر ، فوجد شخص اجتمعت فيه كل الفضائل فكيف يصح أن تجتمع في الاسرة كلها ؟ مع العلم بان الاسرة المتركبة من افراد عديدين قد يكون فيهم الصالح والطالح ، الرفيع والوضيع ، الكريم واللئيم ، الشجاع والمستخذي الى غير ذلك من الاضداد . اذا فرضنا جدلا أن اسرة بكاملها وهبت كل الفضائل ، فهي من الشواذ . فكيف يصح أن نجعل من هذا الافتراض الذي يندر وجوده اساسا لوجود مجتمع فاضل ؟

ثم هل سمعنا فيما سبقنا من الاجيال بمجتمع فاضل باتم معنى الكلمة ؟ وهل يوجد في عالمنا هذا مجتمع فاضل بالمعنى الذي يحتمله هذا اللفظ ؟ أخشى أن يكون الجواب سلبا . واخشى فوق هذا الا تصل البشرية في مسيرتها الطويلة الى هذا الكمال الذي نشا في خيال كثير من العبقريين من مصلحين وفلاسفة ومفكرين منذ فجر التاريخ الى يومنا هذا . ليس هذا مني ضربا من التشاؤم . ولكنه تقرير حقيقة تاريخية لم تتخلف ، وسأشير فيما بعد الى أن المجتمع الفاضل مجتمع مثالي تخيله الفكر البشري على ممر العصور، ولم يتحقق لحد الآن في مجال الواقع . وما دامت

البشرية هي هي ، بما ركز في طبعها من غرائز وشهوات ، وما وهبها القدر من ذكاء وحرية ومواهب غالبا ما تستعملها في غير حكمة وتدبر ، فستظل ابعد ما تكون عن تحقيق المجتمع الفاضل .

قد لا نطمع في الاسرة الفاضلة والمجتمع الفاضل بقدر ما يمكن أن نطمع في الفرد الصالح والمجتمع الصالح . واعني بالصالح من الافراد من يحسن التصرف في مواهبه العقلية ومكاسبه الشخصية ويستطيع كبح جماح غرائزه ونزواته وتوجيهها الوجهة التي تنفع المجموع ولا تضر أحدا . وما يقال في الفرد يصح ان يقال في المجتمع . لذا وللاعتبارات المتقدمة استسمحكم في جعل الفرد محور حديثي ثم التعقيب على ذلك بدور الاسرة في تكوين الفرد وبالتالي في تكوين المجتمع الصالح . وبذلك نكون على وفاق مع ما وصل اليه الفكر في علم الاحياء والاجتماع وعلم النفس .

ان الفرد — بخلاف الاسرة — وحدة قائمة الذات بالتفكير والوجدان. والمجتمع يعلو ويسفل ويرتقي وينحط على نسبة الافراد الصالحين فيه وسلوكهم الشخصي والجماعي ، لا بما يتوفرون عليه من فضائل ذاتية فحسب . ما من شك ان هذه الفضائل ترفع من قيمة المجتمع ، لكن المهم هي الخصائص الموضوعية ، هي نوعية الروابط التي تصل بين الافراد بعضهم ببعض ، وتصل كلا منهم بمجتمعه ، هي ما يؤديه كل واحد لصالح المجموع .

ان الداعي لعقد هذه الندوة — بدون شك — هو ما يحس به المنظمون لها من قلق فكري في وسط المجتمع ، وتفكك في أواصر العائلة ، وما يتطلعون اليه من راب الصدع والبحث عن علاج الادواء الاجتماعية . ان مجتمعنا — كباقي المجتمعات المتخلفة — يعاني أزمة .. وتعاني الفئة الواعية فيه بالاخص الحيرة والقلق . تشاهد تحولا سريعا .. وتقدما مطردا في البلاد الاخرى بينما ركودا او تغيرا بطيئا في وسطها.. تعيش في خضم متلاطم من الآراء والمذاهب الفكرية والاجتماعية .. « يسود نفوسها قلق مبعثه — كما يقول الاستاذ توفيق الحكيم — هذا الاضطراب في ميزان التعادل بين العقل والقلب ، بين الفكر والايمان » . فينشأ عند الفئة الواعية من جيلنا هذا نوع من العقد النفسية يفضي بها الى السخط والتمرد .

انها حالة عرفتها كافة البلاد التي اتصلت حضارتها المبنية على الاسس الزراعية العتيقة مع أسباب الحضارة الصناعية الحديثة ، أما عن طريق الغزو الاجنبي أو عن طريق تسرب افكاره تبعا لتقدم وسائل الاتصال . ثم ان ما نشاهده من بون شاسع بين المجتمعات التي استكملت تطورها وبين مجتمعاتنا التي تشكو مرارة التخلف ونريد لها ان تلحق بالركب الحضاري يزيد في حدة هذه الازمة . لقد كان للغزو الاجنبي وما حمله الينا من مظاهر حضارته سواء منها المادية او الفكرية اثره في تفكك روابط الاسرة والمجتمع، دون أن نهتدي الى بديل عن الاسلوب الذي كانت الاجيال السابقة تعيش على منواله وكانت راضية به. فنحن نعاني أزمة وستبقى كذلك ما لم نتوفق الى أسلوب جديد .

ان الانتقال الحضاري السريع الذي يستحثنا من جميع الجوانب ، وما يبطنه من مذاهب وتيارات في السياسة والاجتماع والاقتصاد قد أثر الى حد بعيد في تفكيرنا ونظرتنا الى قيمنا الروحية وتقاليدنا الاجتماعية . خامر الشك الفئة الواعية في قيمة هذه التقاليد وتلك القيم ، ثم تحول الشك الى استخفاف وسخط وتلهف الى استبدالها . اضحى الشباب الواعي ممزق الفؤاد بين قديم لم يعد له أي وزن في اعتباره وجديد يتطلع اليه ولا يدركه .. بين مثل شب عليها وآراء جديدة تلح عليه من كل جانب . ومن ثم كان ما نلحظه من فراغ فكري ، وانحلال في العلاقات الفردية والعائلية والاجتماعية . فلا مجتمعنا استطاع تفادي هذا التفكك ، ولا شبابنا اهتدى لملء فراغه الفكري . بل نرى بعضه يملأه بما تصل اليه يده من المتع الدانية والشهوات الرخيصة يقتل بها الوقت الذي يئن تحت وطأته .

ظاهرة اجتماعية في منتهى الصعوبة بالنسبة للمراهقين خاصة .. يتحسر لها أولياء أمورهم ولا يستطيعون لها حيلة . وستظل هذه الظاهرة قائمة ما دام الوضع الانتقالي بين القديم والجديد وما دام المجتمع لم يهتد الى نقطة توازن يرتكز عليها . ولعله طور مرت منه كافة المجتمعات البشرية في مدارج رقيها . وهو ما حدا ببعض المفكرين الاجتماعيين الى التحليل والقاء الاضواء الكاشفة على مجتمعاتهم ، واقتراح انواع جديدة من الترابط الاجتماعي ، من امثال ابن خلدون واوغوسط كونط ودور كايم وكارل ماركس دون ان ننسى جان جاك روسو ، على ما بينهم من فروق في التفكير وما اصطبغت به اعمالهم من خصائص كان للتطورات الاجتماعية أثر كبير فيها . ولعل تلك الظاهرة الاجتماعية هي التي الهمت بعض المفكرين والفلاسفة

الذين أشاروا بنموذج جديد لما أسموه بالمجتمع الفاضل . واذا كانت دراسات علماء الاجتماع قد اعانت في تقدم المجتمع البشري ، فقد ظلت الآثار الفكرية لهؤلاء الفلاسفة حلما من عهد افلاطون — أي منذ 2.500 سنة — الى عهدنا هذا .

فلنقف قليلا عند المجتمع الفاضل الذي كان ولا يزال حلما براود اذهان بعض العبقريين فبعد ما اتخذ شكله الاول في جمهورية افلاطون ، تجلى منذ ازيد من الف سنة في « آراء اهل المدينة الفاضلة » للمعلم الثاني ابي النصر محمد الفارابي . ثم في « الاوطوبيا » للمفكر الانجليزي سير طوماس مور في القرن السادس عشر . وطلع في حلة جديدة في عصرنا هذا في كتاب « العودة الى عالم جرىء » للكاتب الانجليزي الدوس هوكسلي وفي « مستقبل الانسان » لطيلار دوشارد ان ، وان كان هذا المفكر ان امس بالواقع . وقد اجتزانا بذكر هؤلاء العبقريين دون غيرهم على سبيل الاختصار . والاوطوبيا او المدينة الفاضلة — كما تخيلها سير طوماس مور — جزيرة مثالية يعيش فيها الانسان في سعادة وانسجام اجتماعي كامل . وقد أصبحت كلمة أوطوبيا علما على كل مجتمع مثالي يخلقه خيال الفلاسفة . غير أن هذا المجتمع الذي يمحي فيه الالم والجشع والاستغلال ، هذا المجتمع بدون طبقات لم تصل اليه الانسانية بعد.

فحري بنا اذن أن نرجع الى الواقع .. ان نرجع الى مجتمعنا البشري كما هو .. على علاته . وبدلا من ان نستلهم الاوطوبيين من ذوي الفكر المبدع الخلاق ، يلزم أن نلتفت الى الحصيلة التي اشترك علماء الاجتماع وغيرهم في بلوغها بالبحث التجريبي ، واستفاد منها القادة والرواد في تنظيم مجتمعاتهم والنهوض بها في مدارج الرقي . كما استفاد منها الافراد في تهذيب نفوسهم وتقويم طباعهم لجعلها متناغمة مع الشعور العام . ليس بدعا .. ولا صدفة من الصدف ما نراه اليوم من تحضر في بعض المجتمعات، لكنه نتيجة سعي واع وحثيث في سبيل التقدم تضافرت فيه جهود المصلحين في شتى ضروب المعرفة وجهود القادة في ميادين السياسة والاجتماع . وليس بدعا كذلك ما نراه من تأخر وانحطاط في مجتمعات أخرى.. هنا يكمن سر تقدم المجتمعات الراقية التي نشاهدها في عالمنا اليوم وما بينها وبين المجتمعات التي اصطلحوا على تسميتها بالبلاد المتخلفة من فروق شاسعة .

ان المجتمع الذي هو مجموعة افراد ، لا يصلح الا بصلاح افراده .. لم يرو لنا التاريخ عن مجتمع متقدم افراده متأخرون . فلذا وجب أن ينصب اهتمام المصلحين والقادة على تقويم الفرد ، ولزم ان ينشأ نشأة سليمة في البيت والمدرسة والمؤسسات التربوية. ووجب أن يكرس اهتمام الحاكمين على تثقيف عقله وتقويم طبعه وخلقه ، واذكاء جذوة الايمان في صدره.. الايمان بالمثل العليا ، وبحب الخير .. ليصبح فردا صالحا ، وليتكون من امثاله المجتمع الصالح الذي ننشده . ان المجتمعات المتخلفة لا تشكو شيئا شكواها من انعدام التربية والتهذيب في نفوس افرادها . فقد نجد منهم من أخذوا بحظ وافر من الثقافة ، ولم يصيبوا الا اليسير من التربية . فتراهم اقرب الى البدائية والبهيمية منهم الى الانسانية . لا تعادل بين القوى المفكرة وبين الغريزة فيهم . ينساقون مع اهوائهم مثلما ينساق النحل والنمل مع الغرائز التي ركبها القدر في طباعهم فجعلهم يسيرون على مقتضى جبرية حتمية . ولاعمال التهذيب والتربية ترى افراد المجتمع قلما يسلكون في تصرفاتهم حسب العقل الواعي المدرك الذي ميزهم به القدر عن باقي المخلوقات . فيلزم اذن ان تكرس الجهود في آن واحد على تنمية العقل وتربية النفس ليكون الفرد صالحا في حد ذاته وليصلح به المجتمع .

هنا نصل الى دور الاسرة باعتبارها الاطار الاول الذي ينشأ فيه الفرد وينمو وتكتمل رجولته . لقد أجمعت الابحاث التي قام بها علماء الاجتماع على أن سلوك الاسرة يؤثر أكبر التأثير في نفسية الطفل ويطبعها الى الابد وربما يحدد مصيره في أغلب الاحيان حتى ان الاعمال الاجرامية أو الجنسية كثيرا ما يرجع أصلها الى التربية الاولى ، فان لم تكن للفرد شخصية قوية ، فان انفعالاته ومواقفه تجاه المجتمع والقضايا التي تواجهه تعكس ما يكون قد تلقاه في محيطه العائلي من سعادة أو شقاء ، من خيبة أو نجاح . فالجراة والجبن ، والحب والبغض ، والتفاؤل والتشاؤم وبصفة عامة الخير والشر كثيرا ما يلقنهما الشخص في بيئته العائلية ، فيتأثر طبعه باحدهما ، ثم يتجلى ذلك في سلوكه الاجتماعي .

ومن ثم ، وجب اعطاء أهمية كبرى الى التربية الاولى التي يتلقاها الناشىء في اسرته ، وخاصة على يد ابويه ، وبالاخص بواسطة الام . فلا غرابة أن

تعتبر الام المدرسة الاولى ، وهي كذلك لامراء . فمن اللازم ان تكون مزودة بالمعرفة والتربية الكافيتين لاداء مهمتها . « ان تربية المراة هي ما يجب أن تصرف اليه جميع قوانا الموجهة لاصلاح المجتمع » كما قال محرر المراة قاسم أمين . اننا نطالب المراة بان تربى لنا رجالا احرارا مكتملي الرجولة . فكيف يتسنى لها ذلك ، اذا بقيت جاهلة مستعبدة ؟ ان العبد لا يربي حرا ، وانما يربي عبدا مثله وعلى صورته . وان الام لا تعطي ولدها من الاخلاق الا ما لديها كما قال المفكر المصري الكبير احمد لطفي السيد . فالاسرة اذن هي المهاد الاول الذي ترتكز عليه شخصية الفرد ، تلك الشخصية التي يعول عليها في تقدم المجتمع . فيتجلى ان اثر الاسرة في تكوين الافراد اثر بالغ الاهمية ... وتكوين الافراد الصالحين في نطاق الاسرة اولا ، ثم في المؤسسات التربوية والاجتماعية والمنظمات السياسية يتيح تكوين المجتمع الصالح .

يفضي بنا الحديث الى حرية الفرد ومسؤوليته . لقد أعطي الانسان قدره من الحرية . بعكس باقي المخلوقات ــ ليتحمل مسؤوليته ويواجه مصيره ، ووهب كذلك الذكاء اللازم لمواجهة الظواهر الطبيعية من جهة ، والقضايا الاجتماعية المترتبة عن طبيعة التطور من جهة ثانية . فكما استطاع ان يخضع الطبيعة ويسخرها لاغراضه عليه ان يحسن استعمال ذكائه وحريته لمعالجة المشاكل الاجتماعية التي تعترض سبيله حتى يجعل من بيئته موطنا يطيب العيش فيه . عليه اذن أن يتصرف في ذكائه وحريته بكامل الوعي والتبصر ، ويتخذ مسؤوليته عن روية وتدبر . فالحرية لم تكن في يوم ما مرادفة للفوضى والتحلل من جميع القيود باطلاق السبيل للغرائز . والا تردى الانسان الى درجة العجماوات ، واصبح اسيرا ولو حسب نفسه حرا . والحر الحقيقي من يستطيع على الدوام مسك زمام امره بيده وتقييد اهوائه ، وصرف مواهبه في التشييد .. في الاسهام في اثراء مجتمعه ماديا ومعنويا .. في اضافة لبنة جديدة الى البناء المشترك .

هذا دور الفرد في معترك الحياة .. دوره في المجتمع : دور يتواكب فيه العقل المتبصر بالضمير الحي الواعي . فاذا استطاع ان يؤديه على الوجه المطلوب ، واذا توفر لمجتمع رصيد وافر من الافراد الشاعرين حقا بواجبهم ، الكادين في ادائه ، تسنى لهذا المجتمع ان ينهض ويلحق القافلة المتحضرة . لقد وقفت معجبا بكلمة كتبت على واجهة مدرسة زرتها بفرنسا وجاء فيها : « في معترك الحياة ينبغي ان تكون شخصا ما ، وان تؤدي عملا ما » . فهل لنا في هذا العصر .. « عصر انفلاق الذرة » عصر غزو الفضاء .. ان نجمع امرنا لا لشيء الا للقضاء على التخلف الذي يئن مجتمعنا تحت وطأته ؟

الرباط : **قاسم الزهيري**






« العلم المركب » بالقياس العكسي على الجهل المركب ، هو ان يعلم الانسان ويعلم انه عالم ، والذين يصيبهم « العلم المركب » هم الذين يمتازون على الناس بالموهبة والتفوق فى علم او فن ، فيتنبههم امتيازهم الى انفسهم ، فيعلمون بعلمهم ويبطرهم كما تبطر كل نعمة صاحبها ، و « العلم المركب » اقل فشوا من الجهل المركب ، لان الجهل فى الدنيا اكثر من العلم ، ولان الذين يجهلون جهلهم اكثر من الذين يعلمون علمهم .

و«العلم المركب» وبطره قديم عريق فى القدم ، فقد ظهر بين البشر وبين غير البشر ، ظهر فى السماء قبل ان ينزل الانسان الى الارض ، وفى الارض يوم نزل اليها ، ولعل مبدأ العلم المركب يرجع الى ذلك اليوم الذي ابدع الله فيه خلقا من طين واسجد له ملائكته ، فقد سجدوا كلهم لآدم ، الا ابليس ، فانه ابى وقد كان ابليس من كبار الملائكة العباد ، ما ترك بقعة من السماء والارض الا وله فيها ركعة او سجدة ، ورغم ذلك فانه عصى حيث كان يجب ان يطيع ويسبق الى الطاعة ، وكان السبب هو العلم المركب ، لقد علم ابليس قدر نفسه ، وعلم ان محتده اشرف من محتد آدم ، لان النار اشرف من الطين ، وصارح الله باستنكاره السجود لمن دونه فى المحتد والمنزلة : **« انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين »** .. وفضل امتثال امر نفسه على امتثال امر ربه ، فأبى واستكبر وكان من الكافرين ، وكان الاجدر بابليس ان يطيع اذ يؤمر لانه اطاع من قبل دون امر ، وان يمتثل الامر الهين ، وقد امتثل قبل الامر العظيم ، ولكن مقامه السامي ابطره ، فنسي كل شيء الا نفسه ، فكان ابا البطر .

ومن السماء نزل « العلم المركب» وبطره الى الارض ، ومن ابليس ابي البطر ، انتقل الى البشر ، وكان حتما ان ينتقل اليهم ، لان الشيطان تحدى وتوعد ان يغويهم اجمعين ، وان ينقل اليهم ما فى ذاته من شر وفى مقدمته البطر . ولقد ابى الا ان يفرغ فى نسل آدم كل ما فيه من بطر حتى خلق من بينهم صورا على مثاله تكرر صنيعه فى السماء ، فظهر بينهم من يبطر على الله فى الارض كما بطر هو عليه فى السماء .

ونجول فى الزمن لننتقي نماذج للبطر بين البشر ، ونتجاوز السنين ونعبر القرون حتى نصل الى زمان هوزمان البعثة المحمدية ومكان من الارض هو الجزيرة العربية مهبط وحيها .. فى هذا الزمان ظهر شخص عرف بالزهادة والنسك والعلم والتقوى ، درس الاديان السماوية ، وتلقى الاخبار من اليهود والنصارى وشيوخ الجاهلية ، وعرف اسرار الدين واسرار التوحيد ، فلبس المسوح وتزهد وحرم الخمر على نفسه ونبذ الاوثان ، وقد عرف فيما عرف ان الله يوشك ان يبعث نبيا .. ذلك هو الشاعر الجاهلي امية بن ابي الصلت ، الذي يكاد شعره يتفرد ، بين الشعر الجاهلي كله ، بالالتفات الى الله الواحد ، والدعوة اليه ، وبعث الله خاتم النبيئين ، فكان المتوقع ان يسبق ابا بكر الى الايمان به ولكنه تلبث حتى سبقه جهال قومه الى الايمان فبرزوا به حتى بلغوا عند الناس وعند ربهم أعلى الدرجات ، وابى فى الاخير ان يؤمن ، لا عن جهل بل عن علم .. عن « علم مركب» لقد علم منزلته وامتيازه فكان ينتظر ان يتخيره الله للنبوة ، ولما اذاع الناس ان فى الارض نبيا جديدا صارحهم بدخيلة نفسه ، وقال : كنت ارجو ان اكونه .. موقف ابليس فى السماء يتكرر فى الارض من غير نقص فى الاحداث ، ولذلك كان خليقا بالحادث ان

يستنزل القرءان وان يعتبره بعضهم سببا لنزول الاية الكريمة : « واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين » ، ولذلك ايضا كان قولا فصلا من خاتم النبيئين ان يقول فيه حين يسمع شعره فى التوحيد والايمان « آمن لسانه وكفر قلبه » .

وما تظن الشاعر امية المثل الوحيد فى هذا المجال ، فما كان ابليس ليقنع بواحد من البطرين وقد كان القسم على الاغواء مغلظا شديدا ، ولئن خفيت الاسماء فان الذي لاشك فيه ان هذا العلم المركب الذي يتجاوز بطره الارض الى السماء لم ينقطع بل ظل مستمرا يتخير له نماذج من الناس ، واستمر فى سيره حتى وصل عصرنا الحاضر فسكن العالمين كلهم او كاد ، فعندما انفتحت للناس كثير من اسرار الكون فى الارض والسماء وانجلت لهم كثير من المعميات ، ووصلوا فى ذلك الى شاو خارق اراهم العجب فى انفسهم وفى كونهم ، اجتاحتهم موجة من الغرور ، واصيب العلماء كلهم بالافة فبايعوا عقولهم واعلنوا ان السيادة للعقل وحده ، وانه لا تخفى عليه اليوم خافية ، وان ما لا يعقله العقل فهو معدوم ، وكان حتما ان يعلنوا الثورة على عالم الغيب وما فيه من مغيبات لا يسعها العقل ويسعها الايمان ، وكان حتما ان يستبد العقل ، وان تبطره السلطة المطلقة ، فيطيش ويجور فى حكمه ، ويتنوع طيشه وجوره ويتشكل فى اشكال مختلفة لا حصر لها ، ومن احدث صور هذا الطيش فى عصرنا ، حديث احد رواد الفضاء الاولين ، الذي حكى فيه ، بعد رجوعه من سفرته ، انه فتش عن الله فى السماء فلم يجده ، وناداه فلم يجبه ، ولعله حسب انه بلغ فى طيرانه المنتهى ، او وصل الى العالم العلوي . ولعله ايضا حسب ان لله منزلا فى السماء يسكنه كما يسكن الناس ، ويبرز منه لمن سأل ودق بابه .

على ان العلم المركب ليس كله على هذا الضرب العنيف ، فمنه ما لا يمتد بطره السماء وانما يقتصر على الارض ، وما لا يتطاول على الخالق وانما يستهدف الخلق وحده ، هذا الضرب فاش بين كثير من ذوي المواهب والعبقريات ، ومن حسن الحظ وسوئه معا انه يكاد يقتصر عليهم وحدهم دون غيرهم ، يستقبحه منهم الناس اول الامر ثم يغفرونه فيما يغفرونه لهم من هفوات .

ولهذا النوع نماذج كثيرة بين علمائنا وشعرائنا ، سواء منهم من قدم عهده ومن حدث نذكر منهم بعض الشعراء اولا ونذكر فى المقدمة المتنبي ومن غير المتنبي يسبق الى الذهن والذكر !؟ .

لقد اشاد المتنبي بنفسه ومجدها على نحو لا يكاد يوجد له نظير بين الشعراء ، ويجعله نموذجا مجسما للعلم المركب بين الشعراء ، والغريب ان اعجاب المتنبي بذاته نشأ فى نفسه قبل ان يكون شيئا ، وقبل ان تزكو موهبته وترشد عبقريته بحيث يبدو ان له منشأ اخر مجهولا غير العلم بالعلم والتفوق وربما يجعله هذا خارجا عن موضوع القاعدة مندرجا تحت اصل آخر ، ذلك انه اعجب بشخصه ورأى نفسه خليقا بان يتبوأ اعلى الدرجات ، ومن اجل ذلك ثار عند ما جاءته الفرصة وتنبأ حين ظن ذلك يرفعه الى العلاء ، وربما كان منشأ هذا بنفسه هو اصله الذي اعتبره الناس وضيعا ، وهكذا يكون استعلاء المتنبي ناشئا من العلم بالوضاعة وليس من العلم بالعلم .

ولكن هذا الاعجاب القديم فى نفس المتنبي وجد سببا ومستندا عندما رشدت عبقريته الشعرية فاستحق ان يكون من ذوي العلم المركب ومثالا لهم رغم الذي سلف .

بالغ المتنبي فى تمجيد نفسه والحديث عنها حتى اعتبره النقاد عابد نفسه ، وشعره مليء بابيات يجاهر فيها بذلك ويصرح به ، تأمل قوله :

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي
وبنفسي فخرت لا بجدودي

ثم قوله :

انا الذي نظر الاعمى الى ادبي
واسمعت كلماتي من به صمم

ومن دون هذا التصريح كان كبرياء المتنبي يتنفس فى مدائحه الكثيرة ، فقلما نسي وهو يمدح ان يلتفت الى نفسه وينبه الى شخصه ، حتى وهو يمدح سيف الدولة :

لا تطلبن كريما بعد رؤيته
ان الكرام باسخاهم يدا ختموا
ولا تبال بشعر بعد شاعره
قد افسد القول حتى احمد الصمم

بل لعل المتنبي ما كان يمدح من يوجه اليه مدحه بالذات ، وانما كان يمدح نفسه وشخصه ولعله حين يصوغ شعره ، لا يضع امامه الا شخص احمد

ابـــن الحسيـــن ومنـــــه يستلهم النعوت الفخمـة والتراكيب الضخمة ، فتكون امداحــه في معظمها ، في نفسه لا في غيـره ، وان كان لابد لاحد منهم مـــن استثناء ، فهو ممدوحه الاثير سيف الدولة ، وكـان كبرياء المتنبي يتنفس في نوع آخـر من شعره وهـو اهاجيه المقذعـة ولعل هذه الاهاجي ان تكون قد مكنته من ان يروي ظمأه الى الاستعلاء وتمجيد النفس علـى نحو اعتـى واقوى ، وذلك بتحقيـر الغيـر واذلالهم بالقول الواخز الفاتـك .

ونذكر بعد المتنبي ، البحتري شاعر الرقـــة والسلاسة الذي ذهب بالطلاوة كلها ، والذي اراد ان يشعر قفنـى ، هذا البحتري كان يعلم مقامه فاصيب بالعلم المركب ، فكان يستغل ما يلقاه شعـره لـدى الناس من استحسان ، ويستحثهم على ان يزيدوا في استحسانهم واعجابهم ، كان البحتري ياخذه العجب لدرجة ان يقول لنفسه ما يقولـه المعجب للمعجب ، فكان يتمايل افتخارا ويخاطب نفسه: احسنت ـ وربما اوغل في ذلك فيزجر من يستمع ويقول : لم لا تقولون احسنت ـ ويحصر الاحسان في شخصه ويقسم على ذلك قائلا : والله لا يحسن احد ان يقول مثلـه ، ومهما تكن غرابة بطر البحتري ، فانه يلطف منه انه طريف وغيـر عنيف كسابقه المتنبـي .

وبين الناثرين نماذج اخرى للعلم المركـب تساوي الذي سلف او يفوقه ، ولم اجد من قدمائهم من يداني الناقد العربي المشهور ضياء الدين ابن الاثيـر ، فقد غلا في ذلك غلوا لم يبلغه احد ممن سلف وقـد كان ابن الاثير لا ينتظر لبطره مناسبة ، وانما يعجل به ولا يعطي منه بمقدار وانما يصبه جزافا بلا حساب ونجول معه في كتابه « المثل السائر في ادب الكاتـب والشاعر » لنعرض فنونـا من ذلك .

يعرض ابن الاثيـر لمسألة او لبيت شعر او آية يحللها ، وعندما يعطيك رأيه يزكيـه ويرفعه ويقول لك بالنص : « وهذا شيء استخرجته ولم يكن لاحد فيـه قول سابق » او يقول : وهـذا موضع غامـض يحتاج الى فضل فكرة وامعان نظر ، وما تعرض التنبيه عليـه احـد .

وعندما يبسط قاعدة بلاغية يعطيك نماذجهـا التطبيقية من قلمه ، ولا يكتفي بمثال واحد او اثنين ، وانما يتبع المثال بالاخر حتى يمل ، ويابى فـوق هذا الا ان يحكم لنفسه بالجودة والبراعـة والتفوق ، مثل ذلك عندما يقدم نموذجا من كلامه للسجع الجيد ثم يقول : « فانظر ايها المتأمل الى هذه الاسجاع جميعا واعطها حق النظر ، وكذلك فليكن السجع والا فلا »

ويشيع ابن الاثيـر جشعه الى اطراء نفسه عندما يجادل غيره في قضيـة ، انظر ذلك في قوله الاتي عن ابـي العلاء المعري بمناسبة نقـده لبيت للمتنبي : « وبلغني عن ابي العلاء المعري ، انه كان يتعصب لابي الطيب ، حتى انه كان يسميه الشاعر ويسمي غيـره باسمه ، وكان يقول ليس في شعره لفظة يمكن ان يقوم عنها ما هو في معناهـا فيجيء حسنـا مثلها ، فيا ليت شعري اما وقف على هذا البيت المشار اليه ، لكـن الهوى اعمى ، وكان ابو العلاء اعمى العين خلقـة واعماها عصبية ، فاجتمع له العمى من جهتيـن » ، ويشفعه بصورة اشد واقوى عندما يجعل شخصـه وعلمه وكتاباته برهانا يستدل به وهو يجادل حكماء اليونان في هذا النقل الذي نوجزه من كتابه المذكور : يدعي المؤلف ان الاديب او المتادب يمكنه ان يستغني عما سطره حكماء اليونان من شروط للاجادة، ويحاجهم بان البدوي غير المتمدن ، كان ياتي بالكلام البليـغ من شعر ونثر، وهو لم يطلع على ما قعده اولئك الحكماء ثم يفترض ان معترضا يعترض عليه ، بان البلاغة طبـع في العرب ، لا تحتاج لديهم الى تعلم واكتساب ، فيجيب على ذلك بان هناك شعراء ، امثال ابي نـــواس والمتنبي وابي تمام والبحتري ، جاءوا بالكلام الجيـد رغم انهم لم يخالطوا عربـا ولم يعيشوا في بيئة بدوية ، ثم يفترض مرة اخرى ان المعترض يرد عليه فيقول : « فان ادعيت ان هؤلاء تعلموا ذلك من كتب اليونان ، قلت لك في الجواب : هذا باطل بي انـا ـ فانني لم اعلم شيئا مما ذكره حكماء اليونان ، ولا عرفته ، ومـع هذا فانظر الى كلامي ، فقد اوردت لك نبذة منـــه في هذا الكتاب . واذا وقفت على رسائلي ومكاتباتي ، وهي عدة مجلدات وعرفت انني لم اتعرض لشـيء مما ذكره حكماء اليونان في حصر المعاني ، علمـت حينئذ ان صاحب هذا العلم من النظم والنثر ، بنجوة من ذلك كله ، وانه لا يحتـاج اليـه ابـدا ، وفي كتابي هذا ما يغنيـك وهو كاف » .

وقد استمـر البطر بركب العلماء ، يخفيـه الحيـاء في بعض ويظهره العجب في بعض ، حتى وصل الى قرننا العشرين ، واصطفى له من كتابنا المحدثين ، المرحومين الدكتور زكي مبارك والاستاذ عباس محمود العقـاد ، وللاول منهما فنون في هذ الجنون بز فيهـا

سلفه ابن الاثير او كاد ، لقد كان الدكتور زكي مبارك نموذجا مكتملا للعالم علما مركبا ، فقد كد في تحصيل المعرفة وشق على نفسه في ذلك حتى انتزع من ممتحنيه أعلى الالقاب العلمية باعلى الدرجات غلابا ، فنال الدكتوراه ثلاث مرات وحصل في عمر واحد ما يحصله الافراد في اعمار ، ولكنه علم بعلمه ، فادركته الافة واعجب بنفسه واغرب في ذلك .

لقد استصغر ان يلقب بالدكتور وهو الذي حصل اللقب ثلاث مرات ، فزين له هوى نفسه ، ان يبدع في الالقاب ما ليس مالوفا ، وان يدعي باللقب مجموعا، فكان يدعو نفسه الدكاترة زكي مبارك ، ويشهد عليه المرحوم جاد المولى في مقدمة كتبها لمؤلفه التصوف الاسلامي ، بانه كان يتصوره « محبا للظهور بمظهر السيطرة والاستعلاء » والدكتور زكي لا يجادل في ذلك ولا يماري ، بل هو يعترف على نفسه ويصرح بانه لا يعرف التواضع ، كذلك يقول في مقدمة كتابه التصوف الاسلامي ، وهو يقدمه للقراء ، وهذا كلامه : « نوقش هذا الكتاب بجلسة علنية في مساء اليوم الرابع من ابريل سنة 1937 .. ناقشته لجنة عنيفة قهرت المؤلف على التواضع وهو خلق لم يعرفه من قبل .. »

وان كنت في ريب مما قرات ، فهاك مثالا من حديثه عن نفسه ، اقرا كلامه وهو يقدم كتابه : «النثر الفني» الى القراء : « ان هذا الكتاب هو اول كتاب من نوعه في اللغة العربية ، او هو على الاقل اول كتاب صنف عن النثر الفني في القرن الرابع ، فهو بذلك اول منارة اقيمت لهداية السارين في غيابات ذلك العهد السحيق .. ولن يستطيع اي مؤلف مهما اعتز بقوته وتعامى عن جهود من سبقوه ، ان ينسى انني رفعت من طريقه الوفا من العقبات والاشواك .. وهل يمكن الارتياب في ان مؤلف هذا الكتاب هو اول من كشف النقاب عن نشأة النثر الفني في اللغة العربية .. »الخ

وللذين يدركهم العلم المركب دركة اخرى في هذه الافة هي تحقيرهم للغير بجانب تمجيدهم لانفسهم كما راينا في بعض النماذج السالفة ، وقد غلا الدكتور زكي في ذلك غلوا لا مزيد عليه ، فقد كان عنيفا في جداله فاجرا في خصامه قاسيا في نقده الاحياء والاموات معا ، يتجاوز الموضوع الى الشخص والرأي الى صاحبه ، وقد قال عنه المرحوم الدكتور احمد امين ان الدكتور زكي يلقى مجادله كما يلقى المصارع المصارع ، لا كما يلقى العالم العالم ..

كذلك كان شانه مع الغزالي حين الف عنه كتابا في نقد فلسفته ، وكذلك كان شانه مع كثير من معاصريه الذين جادلهم ، وما اكثر من آذى منهم بقلمه ، وربما كان صديقه المرحوم احمد امين اكبر من تأذى منه في المقالات المسلسلة التي كتبها عنه بعنوان « جناية احمد امين على الادب العربي » تعليقا على بحث لاحمد امين بعنوان : « جناية الادب الجاهلي على الادب العربي » فقد جار الدكتور زكي في نقده جورا فاحشا جعل كثيرا من القراء يستهجن صنيعه بالرغم من انه كان مصيبا في تخطيء احمد امين ، وقد خصص الدكتور زكي لحملته المنكرة اثنين وعشرين مقالا نشرها متتابعة في مجلة «الرسالة» ظل فيها يعبث في شخص احمد امين حتى اغرب وتجاوز كل حد ، فيكتب مثلا : « لو ان معدتي كانت كما احب من القوة والعافية لاكلت لحم الاستاذ احمد امين وارحت الدنيا من احكامه الجائرة في الادب والتاريخ . » ويختم حملته مزهوا فيكتب في آخر مقال : « اما بعد فقد انهيت القول في محاسبة الاستاذ احمد امين بعد ان ارقت جفونه خمسة اشهر كانت عنده كالف سنة مما تعدون .. » ويذكر الاستاذ احمد امين هذا بعد سنين ، فيقول انه تاذى من نقد زكي مبارك بالرغم من انه ما كان يكره النقد وذلك لكونه اقحم شخصه وخلقه وشرفه في الموضوع .

وظل العلم المركب حيا ، بعد غياب الدكتور زكي في شخص المرحوم عباس محمود العقاد الى ان انتقل الى عالم البقاء .

وقد تلونت هذه الخصلة في العقاد بطبعه ونفسيته فجاء في ذلك مختلفا بعض الاختلاف عن سلفيه ابن الاثير وزكي مبارك ، فما كان يسخف في حديثه عن نفسه مثل الاول ، وما كان يطيش فيتمنى ان يفترس لحم من يجادله مثل الثاني ، وقد تميز عنهما بانه كان يفاجيء بحديثه عن نفسه ويهاجم به ، او قلما كان ينقل ذلك ، فلا يكاد يمجد نفسه الا وهو يدافع في خصومة ادبية .

ومن حديث المرحوم العقاد عن نفسه وتمجيدها انه قال مرة : « انا لا اعترف في الكرة الارضية كلها بعميد للادب اسير تحت رايته ، فاين هو الاديب الذي يمكنك ان تقول وانت مطمئن الضمير انه يفضلني؟ لقد كتبت ستين كتابا اتحدى اي مخلوق ان يؤلف مثلها » وقد قال هذا الكلام في سنة 1955 دفاعا عن الخصومة الادبية التي ثارت آنذاك حول ادب

الشيوخ ومن ردوده في هذه الخصومة التي تعتبر مثالا في الموضوع ، رده على خصومه ، بان ما يدعون اليه من مبادىء وقيم ، سبق ان اعتنقه ودعا اليه ، قبل ان تلدهم امهاتهم .

واشهر الخصومات التي ادارها العقاد واشتغل بها زمنا طويلا واظهر فيها صلابته وعناده واعتداده بشخصه ، هي خصومة الشعر الحر .. **واشهر من** نازله وكان ضحية لعنفه فيها هو المرحوم الدكتور محمد مندور .

وآخر ما يذكر من خصومات العقاد ، جدالة مع الدكتورة بنت الشاطىء ، بمناسبة ظهور كتابه « المراة في القرآن الكريم » لقد علقت الدكتورة على هذا الكتاب واستنكرت فيه بعض آراء المؤلف فرد كلامها ردا عنيفا جارحا ذاكرا انها ليست من فصيلة حواء مستدلا على ذلك بامثلة من ذاتها وحياتها الخاصة ، وانها آخر من يجوز له ان يدافع عن المراة ، وقد تاذت بنت الشاطىء من هذا الكلام وتظلمت منه الى القراء في مقال بعنوان « حفرة من نار »

وقد اصبح العقاد في عناده واعتداده بنفسه مثلا مضروبا يشبه به في ذلك، قال صالح جودت مادحا الشاعر الياس فرحات مشبها اياه بالعقاد .

شاعر فيه حكمة « المتنبي »
وائتلاق « الرومي » جرسا ووحدة
واباء « الشريف » اذ يتحدى
كل مستكبر يصفر خده
وعناد « العقاد » حين يرى الرا
ي ويملي ان يسجد الكون عنده

ومن سوء الحظ ان العلم المركب لا يصيب الا العلماء ، فلا يتصور ان يصيب غيرهم ، لانه علم بالعلم، ولا يعلم بالعلم الا العالم ، ومن حسن الحظ كذلك انه لا يصيب الا العلماء ، لانه يكون فيهم عيبا تحف به محاسن ، تستره حينا وتخفف من اذاه حينا ، وتكون شفيعا لهم عند من يود ان يغفره ، ومن حسن الحظ ايضا انه لا يصيب كل العلماء ، وانما يصيب البعض ، فبجانب الاسماء التي ذكرناها نماذج للعلم المركب ، اسماء اخرى لها في التواضع ما لها ، وما اجمل ان يتواضع العلماء ولكنه قسم ابليس ابي البطر ان يغوي وان ينقل الى الناس كل ما في ذاته من شر وفي مقدمة الشر البطر .

**الدار البيضاء ــ احمد باكو**





# افريقيا في مفترق طريقين

للأستاذ : أحمد زياد

- 2 -

يجب علينا نحن الافارقة ان نضع مشكل القارة الافريقيــة فرادى وجماعات حكومات وشعوبا هيئات ومنظمات ، يجب علينا ان نضع هــذا المشكــل فى وضعه الحقيقي ، لانه مشكل واحد بالنسبة الينــا مهما تباين فى شكلياته بالنسبة لغرب وشرق افريقيا وشمالها وجنوبهـا .

وعلينا الى جانب ذلك وبالاضافة الى ذلك ان نضعه بجميع عيوبه ما ظهر منها وما بطن وان نحيط دراسته بمبادىء قويمة من النقد الذاتي العميق الذي لا يرحم ولا يداهن و لايتستر متجردين عن كل عاطفة قد يمليهــا مركب نقص **تدفع اليه الانانية دفعا ،** وتحملنـا على ان نتظاهر بعظمة القط الذي يحكـي انتفاخا **صولة الاسد .**

ان هنالك افريقيا كما ارادتها الطبيعة وخلقتها بادغالها وبحيراتها وتماسيحها وذباب « تسي تسي » الذي يعشش فى بعض اجزائها ، ومرض النوم الذي يتفشى فى بعض جهاتها وقبائلها المتباعدة فى الامزجة والاعراف والديانات والامية المتفشية بين ربوعها ودخلها القومي الهزيل .

كما ان هنالك افريقيا التي تختزن الكنوز من مواد اولية التهمتها وتلتهمها الات التصنيع فى الدول المصنعة .

وهنالك افريقيا كما ارادهـا **الاستعمار الذي** توافد مغامروه عليها باحثين ، مستكشفين حتى اذا وقعت ابصارهم على ثرواتها ، **تحركت شهياتهم ،** ولا نقول سال لعابهم ، ثم سرعان ما تحولت مغامرات المغامرين ، ومساعي التجار المغامرين الى غزو عززته الاساطيل والجنود .

ثم وقع تقسيم افريقية كما ارادها الاستعمار فكانت منها الامبراطورية التي لا تغرب الشمس عن اطرافها، وكانت منها المواردالخام التي لا ينضب معينها، ووضعت الستراتيجية العسكرية فى ترتيب مواقعها وسادها حكم مباشر متفاوت الدرجات تعددت وسائله وتوحدت اهدافه .

اما الوسائل فقد تجلت فيما ركن اليه الاستعمار وداب عليه من تنظيم القبلية وتقنينها والعمل على تشعب مشاكلها وتعقيدها ، فاصبحت تلك المشاكل وهي تصطبغ بصبغتين اثنتين صبغة الطبع وصبغة التطبع .

واما الاهداف فهي ترمي الى استنزاف ما تختزنه الارض من مواد اولية **تحول الى المصانع** التي تحولها بدورها الى انتاج استهلاكي تعاد الى افريقيا فواضله وبواقيه لتشتري على انها مواد للاستهلاك .

ولسوء حظ افريقيا فان عملية التنسيق والتلقيح هذه طالت مدتها ، وتنوع مددها وكان الشعار الدائم لتلك الوسائل والاهداف هو : الغنم للمستعمرين والغرم على المستعمرين . ثم ان الاستعمار قد استطاع ان يشتغل بوسيلة من وسائله الشعوب الافريقية ليحقق اهدافه ، فمن تشجيع للقبلية الى الاستعانة بالمبشرين ، ومن رشوة رؤساء القبائل الى تسليط البعض منهم على البعض الاخر الامر الذي كان من نتائجه الحتمية تعميق الاساليب البدائية وسد كل نافذة يمكن ان تطل منها **افريقيا على ما كان يتعرض** اليه العالم من تحول وتطور . ولئن تباينت خطط الاستعمار بالنسبة لغرب افريقيا وشرقها وجنوبها فان مبدأضرب الحصارعليها وعزلها وتركهاعرضةللتفقير

والتجهيل والاستغلال كان هو المبدا الذي ارتكزت عليه خطط الاستعمار على اختلاف اجناسه واشكاله .

والواقع ان سرد تاريخ افريقيا اما جملة واما تفصيلا تحت مختلف الانظمة الاستعمارية لم يعد في حد ذاته امرا ذا بال .

وبالرغم عن دسائس الاستعمار واساليبه وخططه وحصاره المنيع فان شعوب افريقيا استطاعت ان تفتح لنفسها نوافذ على العالم ، واستطاعت شعوبها ان تتعرض للهواء الطلق وان تمتد ابصار سكانها من وراء الحصون الاستعمارية ومن وراء الادغال الطبيعية لترى مشاهد من عالم اليوم ، ولترى ايضا البون الشاسع الذي يفصل فيما بين حياتها وحياة ذلك العالم الذي لاحظت فيه انه مليء بالاعاجيب .

ولم يكن لها بد بعد ذلك من ان تجهز على الاغلال التي قد تقيدها وتعمل على تكسيرها وتحطيمها لتنساب زاحفة ولتقيم في ساحاتها تماثيل الحرية ولتحلها محل تماثيل الاستعمار وكذلك كان .

ان افريقيا قد اكسبت الدول الاستعمارية «قوة متعددة الاطراف » ، قوة اقتصادية وسياسية كانت هي العملة الجاري بها في ميدان التنافس والتطاحن فيما بين تلك الدول، وكان الجانب السياسي في هذه القوة يستمد سلطته على الدوام من الجانب الاقتصادي الذي تكمن عناصره فيما تختزنه الارض الافريقية من مواد اولية مختلفة الاشكال والاحجام.

ومنذ ان احرزت الاقطار الافريقية على استقلالها اصبحت مقاليد هذه القوة خاضعة لسلطة وطنية يمكنها ان تكون مطلقة التصرف في استغلال مواردها استغلالا وطنيا يستوحي توجيهاته من عبر الماضي ومحنه ومآسيه .

لقد آثرت ان اضرب صفحا على استعراض المراحل التي توالت على افريقيا قبل الاستعمار ، لان مثل هذا الاستعراض لا يفيد كثيرا في فتح عيوننا عن بعض الحقائق التي نتوخاها ، واحسن من ذلك هو ان نجمل كلما امكن الاجمال في التحدث عن الماضي، لانه ولى بجميع ظروفه وشروره واحسن من ذلك ايضا هو ان نشير ولو اشارة عابرة الى بعض عناصر تلك القوة التي طالما تطاول بها الاستعمار وصال وجال واكتسى بها ولو ان « المكتسي بثياب الاخرين انما هو في الواقع عريان .

ان الاحصائيات الحديثة والتي تتضمنها وثائق الامم المتحدة لتسلط الاضواء والانوار على مكنون الارض الافريقية ، فلنستشر بعض تلك الوثائق لتشير علينا بما يمكن ان يكون لنا نبراسا في هذه الدراسة .

ان افريقيا تنتج حوالي 3ر3 من انتاج العالم في الكاوكاو ، كما ان افريقيا تحتل مرتبة مرموقة فيما يخص انتاج المطاط في حين ان مساحة الاراضي تعمها الغابات في افريقيا تصل الى نحو 800 مليون هكتارا ، وهي تنافس في هذا المضمار الدول السكندنافية وكندا وحتى الولايات المتحدة ، بينما الثروة المعدنية تضرب رقما كبيرا في اقتصاديات افريقيا بالنسبة الى مختلف دول العالم ، فهي تنتج 2ر1 من ذهب العالم و98 في المائة من الماس و5ر4 من الكوبالط ، ويعد الذهب من انفس المعادن التي تنتجها افريقيا ، ولهذا فانه لعب دورا خطيرا في دخول الاستعمار الاوربي الى القارة الافريقية وخصوصا بجنوبها ، وتنتج افريقيا ما يوازي تسعين في المائة من انتاج العالم من الكوبالط ، وتوجد بافريقيا مناجم للحديد والمنغنيز يرتفع انتاجها سنة بعد اخرى ، كما ان افريقيا تتوفر على ثروة كبيرة من مادة الفوسفاط الذي يعتبر المغرب من اهم منتجيه، و لايفوتنا ان نشير الى ثروة البترول التي يتوالى ارتفاع المكتشف منها وخصوصا بالجزائر .

تلك « عينات » من ثروات افريقيا ، وهي « عينات » تدعو الى الكثير من الدهشة والاستغراب حينما نستعرض حالة التغذية في الاقطار الافريقية ومستوى الدخل القومي والصور التي تظهر من خلالها بعض انحاء افريقيا وهي على حالة من البدائية التي ما تزال شاشات السينما تعرضها حينا بعد حين.

فاذا كان مثلا انتاج الماشية في افريقيا يعلو وينخفض فان هذا الانخفاض لا يكون ولن يكون مبررا للقدر المزري الذي يستهلكه المواطن الافريقي في بعض الاقطار الافريقية من اللحوم والذي يتراوح فيما بين كيلوغرام وثلاثة في السنة كلها .

واذا كان الاستعمار يعد مبررا فيما قبل لكل البلايا التي صبت على الاقطار الافريقية فان عهد الاستقلال والمسؤولية الوطنية قد انعدم معه هذا المبرر ، والمفروض فيه ان ينعدم معه .

هنالك صعوبات تعرض حركة النمو ما في ذلك من شك ، بيد ان هذه الصعوبات ما كانت لتمنع من الوصول الى المستوى النسبي ، ولئن كان لهذه الصعوبات تأثيرها فان لانعدام المناهج الصالحة والجدية تأثيرها كذلك ، ويجب النص هنا على ان مناهج بناء الاستقلال تختلف كثيرا عن مناهج تحقيق الاستقلال كما ان الوسائل تتباين هي ايضا كذلك .

وبمعنى اوضح فان وسائل تحقيق الاستقلال كانت مجرد ثورات عاطفية دفعت في الكثير من الاحيان الى بذل تضحيات جسيمة ، بيد ان هذه التضحيات لم يكن لها — وبطبيعتها — ان تتعدى الحيز المثالي في كيفها وكمها، اما وسائل بناء الاستقلال فهي مثالية من حيث المقصد ، غير انها تصطبغ بالتقنية من حيث التطبيق والتدقيق في التطبيق .

ويقضي بنا هذا التحليل الوجيز الى ان نضع الاسئلة التالية :

هل شرعت الاقطار الافريقية في استغلال ثرواتها استغلالا مرضيا لبناء الاستقلال ؟ وهل الاقطار الافريقية سائرة في اكتساب القوة التي استطاع الاستعمار ان يجعل من الثروات عناصر لقوته ؟ واذا وقع بالفعل استغلالها فهل وقع الاختيار على احسن الاساليب وانسبها واقربها للواقع الافريقي ؟

ان الجواب على هذه الاسئلة يقتضي منا الاشارة مرة اخرى الى نوعية الوسائل التي حققت بها الاقطار الافريقية استقلالها ، وهي وسائل يختلف البعض منها على البعض الاخر من حيث الكيف

فهنالك اقطار افريقية لم تحرز على استقلالها الا بعد جهد جهيد وبتضحيات جسيمة ومريرة في نفس الوقت ، فكان من الطبيعي ان يستمر المد الثوري لاساليب خططها في بناء الاستقلال ، في حين ان اقطارا افريقية اخرى ساعدتها ظروف نشأت من تطور للمفاهيم التي استطاعت الحركات التحريرية ذات الطابع الثوري أن تغيرها ، فوقع التسليم بحقها في الحرية والاستقلال بصورة عفوية ، وكان استقلالها تبعا لذلك عبارة عن نتيجة لمقدمة منطقية شكلتها الحركات التحريرية ذات الطابع الثوري .

وهذا القسم الثاني من الدول الافريقية كان ولابد من ان تتكيف اساليبه في بناء الاستقلال بكيفية مغايرة لاساليب القسم الاول حيث آثر قادة هذا القسم مبدا الاعتدال الذي يشتط احيانا فيتحول الى حالات صريحة من التبعية والسياسية والاقتصادية ، في حين ان القسم الاول من الدول الافريقية لم يتاخر عن استخدام المد الثوري حتى في هذه المرحلة من بناء الاستقلال ، وهو مد يشتط هو ايضا في الكثير من الاحيان فيؤدي شططه الى ارتكاب الاخطاء الذي كان من نتائجها على الاقل ضياع الوقت .

وفيما بين الاعتدال الذي يشتط في اساليب القسم الثاني فينقلب هو ايضا الى مجرد محاكاة وتقليد ، فيما بين هاتين الحالتين تكمن الازمة التي تعاني منها البلدان الافريقية ما تعانيه .

وهنا يدعونا هذا العرض الى الحديث عن الواردات العقائدية التي تضاربت الاراء حولها وما تزال فيما يخص دورها في القارة الافريقية .

فاذا كان قسم في دول افريقيا آثر التبعية والتحالف التقليديين فان قسما اخر اخذ اتجاها مغايرا ولنسم هذا الاتجاه بالاتجاه الاشتراكي .

لقد كان ولابد للتجربة الاشتراكية من ان تجري اولا وبالذات على استغلال الثروات الوطنية بمفهومها العام ، وتطبعها بطابع العدالة في التوزيع وتزيل عنها الصبغة الاحتكارية التي داب الاستعمار عليها حين من الدهر .

نعم لقد وقعت التجربة الاشتراكية في افريقيا بيد ان بعض خططها منيت بالفشل ولماذا ؟ لانها لم تكن اشتراكية تقنية ، ثم وطنية بعد ذلك انها لم تكن تقنية لان التقنية تقضي الاناة التي تلتزم المبدا الثوري في مراحل تكوين المجتمعات من ظروف التخلف، ولكنها لا تغفل في نفس الوقت مناهج العلم الحديث التي تستلزم مفاهيم القرن العشرين التقيد بها والعمل على ان تكون الروح الثورية عاملة بمقاييسها وذلك مجاراة للترابط الدولي الذي لابد من مراعاته ووضع الحساب لمقتضيات نتائجه وعواقبه .

ولابد هنا من ابراز حقيقة لابد من ان تبرزها الا وهي ان الثورية لا تناقض في شيء المناهج العلمية والاساليب التقنية التي يجب ان يخضع لها كل تخطيط من مخططات النمو الاقتصادي فالثورية انطلاقة ولكنها انطلاقة يجب ان تستوحي ترتيب

خطواتها من الوازع الوطني في حين ان المناهج العلمية والاساليب التقنية يجب ان تتحكم هي الاخرى في ارقام السرعة لكل انطلاقة في ميادين النمو الاقتصادي ثم انه لابد من تنحية مركب النقص الذي يوهم بان ضبط التوقيت في التخطيط الاشتراكي ومراعاة مختلف التيارات العالمية يعد خصوصا لايديولوجية رجعية هي ايضا قبل ذلك وبعد ذلك المحافظة على كل مكسب وطني وتدبيره تدبيرا يساعد على النمو ويجنب الزج بالوطن في مازق قد تكون عاقبته الافلاس .

اذا كان من الممكن غض الطرف عن اخطاء الاشتراكية في شكليات الحكم فانه يكون من المتعذر حقا غض الطرف عن اخطاء اشتراكية في التصاميم الاقتصادية التي يتصل امرها بين الشعوب وتحويلها من مرحلة الاستعمار الى مرحلة عهود الاستقلال ، مع ان العلم بان اشتراكية الحكم ترتبط باشتراكية النمو الاقتصادي وان كانت عواقب الخطأ تختلف عن بعضها في الحالتين وبحكم هذا الارتباط فان مشكلا اخر برز في الدول الافريقية وهو مشكل الملاءمة فيما بين الاشتراكية والديمقراطية سواء في شكليات الحكم او في برامج التخطيط التي تسهر تلك التشكيلات على تطبيقها ؛ فهل امكن وهل يمكن الجمع بين الاشتراكية والديمقراطية في الاقطار الافريقية ؟ وهل يبقى للديمقراطية مدلول في ظل حكم اشتراكي وهل تصلح ديمقراطية الغرب لانظمة الحكم بافريقيا ؟ انني اعطي الكلمة للجواب على هذه الاسئلة الى خبير افريقي هو السيد رني هاندن الذي يلخص هذه الاسئلة في سؤال ثم يجيب عليه بكل تفصيل ، والسؤال الذي وضعه هذا الخبير هو « هل للديمقراطية مستقبل في افريقيا ؟ » ثم يجيب :

« ان جميع الامم الافريقية تقريبا تكرم فكرة الديمقراطية ومع ذلك يجابه معظمها اخطر المصاعب في تطبيقها ، وفي معظم هذه البلدان التي نالت استقلالها منذ سنوات قليلة قامت في البداية انظمة برلمانية من مجالس تشريعية منتخبة وقضاء مستقل ، بل ونظام حزبي في بعضها الا انها — يقول السيد هاندن اخذت تواجه تفككا في مؤسسات ديمقراطية بدرجات متفاوتة حتى انه ليمكن القول ان النظام الديمقراطي لا يسير بصورة مرضية الا في دولتين من اصل ما يزيد على اربع وعشرين دولة افريقية ، ويكتشف هذا التفكك عن نفسه في في حالتين من التطور يحصلان عادة بعيد الاستقلال ، اولاهما انخفاض سلطة الهيئة التشريعية ونفوذها ان هنالك واقعا لا يمكن اخفاؤه او التستر عليه الا وهو ان اعضاء الهيئة التشريعية المنتخبين في بلد متطور تنقصه الخبرة ، قد يفتقرون الى التدريب الضروري لانجاز مهماتهم انجازا صحيحا وكاملا ، غير انه في النادر ما تتوفر فيه المعرفة الكافية لفحص التشريع ونقده نقد خبير ، وتلك هي المهمة الاولى والاساسية في المشرع ، ثم ان مجتمعات ما يزال يسودها البغض الشديد للقبيلة قد تجد صعوبات كثيرة في مجابهات الضغط الاقليمي او القبلي وفي اعطاء الاولية لمصلحة الامة ككل ، وحيث تكون الحاجة ماسة لبناء الامة وتطوير الاقتصاد كما هو الشان في افريقيا فان الهيئة التنفيذية تشعر بانها في حالة اضطرار لان تكتسب المزيد من السلطات التي تمكنها من العمل بنشاط وقد يوجد هنالك ما يغريها لتجاوز الهيئة التشريعية التي ما تلبث ان تفقد ثقة الشعب .

هذه هي الحالة الاولى من الحالتين المشار اليهما .

اما الحالة الثانية فتتلخص في انه خلال الصراع من اجل الاستقلال اتحدت جميع القوى في حركة قوية واحدة وكثيرا ما كانت هذه الحركة موحدة تسير بقيادة زعيم واحد ، فلما جاء الاستقلال اصبحت الحركة الناجحة هي الحزب الحاكم ، وربما احرز هذا الحزب جميع المقاعد في المجلس التشريعي المنتخب حتى اذا ما قامت احزاب معارضة واستطاعت البقاء في مرحلة الانتقال الى الاستقلال لم تستطع الدولة الجديدة ان تهضمها بسهولة ، وهكذا فاما ان تلصق بزعمائها صبغة الخيانة لا لشيء الا لانهم المحررون المنتصرون ؛ واما ان يقع الاصطدام فيوضع المعارضون السجون ويقصون الى المنافي وفي النهاية قد يلتحق البعض منهم بحزب الحكومة ، وهكذا اصبحت الاحزاب المعارضة بشكل عام تؤول الى الزوال ، فليس من العجيب بالنظر لهذا الوضع ان اصبح العديد من الملاحظين السياسيين يتنبأون للديمقراطية في افريقيا بمصير قاتم . »

تلك هي ازمة الديمقراطية في شكليات الحكم التي تعاني منها افريقيا ما تعانيه .

بعد هذا تاتي اكثر المشكلات صعوبة وهي تتفق هل الديمقراطية في الامم الحديثة مع النمو الاقتصادي

السريع ؟ وهل يجب ان تكون هنالك حكومات مركزية متوفرة على سلطات ديكتاتورية لتخطيط الاقتصاد وتوجيهه مهما تكن الاحوال ؟

هذان السؤالان نجد الجواب عليهما عند خبيرين في الشؤون الافريقية هما ويتمان روستو استاذ اختصاصي في التيقنولوجية والاستاذ آرثر الويس الذي كان يعمل مستشارا للدكتور نكرومة وقد وضع الاول هذه المشكلة في نطاق ابعادها التاريخية ، وتتلخص نظريته في انه يحدد خمس مراحل للنمو وهذه المراحل تجتازها البلدان المتخلفة في اوقات مختلفة .

فهنالك المجتمع التقليدي المبني على العلم السابق لنيوتين ، والمعنى بالزراعة على العموم ، وهو مجتمع توجد فيه الصناعة محدودة ، لانعدام المعرفة العلمية، ثم تاتي المرحلة التي يكتمل فيها شكل ما يسميه الاستاذ روستو « بالاوضاع المهيئة للانطلاق » حيث يستعد الاقتصاد الى القفزة العظيمة الى الامام ، ويتم الوصول الى هذه المرحلة نتيجة للتطبيقات الاولى للعلم الحديث ولتوسيع السوق العالمية او تدخل حضارات اكثر تقدما ، وهنا تبدا الصناعة الحديثة ويتم تطوير المعارف والتجارة وينمو النقل وتنشا الدولة المركزية وهذه المرحلة التي يمر فيها قسم كبير من افريقيا اليوم .

ثم تاتي المرحلة الثالثة ، الخطيرة ، والحاسمة: وهي الانطلاق نفسه ، وهناك محركان رئيسيان للانطلاق ، هما : التقدم التقنولوجي ، وسيطرة قوى التقدم على المجتمع والتغلب على المقاومة المحافظة ، ومما يميز هذه المرحلة بصورة خاصة هو ان توظيف المال وادخاره يرتفعان من اقل من خمسة بالمائة من الدخل القومي الى عشرة واثنتي عشرة بالمائة بحيث ان التغييرات الثورية في بنيان الصناعة وحجم الانتاج تصبح ممكنة ، ويعود الانطلاق في بريطانيا الى نهاية القرن الثامن عشر ، وفي فرنسا والولايات المتحدة الى منتصف القرن التاسع عشر ، وفي المانيا الى الربع الثالث من القرن التاسع عشر .
اما في افريقيا فانه لم يات بعد :

وتعقب المرحلة هذه مرحلتان اخريتان : اولاهما « الاندفاع نحو النضج » عندما تنمي الاساليب الحديثة لتشمل الاقتصاد كله ، وقد يزداد توظيف المال الى 20 بالمائة من الدخل القومي ، وتزداد سرعة الانتاج لتتعدى الزيادة في السكان ، ويتم بلوغ النضج بعد حوالي ستين من ابتداء الانطلاق ، وياتي في النهاية عصر الاستهلاك العام الواسع ، وذلك عندما يتجاوز الاستهلاك الاحتياجات الاساسية ويقفز انتاج سلع الاستهلاك غير القابلة للعطب هذا عندما يطرأ نمو سريع على نسبة السكان في المدن وتزداد نسبة عمال المكاتب والعمال المهرة زيادة على العمال اليدويين وغير الماهرين ، وهنا لا يعود استمرار توسيع التقنولوجيا هدفا ملحا من اهداف الامة، بل ينصب الاهتمام على رفاهية المجتمع ومتطلبات اوقات الفراغ وربما على العائلات الاكبر عددا وكانت الولايات المتحدة اول من بلغ مرحلة الاستهلاك العام على نطاق واسع ، وذلك في العقد الثالث من القرن الحالي ،واندفع الاستهلاك العام الواسع النطاق الى نهايته المنطقية بعد الحرب العالمية الثانية ، وفي العقد السادس من القرن الحالي دخلت المرحلة عينها الى كل من اوربا الغربية واليابان ، وتقف روسيا اليوم على العتبة .

اما الاستاذ ارتر لويس فيقول في الموضوع :

ان الحجة ضد التخطيط المركزي المفصل هي انه لا ديمقراطي ، وانه بيروقراطي غير مرن ومعرض لاخطاء وبلبلة عظيمة فضلا عن انه غير ضروري وهناك ما يدعونا الى تاييد فكرة التخطيط شيئا فشيئا ، اي التركيز على بضع مسائل يراد التاثير فيها بصورة خاصة ، مثل مستوى الصادرات او تكوين راس المال ، او الانتاج الصناعي او انتاج الاغذية ، وترك بقية الاقتصاد ليكيف نفسه حسب العرض والطلب ، وهناك ضرورة لبعض التخطيط ، اذ ان نتائج العرض والطلب غير مقبولة كليا اجتماعيا .

لكن يمكن حصر التخطيط في تلك المجالات التي يعتبر فيها ذا اهمية بالغة لتعديل النتائج التي يجب ان تعطيها قوى السوق العاملة وحدها » .

وفي مكان آخر يكتب قائلا ان الحكومات قد تحد بالفعل من النمو الاقتصادي عن طريق الاكثار من التخطيط والتدخل وهي تفعل ذلك عن طريق منع الناس من ممارسة المبادرة والاستجابة للحس السليم .

ان الاتحاد السوفياتي يرد نجاحه الاقتصادي الى التخطيط المركزي لكن ذلك يعد خطا فان نجاحه

يعود الى مستوى عال من التكوين الراسمالي كالذي تم تحقيقه في اليابان دون نوع التخطيط الروسي .. فلو سمح بمزيد من المبادرة في الاتحاد السوفياتي لكانت نوعية الخدمات التي تلقاها المستهلك افضل بكثير ، ذلك ان الموارد عينها الانتاج الزراعي تكون اضخم بكثير ، ان المشكلات الحكومية في الحياة الاقتصادية هي اكتشاف الطريق الصحيح بين التخطيط الزائد والتخطيط الناقص ، وبين التاميم الزائد والتاميم الناقص .

اذا كانت هذه هي الحقيقة فيما يتعلق بالنمو الاقتصادي ، فلماذا يطلب من الناس التضحية بحرياتهم من اجل انظمة قاسية لا ترحم ؟ لماذا تسمع باستمرار الاسطورة القائلة ان النمو الاقتصادي يعتمد على التخطيط التوتاليتاري ؟ قد تدعو الحاجة الى وجود حكومة مركزية قوية ، ولكن ليس في شروط النمو الاقتصادي ما يتطلب التخلي عن حكم القانون وخنق الحريات المدنية الاساسية ، ان عدم فهم هذ ه الحقيقة الجوهرية قد سبق ان ادى الى آلام عظيمة على نطاق واسع في البلدان الشيوعية في اوروبا وآسيا ، وهي قد تؤدي الى النتائج المفجعة عينها في افريقيا ، فما ان تسلم الحرية الى حكم مستبد حتى لا تعود هناك اية ضمانة لاستردادها.

وهكذا فان استنتاجات ثلاثة تبرز من خلال هذين الرايين :

اولا ، يجب عدم الخلط بين الديمقراطية في قيمها المبنية على احترام الشخصية الانسانية اما المؤسسات التي تصون هذه القيم فهي قابلة للتنوع والمرونة ، ولكل بلد ان يختار الاشكال التي تناسبه ، والحد الادنى للمؤسسات الديمقراطية - الذي لا يمكن بدونه لاي نظام على الاطلاق ان يسمى ديموقراطية - هو : مجلس تمثيلي وحريات مدنية ، وحكم القانون ، واما وجود المعارضة المنظمة فلا حاجة لتضمينه الحد الادنى ، شريطة ان يسمح الحزب المسيطر بممارسة الحريات اللازمة داخل صفوفه .

ثانيا - ليس في هذا المفهوم الواسع للديمقراطية ما يتعارض مع التقاليد الافريقية مع العلم بان المؤسسات تتخذ شكلا مختلفا عندما تنتقل من الوحدة القبلية الصغيرة الى الامة - الدولة الحديثة .

ثالثا - الاعتقاد بان التوتاليتاري ضروري للنمو الاقتصادي السريع اعتقاد لا يدعمه التاريخ ولا تؤيده الدراسة الموضوعية المجردة لما يحدث في العالم اليوم ، ان تدخل الحكومة ضروري ، والتخطيط ضروري ، لكن ليس الى ذلك الحد الصارم الذي يجعل الانماء المتحقق بالقوة والدفع متعارضا مع الحكم الديمقراطي .

**للبحث بقية - احمد زياد**






للأستاذ : حسن محمد الطريبق

دخل احد الادباء الى مكتبة كبيرة في لندن وطلب من صاحبها كتاب : ( ما حققه ت. س. اليوت ) فاجابه « الكتبي » في احتقار : ( وهل حقق شيئا ؟ .. ) ، فخرج الاديب في غاية الانفعال ليسجل انطباعه عن هذا الجواب في مقالة طريفة .

اتيت بهذا الخبر لاؤكد على ضوئه ان هناك كثيرا من الناس من يغمطون الادباء كل فضل ويحتقرونهم ، وينظرون الى انتاجهم نظرة متعالية ، وابرز ما تنطوي عليه هو الرفض المطلق للحقيقة ، والاصرار على عدم الاقرار بالواقع ، وليس معنى هذا ان الناس يشتركون جميعا في الظهور بها ، ولكننا نلحظها بالخصوص في كتابة من هم على مستوى ثقافي محدود او من هم دون هذا المستوى المحدود ممن ينظرون الى غيرهم فيجدونهم يتوفرون على قدرات كبيرة ، وعلى طاقات غابة تتوفر لها كل اسباب الخلق والابداع ، فيتطلعون الى مواكبة اصحابها ويحاولون اللحاق بهم بدون سابق عمل ، غير انهم سرعان ما يتعثرون في وحل واقعهم ويشعرون بالخيبة المريرة ، ويتسرب اليأس الى نفوسهم ، وينقلب اعجابهم بهؤلاء الى كراهية مطلقة ، بل انهم يذهبون الى ابعد من ذلك ، بحيث تصبح نظرتهم تفيض بالنقمة والكراهية لكل عمل فني ، وكيفما كان ، ولا يميزون بين الجودة والضحالة ، فهم بكل بساطة يتحولون الى اشخاص ناقمين ، ساخطين تسيطر عليهم روح الانانية والشر ويشذون عن القاعدة العامة ، وتصبح افكارهم كافكار المجانين ، ولكنهم ، وبدافع الأنا المسيطرة عليهم يضعون انفسهم في منزلة لا تقرها لهم ثقافة ، ولا تدعمها مؤهلات مناسبة ، وصاحب المكتبة الذي ذكرناه من صنف هؤلاء ، وبجوابه القصير افصح عن هويته ، واستطعنا ان نعرف نوع الروح المخبوءة تحت لسانه .

في انجلترا لا يجد امثال صاحبنا اي سند وتتكشف حقيقتهم بسرعة ، وليس لهم اي خطر على مستقبل الثقافة هناك ، اما عندنا في المغرب فان لهم صولة واي صولة ، وهم من الكثرة بحيث اصبح لارائهم وزنها الثقيل واصبحوا يتقدمون بكل جرأة الى تقييم الحركة الادبية المعاصرة ، ويجدون السند اللازم في كل ما يكتبونه عن هذه الحركة المسكينة من «دراسات» و « ابحاث » ، وبشجاعة نادرة يخرجون على الناس بافكارهم الفجة وبكتاباتهم الناشزة ، وكأنهم بذلك يريدون ان يقحموا الكلمة النقية الطيبة في دنيا الانحراف والزيف ، ويمرغوها وسط حمأة السطحية والجهل .

انا لا اتحامل ، ويشهد الله انني في غاية الهدوء ، وليس من طبيعي ان ارد بالعنف ، ولكن الحقيقة احيانا تفرض علي ان اكون جد صريح فيما اقوله ، لهذا اؤكد ان « ميزان» السيد محمد الشعرة في العدد الماضي لم تكن فيه غير كفة واحدة ، وينم على ان صاحبه — وان كنت لا اقول بانه من نوع رفيقنا صاحب المكتبة ، فان كتابته هذه المرة شبيهة بما قاله صاحبنا عن كتاب « اليوت » .. والا فما معنى هذه الاحكام المطلقة الجريئة التي اتى بها في تقييمه للعدد المذكور ؟ .. ان اهم ما يحتاج اليه الناقد هو الثقافة الغزيرة الواسعة ، والممارسة الطويلة المستمرة ، والذوق الجميل ، والموهبة

الفنية ، والاستعداد النفسي اللازم ، لهذا ليس بوسع كل واحد ان يكون ناقدا ، ووافقني جدا ان ينتبه السيد الشعرة الى هذه النقطة عند ما قال : « ان النقد اختصاص قبل كل شيء » ، ولكنه عاد وانقاد وراء القلم ليتيه في فذلكة فارغة وليلوك لسانه كلاما غير مفيد ، ومن غير ان اخوض في مسالة الاختصاص او امثال السيد « الشعرة » عن نوع اختصاصه ، اوكد ان الناقد لا ينبغي ان يتكيء على ذاته ويمزج بين ما يكتبه عن غيره وبين ما ينتابه من انفعالات ذاتية ، لان ذلك يفسد النقد ويجعله خاضعا لمختلف التأثرات التي توحي بها اللحظة ، ولكـي يحفظ الانسان نفسه من الوقوع في شرك ذاته يجب ان يكون اخلاقيا ، مثقفا ، وليس معنى هـذا انني اعتبر الثقافة هي كل شيء في الموضوع ، ولكنني اعتبرها عنصرا مهما يتكامل مع غيره من العناصر الاسس الضرورية للنقد ، بمعنى ان النقد ليس عملية اسقاط للثقافات على الاعمال الادبية ، وانما هو استعانة بها لفهم هذه الاعمال، اما مهمة التقييم فتبقى موكولة للذوق ، لان مهمة الثقافات هي صقل الذوق وتعميقه ، ولا اريد ان اشرح هذه النقطة لانها من البديهيات والمسلمات . وقد حاولت مرات عديدة وبكل هدوء ان استكشف عن هوية السيد « الشعرة » من خلال صدفات « نقده » ، ووجدت كتابته عبارة عن تحامل كبير صيغ في قالب لفظي نافر ووجدته يقفز الى استنتاجات وهمية تشبه تلك التي يستنتجها اولئك الذين لا يزالون في اول عهدهم بالقلم

وتسالني : ( ما ذا قال في نقده ؟ ) واجيبك : ( ان ما قاله كثير ، وتعمد ان يقحم فيه اشخاصا آخرين خارجين عن نطاق ديوان العدد الماضي

وساقتصر هنا على اثبات ضعف آرائه فيما ذكره بخصوص قصيدتي ( مع البحر ) المنشورة بالعدد الماضي.

فما ذا قال عنها ؟ . قال : « البحر هذا الموجود العظيم الهائل ، والزاخر بالحياة والموت هذه المتاهات من المياه .. البحر هذا القاذف بامواجه ابدا الى الشاطيء ، بمائه الازرق ، وزبده الابيض الهش . الصامت آنا ، المصطخب احيانا .. هذا كله ، وغيره ، ما ذا تراه يفعل في قلب الشاعر وعينه وحسه .. ذلك ما اراد ان يقوله لنا الاستاذ حسن الطريق .. فهل افلح ؟ يجدر بي ان اقول ان الموضوع قديم » . يظهر ان « ناقدنا » لم يحاول ان يستكشف عن عالم نفسه ، ولـم يحاول ان يفهم ان كل انسان يحمل في داخله عالما اوسع من البحر ، وقد يرى الشاعر الكون كله في نفسه، ولا اريد ان اختلق تعليلا لما يقوله الشاعر عن نفسه ، وان كان « اليوت » قد شرح هذه القضية شرحا جميلا عند ما اوضح ان الشاعر عند ما يهم بكتابة قصيدة ما فانه يحس بشيء في داخله لا يفهمه ، فيدأب على الكتابة ليتي بما اسماه بالمقابل الموضوعي لهذا الشيء الغامض ، وقد يكون ا حب من السماء او اوسع من البحر ، ورحم الله الشاعر على قولـه :

وحسبي بنفسي عالما لو كشفته
تعجبت مما سوف يحمله القبر

فالمسالة تعود الى الاحساس ، ولا احب ان اجهد نفسي في تفسير احساسي وكيف كان في اللحظة التي كتبت فيها هذه القصيدة ، لانني مهما حاولت ان آتي بتفسير يماثل ما جاء في القصيدة ، واتأسف لكون السيد « الشعرة » لم يفهمني من خلالها . !

وقال ايضا : « وان كان لي من طلب على الشاعر فهو ان يحاول ـ ارجوه ـ التخلص من هذه العواطف المبتذلة « المضوغة » بين فكي كل من هب ودب ، وان يسمو بنفسه الى الاعلى شيئا حتى ينقذ نفسه مما قد يتورط فيه : « ان تدوسه عجلة العصر المسرعة » فلما ذا مثلا هذه اللهجة الخطابية القديمة :

يا بحر ، كم تهتاجني وتثيرني
زفرات قلبك حين تصطفق المياه

يا بحر ، يا مهد الخيال وسره
يا مقلة الاوهام يا لغز الحياة

نعم انها كانت في يوم تثير الاعصاب وتوقظ كوامن الشعور ، اما اليوم فلا )

اما عن العواطف فانني لا استطيع ان احقق «رجاء» السيد « الشعرة » لعذر قاهر ، هو انها عواطفي الخاصة ، ولا يهمني ان ان يقول عنها انها قديمة ، لانها ليست قديمة ، ولم اشعر بها الا في شهر يناير من سنة 66 . ! فلو كان هذا هو المنطق ، السائد لقلنا ان الشمس قديمة ويجب ان نعرض عن رؤيتها في عالم القرن

العشرين ، ولقلنا ان ءادم قد تالم كثيرا عند ما قتل احد ابنائه الاخر ، ولا ينبغي ان نتالم نحن ايضا ، ولقلنا ان الفرح كان موجودا عند قدماء المصريين وغير المصريين ، وينبغي ان لا نفرح اليوم لان الفرح قديم ! . انه منطق غريب يدعو اليه « ناقدنا الجديد » وهو ابتكار خارق في مجال النقد ، وهو تدخل سافر في الاحساس الخاص والدوافع الخاصة .

اما عن الابيات التي قال انها جاءت في لهجة خطابية ، فلا اعرف ما ذا يقصد بالخطابية ، الخطبة ام الخطاب . فاذا كان يقصد الاولى فان نظرة عجلى اليها تكفي لتدحض زعمه ، واذا كان يريد الخطاب فاننا نجد شعراء اصبحوا روادا للشعر الحديث ياتون بهذه اللهجة ، خذ مثلا المرحوم بدر شاكر السياب ، انه في احسن قصائده على الاطلاق ــ انشودة المطر ــ يقول :

اصيح بالخليج : « يا خليج

يا واهب اللوءلوء والمحار والردى » الخ .

فهل افسدت هذه اللهجة قصيدة السياب . ؟ وهل يكفي وجودها ليجعلنا نحكم بانها قديمة . ؟ انني لاتساءل في اندهاش : « كيف سمح السيد « الشعرة » لنفسه باصدار هذه الاحكام التجريدية الجريئة . ؟ في ظني انها صدى مبحوح لما تنشره المجلات الشرقية مثل « الشعر » و « الاداب » و « حوار » مع فارق كبير ، هو ان ما تحمله هذه المجلات من دراسات يكون موازيا لنوع الانتاج المقصود بالنقد ، وطبيعي انه يختلف في كل شيء عن انتاجنا بحكم تاثير البيئة ، وبحكم عوامل اخرى كثيرة لا يسمح المجال بعرضها ، وطبيعي ايضا ان صداها عند امثال صاحبنا تعتريه عوامل كثيرة تفقده ما له من طعام ولذلك ينعكس عندهم في صورة غريبة مشوهة، لا تعبر عن شيء اطلاقا ، فهم لا ينظرون الى الخلفية النفسية للشاعر من خلال شعره ، ولا يبحثون في امر الابعاد التعبيرية والفكرية في القصيدة ، ولكنهم يذهبون الى تلك المجلات ليأخذوا منها « كلشيهات » جاهزة وحسب الحجم المطلوب .

كلمة اخيرة ، وهي انني كنت قد عزمت على ان لا اتصدى للرد على انتقادات السيد الشعرة لعدم قيمتها عندي ، ولكن قيمة هذه المجلة المحترمة ، ومكانة قرائها الكرام ، هي التي جعلتني لا اقبل التغاضي والسكوت . واتمنى ان يتقبل السيد الشعرة هذا الرد بما يجب ، وليتأكد انني اتبعت في كتابته الحكمة البلاغية القائلة : « لكل مقام مقال » ، وقد كان مقام « نقده » جديرا بهذا الرد السريع ، وشكرا له سلفا عن حسن « عنايته » وعلى حسن « نيته » ايضا . !

**العرائش ــ حسن محمد الطريبق**

# القضاء عند العرب

للاستاذ : محمد شمس الدين
مستشار محكمة الاستيناف بطرابلس - لبنان

عرف العرب القضاء احد مقومات دولتهم الكبيرة، موسسة تطورت وازدهرت ولم تلبث بعامل التفاعل الحضاري والنمو الذاتي ان اصبحت في اواسط العصر العباسي على شان عظيم من الرقي تنظيما وشمولا .

ولا بد للباحث في تاريخ القضاء عند العرب من ان يرجع قليلا الى ما قبل الاسلام حيث لم يكن للقضاء شخصية مميزة ، وحيث كان نظام التحكيم السائد انذاك، هو كل شيء .

والواقع ان التحكيم على ما عرفته الجاهلية لا يعد قضاء بالمعنى الموضوعي والاصطلاحي وانما يصح اعتباره مخرجا يلجأ اليه المتخاصمون لحل قضاياهم ، يرتكز عنصر « الالزام » فيه على رضى الطرفين وليس على القوة التي يتمتع بها حكم القاضي اذ ينفذ بالاكراه عند التمنع

ولمعرفة ميزات كل من القضاء والتحكيم على وجه دقيق نذكر الفوارق التالية :

اولا — القضاء منصب رسمي ومظهر من مظاهر الدولة وتنظيماتها ، اما نظام التحكيم فعماده افراد مختارون من قبل الناس لفض النزاعات التي يعرضها ذوو العلاقة ، بمعنى ان القاضي يضع يديه على الخلاف تلقائيا وباسم الدولة ، بينما يظل المحكم بعيدا عن المشكلة حتى تعرض عليه ويقبل بها .

ثانيا — لا اثر للالزام في التحكيم اذ باستطاعة احد الطرفين ان لا يحضر مجلس الحكم ، اما في القضاء فان للقاضي سلطان السير في المحاكمة بغياب المدعى عليه

ثالثا — في حال صدور قرار من قبل المحكم . يبقى الخيار للطرفين المتخاصمين في تنفيذ القرار او اهماله او الانتقال الى محكم ثان ، فثالث . فالولاية هنا مرهونة برضى المتخاصمين ، اما قرار القاضي فله حرمته وقوته الملزمة المؤيدة بسلطة الدولة .

يتبين مما تقدم ان التحكيم يستمد مقوماته من تراضي المتخاصمين ، بينما يرتكز القضاء على عنصر الالزام في المحاكمة والتنفيذ كمااسلفنا ...

ولا نكران في انه كانت عند العرب طائفة من المحكمين اشتهرت بسعة الاطلاع ونفوذ الفكر وقرة الاستنتاج والتجرد والنزاهة عرف منهم بنوسهم في مكة والاقرع بن حابس واكثم بن صيفي وعبد المطلب بن هشم جد النبي وهند الايادية وحذام بنت الريان التي قيل عنها :

اذا قالت حذام فصدقوها
فان القول ما قالت حذام

على انه في سياق الكلام على التحكيم والمحكمين في العصر الجاهلي لا محيد عن ذكر رئيس العشيرة الذي كان يفصل بحكم منصبه بين الافراد التابعين له خشية اضطراب حبل الامن داخل العشيرة وكذلك فان الكهان والعرافين كانوا مفزع كثير من المتخاصمين .

كل هذا اذا لم يتعد الخلاف افراد القبيلة او العشيرة الواحدة ، اما اذا كان مدار الخلاف افرادا من

عدة قبائل فالحكم هو السيف وما يستتبعه من حرب وافناء ودمار ، وليست عادة الثار والتربص للقاتل او لاحد افراد عشيرته بغية اراقة دمه الا شاهدا على صورة قائمة من صور الحياة الاجتماعية في عصر الجاهلية ...

**النبي والقضاء :**

في مطلع العهد الاسلامي كانت لا تزال تهيمن على الناس عادات الجاهلية فهناك التحكيم وهناك الاقتصاص بالذات ، وهناك اللجوء الى الكهان ، وكانوا يحتكمون الى الرسول (ص) دون ان يكونوا ملزمين بما حكم به ، واستمرت الحال على هذا المنوال حتى نزلت الاية الكريمة : « فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » وقيل ان سبب نزول هذه الاية الحادثة التالية :

اختصم رجلان الى رسول الله (ص) فقضى بينهما فقال الذي قضى عليه :

ردنا على عمر بن الخطاب

فقال عمر : اكذاك ؟؟

قال : نعم

قال عمر : مكانكما حتى اخرج اليكما فقضي بينكما

فخرج اليهما مشتملا على سيفه فضرب الذي قال ردنا الى عمر فقتله . وعلى هذا اصبح لحكم الرسول قوة ملزمة بمقتضى الاية المشار اليها ، « وسلموا تسليما » وبذلك تكون صفة جوهرية من صفات القضاء قد تحققت.

واذا كان المحكم من قبل غير قدر على اجبار اي من الطرفين بالحضور لديه الا اذا رضي الطرف الاخر ، فقد اصبح الرسول يجبر محكميه على ان يحضروا ، بعد نزول الاية :

«واذا دعوا الله والرسول ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون ، وان يكن لهم الحق ياتوا اليه مذعنين . افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله . بل اولئك هم الظالمون . انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا : سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون » .

وهذه هي الخطوة الثانية نحو القضاء .

ـ الاولى هي ان حكم الرسول اصبح ملزما .

ـ الثانية ان واحدا من الخصمين اذا دعا الى الرسول وجب على خصمه ان يلبي دعوته ولا ضرورة الى وقوع التراضي بينهما على ذلك من قبل .

« خطوتان لم يكن الناس في زمن النبي يحتاجون الى اكثر منها وبهما تمت صفتا القضاء الجوهريتان فالخصم يلزمه خصمه بالمسير الى النبي . والنبي يلزم الخصمين معا بحكمه » وبذلك تسقط حجة الذين زعموا ان العرب لم يعرفوا القضاء بل انهم اقتبسوه عن الامم التي تغلبوا عليها كالفرس والرمان .

**التنظيم القضائي :**

ليس في المصادر اية اشارة جازمة الى اول من تولى منصب « قاضي » اذ ان النبي حين كان يقضي بين الناس فانما كان يعمد الى ذلك بحكم ما تنطوي عليه شخصيته من سلطة زمنية وروحية ، واذا كان بعض المؤرخين قد ذهبوا الى القول بان علي بن ابي طالب ومعاذ بن جبل اللذين ولاهما الرسول على اليمن ، هما اول قاضيين في الاسلام ، فلانهم كانوا يرون ان القضاء بين الناس هو من اكبر مهمات الوالي في الولاية التي يدير شؤونها.

على ان الامر يختلف في عهد الخلفاء الراشدين حيث يجمع المؤلفون على ان عمر بن الخطاب هو اول من عين قاضيا ،ومن هذا القبيل نقرا في مؤلف الكتاني ، ما اتخذ رسول الله قاضيا ولا ابو بكر ولا عمر حتى كان في وسط خلافة عمر اذ قال لعلي : اكفني بعض الامور ، لان عليا كان اقضى الصحابة واعلمهم ودفع اليه امر القضاء في بعض الامور » .

وقد سار معاوية على هذا النهج فتخلى عن القضاء وترك امره الى بعض الرجال الذين كانوا على مقدرة في الفقه وامور الدين ، وتمشى سائر الخلفاء الامويين على هذا النمط فولوا القضاة على الامصار .

واختلف الامر في العصر العباسي حيث استحدث الخلفاء منصب « قاضي القضاة » الذي تولاه « ابو يوسف» واوكلوا اليه امر انتقاء القضاة وتعيينهم وبذلك اصبح للقضاء استقلاله ومؤسسته الخاصة به .

## صلاحية القضـــاة :

كانت صلاحية القاضي باديء الامر مقتصـرة على القضايا المدنية والشرعية ثم اخذت تزداد سعـة وشمولا حتى اصبحت تتناول كافة الامور المعروفة في عصرنـــا وحصرها بعضهم بالمسائل التالية :

1 ـ النظر في الخلافات الحقوقية بين المتخاصمين

2 ـ النظر في الدعاوي الجزائيـة وهـي التـي يرفعها المتضررون او المتعلقة بالحق العام .

3 ـ النظر في تنفيذ الاحكام المقضي بها .

4 ـ النظر في الحجـر على السفهـاء والمبذرين والولاية على القاصرين

5 ـ النظر في تزويج الايامى اذا امسك اولياؤهن عن تزويجهن .

6 ـ تصفح احوال الشهود وتزكيتهم .

7 ـ النظر في امور الاوقاف وتولية المتولين عليها

وفيما يخص الصلاحية المكانية فقد كان القاضي يولى على مدينـة بكاملها ، بكامل او ببعض الامـور المحكى عنها انفـا او يعهـد اليه بالقضاء في جـزء من المدينة ، لمدة معينة .

وكان اسلوب ، القاضي الفرد هو المعول عليه ولم تشر امهات الكتب الى نظام محاكم الجماعـة ، الا ان بعض المؤرخين يذكرون انه اذا اشكل امر هام ، فان عددا من كبار القضاة كان يجتمع لدرسه واعطاء الحل الملائم على غرار ما نعرفه في عصرنـا الحاضـر حيـن تجتمع غرف محكمة التمييز « النقض والابرام » بكاملها للنظر في توحيد الراي .

## مظاهـر القضـــاء :

كان القاضي يجلس للفصـل بين الناس امـا في المسجد او في منزله او في مكان يعرف بدار القضاء . وكان القضاة يعنون بمظهرهم ويديرون مجلس الحكم بوقار وهيبة ويتخذون كتابا لتسجيـل الوقائـع وضبط الافادات ، وحجابا لتبليغ اصحاب الدعاوي ، كما كانوا يساوون في مجلسهم بيـن المتخاصميـن وينظـرون في الخصومات بترتيب ودون محاباة ...

وكانوا يتمتعون بحصانة ضد النقل والعزل الا في الحالات النادرة ، ويروى في هذا الصدد ان الخليفة اذ ولى وزيـرا وقاضيا ثم مات ينعزل الوزيـر بموته ولا ينعزل القاضي باعتبار ان الوزير مرتبط بالخليفة فيذهب بذهابه ، اما القاضي فمرتبط بالامـة فلـذا يستمـر في منصبـــه ...

## طلـــب القضـــاء :

طالب الولاية لا يولى : تلـك هي القاعدة التـي كانت متبعة في تعيين القضاة ولذا كان على الخليفة او وكيله او قاضي القضاة ان يولي الكفء الصالح ، وكان العلماء يتورعون عن طلب القضاء نظرا لخطورة المنصب وعظيم المسؤولية ، ومن القصص الرائعة في هذا المجال ما حدث للامام الاعظم ابي حنيفة حين طلب اليـه ان يقبل منصب قاضي فرفض قائلا للخليفة المنصور :

اتق الله ولا ترع في امانتك الا من يخاف الله ، والله ما انا بمامون الرضى فكيف اكون مامون الغضب . ولو اتجه الحكـم عليـك ثم تهددنـي ان تغرقـي في الفرات او تلي الحكم لاخترت ان اغرق .

ولك حاشية يحتاجـون الى من يكرمهـم لك ولا اصلح لذلك .. فقال المنصور : كذبت . انت تصلح ..

فقال : قد حكمت لي على نفسك كيف يحل لـك ان تولي قاضيا على امانتك وهو كذاب .

ويقال ان المنصور حبسه ثم عاد فدعاه الى القضاء وهدده بالضرب فقبل .

## اسبـــاب الحكـم واصولـه :

لا نرى في ختام هذا البحث افضل من تثبيت رسالة عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري عاملـه على الكوفة التي تعد بحق دستورا للقضـاء ونبراسا للقضاة يسيرون على ضوئـه في مجلس الحكم وحين تدقيـق اضبارة الدعوى ..

« من عمر بن الخطاب الى ابي موسـى الاشعري عامله على الكوفة . اما بعد ، فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة ، فافهم اذا ادلي اليك ، وانفذ اذا تبين لك فانه لا ينفع تكلم بحق لا ينفذ ، وءاس بين الناس في

مجلسك ووجهك وعدلك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك . البينة على المدعي، واليمين على من انكر . والصلح جائز بين المسلمين ، الا صلحا احل حراما او حرم حلالا . ولا يمنعك قضاء قضيته بالامس ثم راجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك ان ترجع الى الحق فان الحق قديم والرجوع الى الحق خير من التمادي في الباطل . الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة ثم اعرف الامثال والاشباه وقس الامور بنظائرها واعمد الى احب الامور الى الله تعالى واشبهها بالحق فيما ترى واجعل لمن يدعي حقا غائبا او بينة اجلا ينتهي اليه فان احضر بينة اخذ بحقه والا وجهت عليه القضاء، فان ذلك اجلى للعمى وابلغ للعذر . والمسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلودا في حد او مجربا عليه شهادة زور او ظنينا في ولاء او نسب فان الله تعالى تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالبينات والايمان . واياك والقلق والضجر والتاذي بالناس والتنكر للخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الاجر ويحسن الذخر فانه من يصلح بينه وبين الله ولو على نفسه يكفه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزين للناس بغير ما يعلم الله منه شانه الله فما ظنك بثواب الله تعالى في عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام ».

**مصادر البحث :**

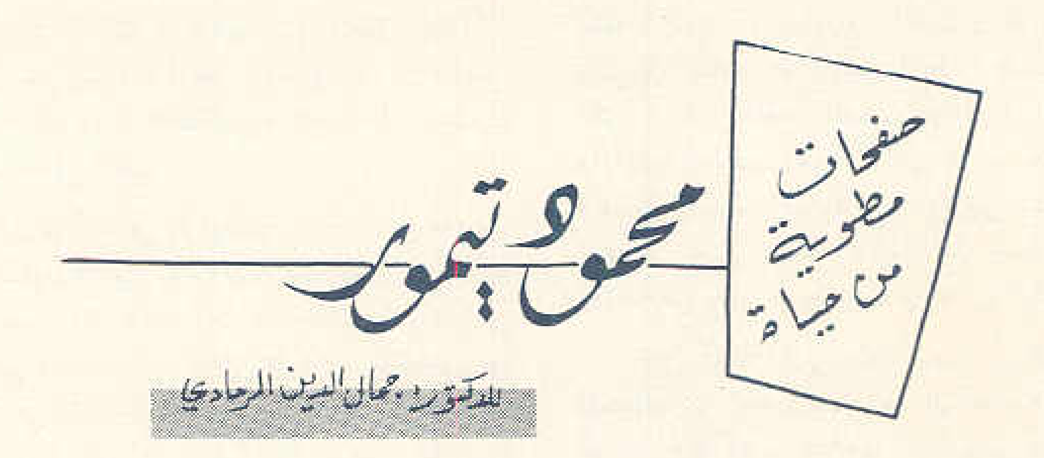

تاريخ بغداد لابن الخطيب
كتاب القضاة للكندي
عبقرية الاسلام للعجلاني
تاريخ الامم والملوك للطبري



**محمد شمس الدين**
مستشار محكمة استئناف
بطرابلس
لبنان


### الحمد لله .. على الاقل

كان يسكن في مدينة بغداد رجل كردي ورع ، كان لا ينقطع عن الصلاة في المسجد مع باقي المصلين في كل يوم .وكان بعد انقضاء كل صلاة يذكر « عبارة الحمد لله » مائة مرة ، ولكن الشيء الغريب من امره ، انه كان يعقب هذه العبارة دائما بعبارة «على الاقل» وساله الناس في احد الايام عن السبب الذي يدفعه الى شفع عبارة «الحمد لله» بعبارة «على الاقل» فقال لهم بانه وجد ذلك مكتوبا في كتاب شرع اقامة الصلوات ،وقال لهم بانه سوف يحضر لهم هذا الكتاب معه في المرة التالية ، لكي يقفوا على حقيقة قوله . ولما حضر في المرة التالية واطلعهم على الكتاب وجدوا فيه: «يجب بعد كل صلاة تلاوة عبارة الحمد لله مائة مرة ، على الاقل عشر مرات ».




عكف محمود تيمور في هذه الايام على كتابة القصة حتى اصبح لا يكاد يفارقها ، اللهم الا الى بحوث قصيرة في تيسير اللغة العربية ، والكتابة الانسانية ، وما الى ذلك ، وصحب سلوى في مهب الريح ، وكليوباترة في خان الخليلي ، وشفاه غليظة ، وابو علي عامل ارتيست ، ونداء المجهول ، وفرعون الصغير ، وعوالي ، ومكتوب على الجبين ، والمنقذة ، وحفلة شاي ، وغيرها من القصص والاقاصيص والمسرحيات باللغة العربية الفصيحة ، وباللغة العامية الدارجة ، كان في صدر شبابه شاعرا رقيقا ، ولكنه كان شاعرا من طراز جديد ، لا يحده بحر ، ولا تحده قافية ، كان يؤثر الشعر المنثور ويبثه خوالج نفسه ، ولواعج قلبه في اسلوب يفيض رقة وجمالا ، ويبعث سحرا حلالا ...

ويرى القارىء في القطع التي اخترناها له من شعره المنثور ، ان اسلوبه يتميز بثلاث سمات : البساطة ، والاحساس ، والاتقاد . وفسر الناقد « كولريدج » هذه السمات الاسلوبية بقوله : « اما عن البساطة فهي من جهة تنفي عن الشعر صعوبة الطرق العلمية ، وتقتفي طريقا مجهدا معبدا يمضي فيه القارىء دون مشقة ودون عسر ، ويسير فيه رافها وادعا الى جانبه الجداول بخريرها ، والاشجار بازاهيرها ، والمساكن باهليها ، مما يجعل ابتهاجه برحلته قدر اشتياقه الى بلوغ مقصده ، والبساطة من جهة اخرى تحول دون التكلف ، والشذوذ ، والاختلال في المعنى ، والتعقيد في المبنى . اما عن الاحساس في الاسلوب فيتمثل في تصويره الاشياء على حقيقتها ، وتحديده الصور الذهنية ، وافصاحه عنها ، اما الاتقاد او الحرارة في الاسلوب فيتجلى في صقل العاطفة الانسانية للحقائق حتى تنفث فيها الحياة .

تلك هي السمات الاسلوبية في شعر تيمور المنثور وقد زاد عليها صفة ثالثة دعا اليها الناقد الشهير ( وليم وردزورث ) الا وهي عدم الاندفاع وراء الوزن والقافية ، واتقان المعنى وكماله ، وهذه الصفات التي تجلت في شعر تيمور المنثور هي نفسها التي ظل محافظا عليها بعد انصرافه الى القصة واغراقه في كتابتها ونسى او انسى هذا اللون من الادب . وغدا ( كالهدهد ) اشهر قصاص في الزمن على حد تعبير احد النقاد المحدثين .

تأمل ما كتبه في ( الزهرة العاشقة ) التي نشرها في مجلة « السفور » التي كان يحررها الاستاذ عبد الحميد حمدي بتاريخ 6 نوفمبر عام 1919 « وعلى شاطيء الغدير ذي المويجات الهادئة تنمو زهرة من زهور الطبيعة يانعة ممتلئة الساق ، مخضرة الاغصان ، محمرة الاوراق ، نشأت تتغنى بالحب ، والحب يملأ ربوع الطبيعة يانعة ممتلئة الساق ، مخضرة الاغصان ، محمرة ترى خياله النضر ، ومن الاغصان المتهدلة تسمع اناشيده الشجية ، وفي الليل الحالك المغمض العينين يسبح حولها همس القلوب ، ويلمع امامها دمع العيون ، وفي النهار المشرق اللالاء ترى وميض القبلات يسطع كضوء الشمس ، وتشعر بالانفاس العطرية تهب على وجهها المونق كأنفاس الربيع .... » .

وهكذا مزج تيمور الشعر بالقصص ولكنه ءاثر اللغة الشعرية الرفيعة على ان تكون قطعته قصة لها حبكة

وسياق ، وتلك مرحلته لا بد منها لنشوء الفنان وتطوره ، فلا بد ان يمر بمرحلة الشعر والخيال قبل ان ينغمس في غمار الواقع ودنيا الحقائق ويلجأ الى اسلوب الحياة اليومية في التعبير .

وتأمل ما كتبه في 20 نوفمبر عام 1919 في عدد من مجلة « السفور » الى سيدة اهدته صورتها « انت طيف دائم لا يتعب ، ولا يمل ، انت تلازمينني كالزهرة في ربيع حياتي ، انت التي تسكنين فؤادي ، وتمدين من بهائك روحي ، انت التي اسمع من همسها حديث وحدتي ، انت التي اكتب على ضوء نورها « اشعاري » وهواي ، انت التي استمد من جمالها راحة ضميري ، انت التي اخذ من سكونها يقظة فؤادي ، ايتها النجمة المتلألئة في سمائي : انيري يا رفيقة الاحلام طريقا لذلك الفكر الضليل ليسبح على اشعة ضوئك ، ويصل الى الله يستمد منه النور والرحمة ... انيري يا نجمة المستقبل طريق السلام الى القلب ... انيري بابتسامة من ثغرك الجميل طريقا سالما في خضم الحياة ... تمخر فيه سفينة روحي ، ايها الطيف الجاثم في قلبي الممتزج بدمي ، السابح في مخيلة راسي ... انت يامن اشكو لك الام فؤادي ... ويامن ابوح لك باسرار قلبي ... كفكف الله دموع الماضي التي ما زلت غارقا في بحارها ... اسعدني بربيع الحياة التي لم اتمتع بعد بعذب نسيمها ... انشقني زهور السعادة التي لم اسعد بطيب اريجها ... » .

ففي هذه القطعة نجد تيمور يتدفق لوعة وحبا كالعاشق الولهان ، ويتيم شوقا ووجدا كالمحب المحروم بل من يدري لعل تيمور نفسه كان في هذه الاونة يقاسي تجربة حب عنيف يهز اوتار قلبه ، ويحرك سياط لبه ، فاذا به ينقلب حبيبا مستهاما يتمثل الحب في كل شيء في هذا الوجود . الم يقل بعد ذلك في مقدمة « الوثبة الاولى » ان الله خلق العالم على صورته ، خلقه على اهاب الحب والجمال ، لان الله سبحانه وتعالى لا يخلق الا الجميل ، ولا يودع مخلوقاته الا الحب اذ ان الله سبحانه وتعالى المثل الاعلى للحب والجمال ...

ولكن هذا الشعور الذي يتأجج بالحب ويضطرم بالغرام لا يلبث ان يستحيل الى حكمة في الرأي ، وسداد في القول ، كما في تلك القطعة التي نشرها بعد

قطعة « الصورة » باسابيع « الصمت هو التفكير .. والرجل الصامت هو الرجل المفكر ، فاجتهد اذن ان لا تكون ثرثارا ، العامل الصامت هو العامل المتقن لعمله ، والكاتب الصامت هو الكاتب الذي يكتب عن روية وتعقل ، والسيدة الصامتة هي التي تعني بشئون بيتها .. نابليون بطل فرنسا ، وكرومويل بطل انجلترا ، وواشنطن بطل امريكا ، كانوا قليلي الكلام ... »

وفي كلمة اخرى يقول تيمور « رحب بالافكار الجديدة ... بدون تحيز بعد ان تختبرها ، وتسبر غورها ، وتتأكد من صلاحها ، ولا تقصر بحثك كله على الجديد فحسب بل استفد من عقول الاقدمين بحيث لا تقف عثرة في سبيل جهادك »

وفي حكمة ثالثة يقول « احكم على الشخص بما يقرأ ، واحكم على الامة بتاليف ابنائها ، فالكتب مرءاة تعكس لك ثروة البلاد الحقيقية بين صفحات كتبها .. ففي تلك السطور ، ومن تلك الكلمات تتدفق الكنوز الذهبية ... كنوز العقل المستنير ، كنوز العمل الحقيقي ... استفد اذن من الكتب القيمة ... واقرأ دائما بانتظام ومثابرة ... واجتهد ان تعيش دائما في كنفها تسمع احاديثها الخالدة ... »

وليس من شك في ان تيمور كان محقا تماما في هذا الراي ، حتى قيل : قل لي ما ذا تقرأ ، اقل لك من انت ! ونحن في مسيس الحاجة الى شباب يقبل على القراءة بشغف وامة تستفيد من التجارب ، وقديما قال « السير ادوارد جيبون » المؤرخ الانجليزي المشهور : « اني افضل رغبتي في المطالعة على كل كنوز الهند ... » وكتب السير « جون هرشل » الفلكي المشهور يقول : « اني اذا طلبت من الله ان يوجد في خلقا يبقى معي مهما تغيرت احوال الزمان والمكان ويكون ينبوع سرور لي وسلوى مدى العمر وترسا اتقي به نوائب الدهر ، فذلك الميل هو حب المطالعة . فتيمور اصاب عين الحقيقة بحكمته التي لن تمحى مع الايام .

وكان محمود تيمور في صدر شبابه ينقل كثيرا من الاثار الادبية عن اعلام الكتاب الانجليز والفرنسيين فنقل عن « الفونس دوريه » القطعة الاتية وصاغها في اسلوب عاطفي رقيق ونشرها بمجلة الشباب في 19 فبراير عام 1920 وسماها « النجوم » « في الوقت الذي تهدأ فيه

النفوس ، وتسكن الاجسام ، يصحو عالم آخر سحري تكتنفه الوحدة والسكون ، فبينما الينابيع توقع الحانها ، والغدران توقد نارها يسمع الانسان من خلال هبوب النسيم في الفضاء اصواتا رقيقة تكاد تمر على الاذن فلا تدرك كنهها ، وما تلك الاصوات غير اصوات الاشجار والحشائش وهي تنمو وتمتد خفية في الليل فلا تدركها الابصار ... ففي النهار حياة الافراد من انسان وحيوان، وفي الليل حياة الطبيعة من نبات وجماد ... فمن لـم يعتد رؤية الطبيعة وهي متحلية بالليل ... ضاحكة في سكون الليل تسير خفية بين المروج وتسبح هائمة بين امواج النسيم ، وتلمع سافرة على صفحات الغدران ، تاخذه رعدة الخوف والوجل ... » .

ثم انظر الى ما كتبه باسم « الحياة وداع » في 15 ابريل عام 1920 في مجلة « الشباب » قبل ان تاخذ طابعها الانتقادي الفكاهي المعروف « السيدات يا رفيقي كم ارثي لحالهن . ان كل سعادتهن وكل سلطانهن وكل غايتهن في الحياة موقوفة على جمالهن ، فالجمال هو كل شيء عندهن ، وما ذلك الجمال ؟ انه هبة عشر سنين لا اقل يهبها لهن القدر ... انت تعلم انني كثيرا ما احببت ككل الناس ولكني في الحقيقة لم احب الا حبا واحدا ، وكان ذلك منذ اثنتي عشرة سنة اي قبل الحرب الاولى بقليل ، قابلتها على شاطيء البحر الصغير المستدير كالهلال حيث كانت السيدات تجتمعن فيه زرافات وتكسبه زينتهن البديعة بهجة ورواء .. تاجيت كل شيء فيها . نظراتها الملائكية ، وابتساماتها الخلابة، وشعرها اللعوب المتموج بانفاس النسيم .. كل شيء فيها حتى تلك الملامح الصغيرة المرتسمة على وجهها الصبوح قد استعبدت عقلي وفؤادي ... واشرب حبها نفسي فشغفت حتى بحركاتها العادية ، وملابسها التي كانت ترتديها والتي صارت امام عيني كانها نسيج سحري يستهوي العقول . فما كان اشد حزني حينما ارى قناعها او قفازها ملقى على احد المقاعد . لقد كان يخيل لي انها الوحيدة في لباسها . لا مثيل لقبعاتها بين قبعات النساء ... » .

وهكذا اخذ تيمور يقص على القاريء قصة حبه في اسلوب اخاذ ... ويحاول ان يبرز عناصر الجمال التي استهوته في غادته الحسناء ، والتي تتجلى في صفاتها الجثمانية التي وهبها الله اياها ، ثم يعبر لنا عن خلجات فكره الصغيرة دون مواربة ودون مزاورة ، انما في صراحة ووضوح وجلاء . ولا شك ان التعبير الصادق عنصر هام من عناصر الابداع الفني ، ولا يمكن اغفاله في تقييم الاثر الادبي . ولكن الشيء الذي يستلفت الناقد ان تيمور كان في صدر حياته يعتني عناية فائقة باللفظ وصيغة الاسلوب ، ويضعه في المقام الاول في كتاباته ولعل اصدق تصوير لصراحته ما وصف به احد ابطاله في قصة « اليتيمة » في مجموعة « الشيخ عفا الله » وله اسلوب رقيق في الكلام خال من العبارات المزيفة ، صادر من قلب لا يعرف التملق ولا المكر ... » .

وكتب محمود تيمور في مجلة « السفور » بتاريخ 4 سبتمبر سنة 1919 هذه القطعة « ومشى الطفل الصغير .. ذو الاقدام الناعمة على الصحراء الخشنة الملتهبة .. مشى يفتش عن الحقيقة ، ومر الطفل في طريقه على المدينة الاولى ذات الاعمدة المموهة بالذهب ، والقصور الملأى بالكنوز ، والانهر الفياضة بالخمور ذات الابتسامات الهذبة ، والقبلات الشهية والعيون السحرية، ذات اللذة الضاحكة ، فاقبل الطفل يجري في ساحاتها مرحا جذلا يسمع اناشيدها ، ويمتع نظره بغيدها ، ويملأ قلبه باللذة وجيوبه بالمال ، ثم اخذ يفتش عن الحقيقة ... وخرج الطفل من المدينة ذات الاكواخ الصامتة الى الصحراء الحارة ... ومشى فيها اعواما طويلة ... حتى بلغ المدينة ... المدينة السوداء ، فاغبر شعره ، وتجعد وجهه ، وانحنى ظهره ، وهناك امام المدينة السوداء وقف ينتظر امام الاسوار المظلمة، والهواء المحترق ، والدخان المتكاثف ، وهناك بدأ يفتش عن الحقيقة في الظلمات النائية ، فوجدها ... وجدها امام عينيه ولمسها بيديه ، ولكنه لم يستطع رؤيتها .. لانه صار اعمى .. ولم يستطع سماع صوتها لانه صار اصم ... ولم يستطع ان يكلمها لانه كان ابكم ... » .

وهذه القطعة من القطع الرمزية التي ولع بها الكتاب في اوائل هذا القرن فمضوا يدبجون المقالات ، وينظمون الشعر على هذه الوتيرة مقلدين في ذلك كتاب الغرب وشعرائهم الذين شاع « الرمز » في اتجاههم الادبي ، والبحث عن الحقيقة موضوع شيق طالما تناوله كتاب الغرب في كتاباتهم وسلكوا في ذلك مذاهب شتى .

ومن ترجمات تيمور ما كتبه في ( السفور ) نقلا عن احد المفكرين الفرنسيين « السعادة الحقيقية هي ان تعمل دائما وان تتمتع بنتيجة عملك ، فالعمل اجهاد لنفسك ، وجسمك ، وحصولك على الراحة بعد ذلك الجهاد راحة الجسم والعقل هو السعادة الحقيقية في الحياة ، فاجتهد اذن في ان تعمل لان السعادة هي العمل .. »

وترجم تيمور غير هذه العبارة عبارات بل مقالات شتى في الفلسفة والادب عن اعلام المفكرين الغربيين ، وسافر تيمور الى اوربا مرات متعددة فشاهد هناك على حد تعبيره في « فرعون الصغير » .. « مرئيات ومناظر هزت نفسه وتغلغلت في صميم قلبه كما ان خبرته بالحياة ومعرفته لها قد اتسعت وتنوعت فكان لهذه الحياة الجديدة التي عاشها هناك اثر لا ينكر في تطور تفكيره .. » .

وعند ما عالج تيمور القصة في صدر حياته الادبية كان انيقا في عباراته وفي احدى قصصه «يحفظ بالبوسطة» التي نشرها في مجلة « الشباب » في 13 مايو 1920 اخذ يذكر ( جروبي ) و ( مقاعد الفوتيل ) الانيقة الوثيرة ، وما الى ذلك من اشياء ، كان التعرض اليها في ذلك الوقت لونا من الطرف الفكري ، ولكن كان لا يعني ان تيمور اتجه اتجاها استقراطيا في قصصه ، انما كان ولا يزال يحن تناول الشخصيات الشعبية كما في قصة ( صابحة ) التي نشرها في « الهلال » عام 1928 وكما في غير ذلك من قصص ، فتناول شخصيات « الشيخ جمعة ، والشيخ غنيم وطاقيته ، وماسح الاحذية ، وبائع الكعك ، والحاج شلبي ، وفتحية الفتاة الساذجة ، وتهاني الفتاة الشيطانة ، وام الخير الخاطبة ، وام زيان الفلاحة . وغير ذلك من الشخصيات الشعبية تناولا اخاذا خلابا يثير الاعجاب به ، والائتناس اليه ، والتصفيق له ، وجعل همه ان يعرض لفكرة مرت بخاطره ، او يسجل صورة تأثرت بها مخيلته او يبسط عاطفة اختلجت في صدره ، فيكون اثرها في نفوس قرائه مثل اثرها في نفسه ...

والمعروف ان محمود تيمور هجر خفقاته وخواطره واسلوبه الشعري بعد الربع الاول من القرن العشرين ، واتجه الى النثر الواقعي ، ولا يكاد القاريء يتصفح مجلات الفجر ، ومجلتي ، والهلال ، وغيرها من المجلات ، تجد احدى روائع قصصه منشورة على صفحاتها، وشاعت السلاسة في اسلوبه، وجرى الاسلوب طلقا لا تحده لغطته ، او تقيده عبارة ، ولم يتحرج في بعض قصصه من تصوير الخلجات النفسية الخشنة دون رياء ودون نفاق ، غير انه في الواقع لا يتميز بلون معين من القصص او الاقاصيص انما كان اتاتجه مختلف الاصباغ، متعدد الالوان ، متغير الاشكال ، يستهوى النفوس ، ويختلب الالباب ، ويتسع لنزعات انسانية رفيعة مثل نزعات الخير والكمال وحب الجمال ، وللصراع بين قوى الخير وقوى الشر ، وبين نداء الرذيلة ، ودعاء الفضيلة ..

**القاهرة : جمال الدين الرمادي**





للأستاذ محمد بن تاويت

قبل ان تصدر صحيفة « العلم » بما صدرت به فى قضية الكتاب الذي اشتركت فيه انا ومحمد الصادق عفيفي ، كنت قد علمت بما يحاوله الطالبان من نقد.. فارسلت الى مجلتنا « دعوة الحق » كلمة فى تبيين الحقيقة حول القضية . غير ان المجلة ، وقد اسلمت الكلمة المذكورة الى المطبعة ، ثم اصلحت تجاربها ، اعدادا لنشرها ، رات ان تعدل عن هـذا النشر ، اجتزاء بالكلمة التي نشرت لـي فى الصحيفة المذكورة ، تعليقـا وتوضيحا لتلك الحقيقة المؤلمـة .

وفهم الناس حقيقة الموضوع ، وآمنوا بمـا يؤمن به غير اللؤماء .. وبذلك اسدل الستار على تلك المأساة ، وان كان اثرها ما زال يحز فى النفس .. لكن مجلة« آفاق» التي طالما ساهمنا فيها ، والتي هي لسان ما يدعى بهيئة « كتاب المغرب العربي » حلي لهـا ان تشاهد وتشهد مرة اخرى ذلك المشهد المأسـوي ، فلعبت دورها خير لعب ، وطلعت علينا بالعنوان الغليظ .. انتقاما واحتسابا .. وكانها قدرت مـا نشر لاول الامر بصحيفة العلم « مسمـارا» داخليـا ، دق فى نعشنـا ، رحمة الله علينا .. وما تنشره هـي «مسمارا» خارجيا يدق فى هذا النعش ، واجرها على الله ، وعلى غير الله .. من المحسنين الكرماء ..

ومن الاعتراف بالجميل ، ان نشكر لصديقنـا الدكتور ، محمد عزيز الحبابي ، فضله فى تلك الكلمة ، التي اراد بها ـ كما يبدو ان « يعطر » الجو ، فـلا يختنق « النظارة » من تلك الانفاس ، التي يلهث بهـا اصحابها ، فى غير حمل منـا ، علم اللـه ..

ولا غرو ان يفعل الصديق الحبابي هذا، فمواقفنا معه كانت معروفة ازاء هذه الهيئة ، التي كنا نعتقدها حقيقة مثلى .. ونزيد على شكرنـا له ، ان نبشره بالا خوف علينا ، لان لنا ماضيا معروفا ، ، وحاضـرا معترفـا به ، والرجاء فى الله وحده ، ان يكون لنـا مستقبل يسر الاصدقاء المخلصيـن ، ويسوء الاعداء الناكثين . اما الذي يحاول النيـل منـا ، فلا نـراه الا : « كناطح صخرة يوما ليوهنها .. فنحن صامدون صابرون ، تالين لقوله تعالى : « انا لله وانا اليـه راجعـون » .

ومع هذا التبشير وذلك الشكر ، فاننا نبيح لانفسنـا ، ان نستغـرب من صديقنـا ، اقدامه او حرصه او سماحه ، بهذه « الحريـة » التي دعاهـا او احبها ، والحب ـ كما قيل ـ يعمي ويصم .. حقا ، ان صديقنـا الحبابي ، محب هائم هيمانا ، فهو مخلص فى حبه الى حد .. ومخلص كذلك فى غير حبه ، الـى اقصى ما يتطرف اليـه خيال المحبيـن الهائميـن ، المسرفيـن فى حبهم المفقود .. ولكننا نذكره بالماضي .. فقد كنـا فى يوم من الايام ، يشملنا ذلك الاخلاص، فى صورته الاولى .. ونعـوذ بالله ان ينحط علينـا هذا الاخلاص فى صورته الاخيرة .. فنكـون مـن الضحايا ، التي لا يذكر اسم الله عليها .. « ومن لـم يمت بالسيف مات بغيره » ومن « غيره » هذا .. وهو لا حصر له ـ « حب الحرية » .. والحريـة ككل شيء قابل للافراط والتفريط ، نعوذ بالله منهما .. كليهما على الســواء ..

وبعد ، فهل لنـا ان نـدرك ما يدركـه صديقنـا الحبابـي ؟

كلا ، مع الاسف ، ليس لنا الى ذلـك سبيل .. والا لما كان هناك فرق بين الفيلسوف وغيـر الفيلسوف .. والا لما كانت هناك فروق فى القيـم

الخلقية ، بين الفلاسفة وغير الفلاسفة .. اي والله، انها فروق شاسعة وهوات سحيقة ، بيننا نحن ، وبين صديقنا الحكيم .. فلا سبيل الى الوصال .. ودون ذلك تتقطع انفاس المحبين .. وهي ترسل في حسرة وياس ءاهاتها : « هي الشمس مسكنها في السماء »..

حيرة نتخبط فيها ، ازاء بعض الناس .. وقد شككونا في المقاييس ، واية مقاييس هي ؟ وشككونا في الموازين . واية موازين هي ؟ وافسدوا علينا المعايير .. فالبهم علينا الامر .. واخذتنا الصيحة، بقولهم : تبا لمقاييس غيرنا وسحقا لموازينهم والويل لمعاييرهم ! انها المثالية ، كما يدعون ، فلا كانت المثالية ، وانها الطيبة كما يزعمون ، فعلى غيرنا لتكن الطيبة ، نحن العماليق التي يجب ان تعبد .. وانتم عليكم ان تكونوا اقزاما عابدين .. والا قاليد طويلة، والوسائل كثيرة .. واضعفها « حب الحرية »

لهؤلاء الناس ، عقد دونها ذنب الضب ، وضيقات ينفتح معها مبعجه الذي يضرب به المثل .. ضيقات متازمة متبرمة ، بكل شيء وكل شخص .. وتلك ضريبة العقول ، التي تشقى بالناس مثلنا ، ويشقى بها الناس مثلنا ، وهي تردد « ذو العقل يشقى في النعيم بعقله »

والحديث — على كل حال — يطول ، اذا ما تعرضنا ، بالتفصيل والتحليل ، لهؤلاء الناس ، الذين يحسون في قرارتهم بتلك الفجوات العميقة ، التي تتخلل شخصيتهم ، فيحاولون ان يردموا تلك الفجوات باشلاء ضحاياهم .. لا قدر الله ..

ولنصرف الآن وجوهنا عن هؤلاء الناس ، ولنوجهها الى قضيتنا اليوم ، معتذرين الى الذين قراوا ما نشر لنا بصحيفة «العلم» باننا على ادراك تام ، لخطر الـ «آفاق» خارج البلاد ، فنريد ان ندرا هذا الخطر ، بما نسلط على هذه الآفاق من اضواء «كاشفة للحقيقة» .

والقضية هي ، انني كنت القيت منذ سنة 1956 ، بالاذاعة الوطنية ، خمسا وثمانين حديثا ، في تاريخ الادب المغربي ، ما زلت محتفظا بها ، واظن ان الاذاعة لما تزل كذلك محتفظة بها او ببعضها ..

وفي اوائل سنة 1959 ، وردت علي وانا بمدينة «بريطن» من انجلترا ، رسالة ارسلها الي شخص من مصر لم اكن اعرفه .. ومضمن الرسالة انه اتصل بالاستاذ محمد الفاسي رئيس الجامعة المغربية ، لما كان في زيارة له بمصر ، فساله عن بعض المسائل في الادب المغربي فاحاله علي في ذلك ولهذا فانه يكتب الي ، لاساعده في دراسته حول الادب المغربي ، لانه يحضر بها اطروحة لنيل درجة الدكتوراه « كما ادعى » وختم الرسالة باسم « محمد الصادق عفيفي » .

لقد اجبت السيد الواغل ، بانى الان بعيد عن الاشتغال بالادب المغربي « حيث كنت منهمكا في دراسات اخرى » لكنني قد القيت بالاذاعة احاديث عن الادب المغربي ، ان ارادها بعثتها اليه ..

وفعلا ارادها ، فكتب الي طالبا وشاكرا ومقبلا ، وارسلت الاحاديث التي ما اطلع عليها حتى تطور الامر الى استخراج كتاب منها في الادب المغربي ، باسمينا معا .. فسررت للفكرة ورحبت بها ايما ترحاب ، متخيلا ان صاحبي لن يعدو في الموضوع حدود التنسيق والعرض ، لتلك النصوص والدراسات حولها ، وبذلك تتحول من صفة الاحاديث الى صفة التاليف ..

فلما عدت الى المغرب ، وكانت سنة 1960 ، ورد علي البريد بالكراريس الاولى من الكتاب ، وكانت تحتوي على مقدمة او تمهيد طويل في جغرافية المغرب وتاريخه وغيرهما .. فاسفت جدا وحزنت حزنا بالغا ، لما قرات هذا التمهيد : ذلك اني وجدته طافحا بالاخطاء ، وان صاحبه اعتمد فيه على مصادر ومراجع ، لا استطيع الاعتماد عليها ، لتفاهتها زيادة على هذا فانه كان ينص على مصادر ، عندما يتعرض لمسائل معروفة للجميع ، ويصدق على من يقف عندها المثل السائر : « تفسير الواضحات من الفاضحات » ..

وتلا تلك الكراسات وصول الكتاب ووصول الزميل الاستاذ محمد الصادق عفيفي ، يحمل معه نسخا منه ..

واجتمعت بصاحبي ، الذي لم اكن على معرفة بشخصه ، معرفة العين .. وسئلت عدة مرات ومن اشخاص عديدين ، عن كيفية الاشتراك في التاليف فكنت اجيب بهذه القصة . وكان في بعض الاحيان حاضرا يسمعها مع المستمعين ، فكنت الاحظ عليه امتعاضا لسماع هذه القصة والاستماع اليها . وذات مرة قال لي : لعلك ما قرات الكتاب ؟ فلما اجبته

بالنفي .. قال : اقراه فانك ستجد فيه اشياء جديدة ، « يعني طبعا غيرما ورد في الاحاديث » .

وذاع الكتاب ، وخصصت له صحافتنا اعمدة الحديث عنه ، وكان من الذين كتبوا حوله صديقي الاستاذ عبد الكريم غلاب ، الذي اشاد به ، وانتقد عليه طول مقدمته او تمهيده ، ولما اجتمعت بصديقي غلاب في مكتبه بادارة العلم ، قلت له : اني لا شان لي بتلك المقدمة او التمهيد ، وقصصت عليه كذلك قصة الاشتراك في التاليف .. فقال لي ـ وهو على معرفة بي منذ السنوات الطوال ـ : اني اعرف ما لك وما لغيرك في الكتاب .. فاسترحت حقا لهذه المعرفة ، وخلت نفسي في نجوة من هذه التبعة .

وحضر الى المغرب اديب كبير من ليبيا ، فلما اجتمعنا ، قال لي : كيف سمحت لنفسك ان تشترك مع عفيفي في التاليف ؟ مع انه قام بادوار عندنا مخزية فاضحة فظيعة ؟ « يعني على مسرح التاليف بالذات » ، فقصصت عليه القصة ايضا ، فعلق عليها بقوله : انكم معذورون .. لانكم لا تعرفونه ..

واتاني يوما بمشروع ، كان بالنسبة الي ، غريبا جدا .. وهو الاشتراك معه بمجرد الاسم في كتاب الله اعلم لمن هو ؟ .. فابيت ذلك ورفضته بشدة وان لم يكن هذا الرفض مفاجئا اياه ـ بل كان متاكدا منه ـ لان رئيس البعثة المصرية ـ آنذاك ـ قال له ان ابن تاويت ربما لا يقبل هذا النوع من المشاركة ، كما قال لي هو نفسه .. وان كان هذا منه مجرد مناورة ، والغبي في بعض الاحيان قد يذكي ، فيخدع غيره .

وحسبت ان هذا المشروع ولد ميتا ، فلم يجد عندنا من يشارك فيه ، لكنه مع الاسف ، وجد له رؤساء عظاما ومديرين كذلك ، وفي هؤلاء من لم يسبق له مجال في التاليف او البحث ، وربما لم يخطر له ذلك على بال ..

وصدر الكتاب تلو الكتاب ، في سرعة العباب ، وهلعت من ذلك وقلت ان الناس سيفهمون اني احد هؤلاء ، اما هؤلاء انفسهم ، فلاشك انهم يعتقدون ذلك اعتقادهم بانفسهم ، وان كان الاستاذ الفاسي يعلم الحقيقة جيدا ..

واخيرا علمت ان الامر كان افظع مما خشيته « وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم » . فان صاحبنا برهن على افلاس تام وفقر مدقع ، وعلى نزاهة معدومة بالمرة اذ انه في مقدمة الكتاب او تمهيده، اغار على مقدمة كتاب آخر ، في الادب الاندلسي ، فلم يزد على ان غير كلمة الاندلس بالمغرب ، مثلا ، كما انه في تصميم الكتاب ، حذا فيه حذو الكتاب الاخر ، وان كان هذا الصنيع اخف وطاة من الاول ..

حقيقة ، اني صعقت لهذا العمل ، وان كان في الواقع من المكروه الذي فيه خير ، ذلك ان مثل هذا المفلس ـ الذي هو عاجز عن تكوين جمل او جملة ، فيحيف على جمل غيره بذلك الشره المقيت ـ يثبت انه لا يد له في صلب الكتاب : لا في دراسته ، ولا في اختيار نصوصه . واعتقد انه حاول ان يدعي او ادعى بالفعل ، ان الكتاب له وحده . وتدليلا على هذه الدعوى ، اتى بتلك الحجج الدامغة التي عقده فيها من سمحوا بوضع اسمائهم الى جانب اسمه الكريم في تلك التاليف العديدة المتنوعة .. وما هي لهم جميعا ولا هي له وحده .. وسوف تكشف الايام ، عن الاصابع التي خطتها ، عن تواطيء او غير تواطؤ .. وما كان نقله لراي الاستاذ هبة في حقي ، او ادعاؤه لذلك ، الا وسيلة صارفة ، بكل تاكد وتحقق ، تجعلني ارفض ما لم يرفضه غيري ، وهو المطلوب من عدة وجوه ..

لقد راج الكتاب ، رواجا عظيما ، وتمتع عفيفي بالاطيبين ، وفهمت من الناشر السيد الزين ، انه افهمه ، لما كانا هنا بالمغرب ، استقلاله بالتاليف ، ولهذا لم انل من الفوائد التي نالها عفيفي ، وتتجدد كل سنة .. الا بعض النسخ من الكتاب ، اديت ثمن بعضها ، واستحوذ هو على بعضها الاخر .. وانتهت القصة بسكوت السيد الزين ، وتجاهله لحقوقي التي كانت ـ كما في العقد ـ نفس الحقوق ..

ان عمل عفيفي في مقدمة الكتاب ، يعد غصبا سافرا ، ولا يدخل في باب السرقة كما قيل .. فالسرقة من شانها الخفاء والاختفاء ، اما هذا فهو الغارة في وضح النهار ، ولا يقدم على مثله الا غبي جهول ، فاق النعامة في صنيعها ، واراد ان يستر ضياء الشمس باصابعه المنفرجة المرتجفة . وكاني بعفيفي وقد ادرك : ان المغرب غير « صحراء قاحلة » وان بني عمه من المغاربة « فيهم رماح » ، حاول ان يتستر بتلك « البلكفة » التي سترته ، ولو الى حين ..

واستغرب كل الاستغراق من صديقي الدكتور هيكل، ان يسكت على هذا الحيف ، وهو الذي لا يسكت على ما دونـه من الاشياء التي تمسه ، او تثيره من تصرفات الناس .. ولا شك انه اطلع على هذا بادىء ذي بدء ، ونستبعد ان تكون منه مواطاة عليه ، فهو الرجل الذي عهدته صلبا في موقفه ، حين عرفته بمدريد منذ خمس عشر ةسنة .. واجتمعنا في المغرب مدة طويلة ، منذ اربع او ثلاث عشرة سنة ، كان معنا الدكتور هلال ، وكان ذلك الاجتماع آخر العهد بيننا .

نعم : ان عمل عفيفي في المقدمة او التمهيد ، لصوصية مفضوحة ، اما الكتاب في صلبه ، فليس – كما قيل – « نسخة طبق الاصل من كتاب هيكل» فيهذا في الادب الاندلسي ، منذ فجره الى نهاية القرن الثالث ، كما قيل لي ، وفيه نصوص اندلسية لاشخاص اندلسيين . وذاك في الادب المغربي ، منذ فجره « الذي تاخر عن القرن الثالث » الى عصره ، وهو ملامس للقرن الثاني عشر او ثالثه .. وفيه نصوص مغربية لاشخاص مغاربة ، وفيه دراسات اتحمل انا مسؤوليتها من الفها ليائها ، ولا يستطيع احد ان يرد على ذلك مهما حاول .. وبذلك يكون ادعاء ان الكتاب « نسخة .. » كلام فيه مبالغة عارمة، قد القاه صاحبه على عواهنه ؛ عفا الله عنه .. كما اني لم اقل هذه العبارة « لم ار الكتاب ... حتى صدر وعليه اسمي » ؛ اريد بذلك ان اتملص منه كلية او اضع نفسي بين اولئك السادة ... بل ما قلته هو ماتضمنته كلمتي المنشورة بالعلم ، دون العنوان المذكور . والتصميم ، ان كان ، ولا دخل لي فيه ، فهو كذلك امر لا يلزم من يقلده بكونه سارقا او غاصبا ، خصوصا ان كان تصميما معروفا في « هندسة » التاليف .. شان باقي التصميمات في « هندسات » الناس ..

اما انا ، فحتى الان ما اطلعت على كتاب هيكل .. ولا باس عليه وعلي ، فقد عرفت بين طلابي وتلاميذي الذين قضيت معهم عشرين سنة ، كانت ثلاثها بمصر نفسها ، وما زلت حتى الان القي دروسي في الادب المغربي ، على طلبة الجامعة عندنا ، كما القيت اخرى على طلبة الجامعة عند غيرنا .. وللجميع ، بحمد الله ، ذكر حامد واستحسان ، وتلك نعمة الله تتحدث بها .. كما عرفت ، باحثا في الادب المغربي ، كاتبا فيه ، منذ ثمان عشرة سنة ، قبل ان يصدر كتاب هيكل ، بعشر سنوات ، كما قيل لي .. واظن انه معترف لي بقدرة ، تجعلني غير عالة على مقدمة هيكل وجمله فلا اتصرف فيها ، ولو بلغ بي الانحطاط مبلغه تصرف عفيفي .. اما في غير هذا الادب ، فقد كتبت في عدة صحف ومجلات ، ابتدا ذلك سنة 1937 بصحيفة « الوحدة المغربية » ثم سنة 1946 بمجلتي « الرسالة والثقافة » المصريتين ..

**تطوان – محمد بن تاويت**



# المناهج التعليمية عند ابن خلدون

للأستاذ محمد الأمين الدرقاوي

## - 2 -

لقد حاولت في العدد السابق ان ابسط رأي ابن خلدون في المناهج والطرق التعليمية ، ورأيت ان اقسم رأي ابن خلدون الى قسمين كما سبق القول ، قسم عرضت فيه الطرق التي ينتقده ابن خلدون كأساليب تتخذ في التعليم ، وطرق يقترحها ، ولعل قارئا نبيها يتساءل عن الفرق بين ما ينتقده ابن خلدون وما يقترحه ؟ والجواب على ذلك ان ابن خلدون فيما ينتقد انما يتناول بعض المناهج الموجودة بالفعل ، ولكنها على الرغم من كل ذلك في نظره عميقة لا يجوز اتخاذها كطرق موصلة لتحقيق الملكات عند المتعلمين ، كما اني اشرت في العدد السابق الى السبب الذي جعلني ابدا بتقديم ما ينتقده ، واما ما يقترحه ابن خلدون فقد يكون موجودا وقد لا يكون ولكنه عمد اليه فاخترعه او بالاحرى اقترحه كاسلوب في التعليم ، وقد حاولت في عرض نظرية ابن خلدون ان التزم الاختصار متوخيا ما امكن الاطناب والتحليل المطول ، حتى يجد القارىء نظرية ابن خلدون سهلة يسيرة لا تكتنفها نظريات خارجة عن ارائه ، وحتى لا افلسف نظريته في التعليم فلسفة قد يختلط فيها ما لابن خلدون وما لغيره من نظريات في الموضوع ولذلك عمدت الى تحليل افكاره ، وحاولت جاهدا ان يكون هذا التحليل قائما على عرض نظريات ابن خلدون كانما يعرض نظرياته بنفسه ، والا فان الموضوع مطروق بل متداول ، الا ان هذا التداول قد يختلف مع الطريقة التي عرضت بها هذا الموضوع من حيث الاختصار والابتعاد عن التفلسف ، والاقتصار ما امكن على كلام ابن خلدون نفسه في هذا التحليل ، وحتى يكون هذا العرض مساعدا للقارىء على لمس هاته النظريات اذا هو شاء ذلك وحاول ان يرجع بنفسه الى المقدمة ليدرس هاته النظريات .

ومع ذلك فاني لا ازعم اني احطت بنظريات ابن خلدون وانما عرضت منها ما هو بارز ، والا فان الانسان قد يعثر على اشياء اخرى غير ما عرضت من نظريات ، في ثنايا بعض الموضوعات الاخرى ، قد يكون لها اتصال بالموضوع

رأينا في العدد السابق ان ابن خلدون ينتقد اشياء يراها مطبقة في التعليم وتتلخص هذه الاشياء في الامور التالية : 1) كثرة التاليف . 2) كثرة الاختصارات 3) البداية بالمسائل المقفلة . 4) عدم الاقتصار على كتاب واحد 5) تطويل الجلسات 6) صنعة المنطق . 7) الشدة على المتعلمين . واما الاشياء التي يقترحها ابن خلدون فهي كما يلي :

1) **التدريج** : ومن المذاهب التي يقترحها ابن خلدون كأساليب في التعليم ، السير بالمتعلم خطوة فخطوة ، وهذا التدرج يسير عنده في خطى ثابتة ومراحل متفرقة ، كل مرحلة تختلف عن سابقاتها من حيث الزيادة في التوسع والدخول في التفصيلات اكثر فاكثر ، يعلمه خطوة فخطوة ، يعلمه في المرحلة الاولى قليلا من العلم ، يلقي له المسائل كنظرة عامة على سبيل الاجمال مع مراعاة قوة استعداده لقبول ما يلقى له من العلم ، وهذه المرحلة الاولى انما هي اجمالية لا تكفي المتعلم ليحصل على فن من الفنون ولذلك يقول :(وعند ذلك تحصل له ملكة في ذلك العلم الا انها جزئية وضعيفة وغايتها انها هيأته لفهم الفن وتحصيل مسائله ) . والمرحلة الثانية في التدرج التي تلي هاته المرحلة والتي يراها ابن خلدون ضرورية في كل فن ، تكون اوسع من الاولى في التلقين من حيث الشرح والبيان ، مع الخروج الى ذكر الخلاف حتى تكون النظرة اوسع

مع الاشارة طبعا في هاته المرحلة الى ما عرضه عليه في المرحلة الاولى : ( ثم يرجع به الى الفن ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة الى اعلى منها ويستوفي الشرح والبيان ، ويخرج عن الاجمال ، ويذكر له ما هنالك من الخلاف ، ووجهه الى ان ينتهي الى اخر الفن فتجود ملكته ) ، وتلي هذه المرحلة مرحلة ثالثة هي اشبه بالاولى من حيث العودة الى اصول الفن كله ، واشبه بالثانية من حيث الاخذ لما في الطريقة الثانية من ذكر الخلاف وغيره ، الا انها تزيد على الثانية في انها ـ زيادة على ذكر الخلاف ـ لا تترك عويصا ، ولا مبهما، ولا مغلقا الا وضحته . وعن هذه المرحلة الثالثة يقول ابن خلدون : ( ثم يرجع به وقد شد فلا يترك عويصا ، ولا مبهما ، ولا مغلقا الا وضحه ، وفتح له مقفله ، فخلف من الفن وقد استولى على ملكته ) وهذا السير عند ابن خلدون في التدرج ، امر لا بد منه في كل فن ، المرحلة الاولى كما وصفنا ، والمرحلة الثانية والثالثة : ( وهو كما رايت ـ اي تلقين العلوم ـ انما يحصل في ثلاث تكرارات ) وكلما ذكر ابن خلدون التعليم او ذكر طريقا من طرقه ، الا ويذكر الملكة التي هي الغاية الاولى من تعلم كل فن كما سبقت الاشارة الى ذلك .

2) **الاقتصار على علم واحد في التعليم :** ومن المذاهب الجميلة التي يقترحها ابن خلدون الاقتصار على فن واحد اثناء التعلم ، حتى لا تختلط على المتعلم امور هذا الفن بغيره من الفنون الاخرى ، وانما يقتصر على العناية بفن واحد حتى اذا فرغ منه وحصلت له فيه ملكة انتقل الى فن اخر ( ومن المذاهب الجميلة والطرق الواجبة في التعليم الا يخلط على المتعلم علمان معا فانه حينئذ قل ان يظفر بواحد منهما لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما الى تفهم الاخر ، فيستغلقان معا ، ويستصعبان ، ويرجع منهما بالخيبة ، واذا تفرغ الفكر لتعلم ما هو بسبيله مقتصرا عليه ، فربما كان ذلك اجدر لتحصيله ) .

وقد كان طبيعيا ان يقول ابن خلدون بهذا الراي وهو لا يرى في التعلم الا غاية لحصول الملكة ، وليس مجرد استظهار، فالملكة عنده تقتضي الادراك، والادراك يقتضي حصر البال وعدم تقسيمه ، فتوزع الذاكرة بين فنين ، والا لو كان التعلم لا يقوم عنده على الملكة ، لما قال بهذا الراي ، لان الاستظهار لا يقتضي كل هذه الموضوعية ، وانما يستظهر الانسان ما قدر على الاستظهار، وقد راينا في غير هذا الموضوع ، ان ابن خلدون المنهجي يرى دائما ان الموضوعية احدى الوسائل الفعالة في التعليم ، فبعد ان انتقد استعمال الكتب المتعددة في فن واحد ، او الزيادة من حيث الموضوع على ما في الكتاب الذي اخذ به المتعلم ـ بعد ان انتقد ذلك كله ، وجد نفسه مدفوعا ليقترح هاته النظرية ، نظرية الاقتصار على علم واحد ، كتتميم لذلك النقد الذي هو في الحقيقة اقتراح ادخله ضمنيا فيما تناوله بالنقد ، فهاته النظرية تتشابه تماما مع النظرية التي سبقت الاشارة اليها في جملة ما تناوله ابن خلدون من موضوعات منتقدة ، وكل هاته النظريات ـ سواء منها ما انتقده ابن خلدون او ما اقترحه ـ كل هاته النظريات مبالغة في الالحاح على التركيز والموضوعية ، باعتبار ان العلم واحد لا يختلف من كتاب الى اخر ومن موضوع الى اخر ، وان الالفاظ والطرق ما هي الا اداة موصلة لذلك ، واما فيما يرجع للاقتصار على فن واحد ، فان السبب عنده كما راينا هو حصر الملكة في موضوع واحد ، بالاضافة الى ان العلوم انما هي حلقات متصلة يكمل بعضها بعضا ، ولذلك كان من الاليق بالانسان الا ينتقل الى فن ، حتى يكون قد حصل الفن الذي ابتدا به في التعلم ، ليكون ذلك عونا له على الفن الجديد ، ولتكون الملكة بدورها قد اخذت نوعا من المران على التلقي من جهة ، والتركيز من جهة اخرى .

3) **استعمال الفكر الطبيعي :** ومن الوسائل التي يقترحها ابن خلدون كطرق موصلة للتعليم ، استعمال الفكر الطبيعي وهو يريد به الاتصال بالافكار والمعاني التي تحملها الالفاظ مباشرة من غير واسطة ، حتى اذا اتصل الانسان بالفكرة مجردة واستوعبها ، جاز له بعد ذلك ان يتصرف فيها باستعمال الالفاظ ، او الادلة ، والفكر الطبيعي عنده مخالف لاستعمال المنطق ، او هو عنده في منزلة المفهوم بالنسبة للاشياء التي عرضنا لها سابقا ، وكان يجب ان نكتفي بذلك الذي قدمناه ، من رفض استعمال المنطق ، لولا ان ابن خلدون ساق هذه النظرية كاقتراح في صراحة لا تحتمل اللبس ، واما نظرية رفض المنطق التي عرضنا لها سابقا في جملة ما

يرفضه ابن خلدون فانما كان ذلك تبيينا او تفسيرا لهذا الاقتراح ، وان كان هذا الاقتراح اشمل من حيث رفض المنطق ، ورفض الادلة الاصطناعية ، ورفض الالفاظ جملة وتفصيلا ، ولذلك يقول : ( واعلم ايها المتعلم ، اني اتحفك بفائدة في تعلمك ، فان تلقيتها بالقبول ، وامسكتها بيد الصناعة ، ظفرت بكنز عظيم وذخيرة شريفة ) وقبل ان يعطي هاته الفائدة ، ياخذ في التعليل قائلا : ( وذلك ان الفكر الانساني طبيعة مخصوصة فطرها الله كما فطر سائر مبتدعاته ، وهو وجدان حركة للنفس في البطن الاوسط من الدماغ ، تارة يكون مبدأ للافعال الانسانية على نظام ثابت،وتارة يكون مبدأ لعلم ما لم يكن حاصلا بان يتوجه الى المطلوب ) ، وفي عبارة اخرى يبين استعمال الفكر الطبيعي ومحاولة ادراك الحقائق في معزل عن الادلة الاصطناعية من المنطق وغيره ، وهي الفائدة التي يريد اتحاف المتعلم بها ! ( واخلص الى فضاء الفكر الطبيعي الذي فطرت عليه ، وسرح نظرك فيه ، وفرغ ذهنك فيه للغوص على مراميك منها ، واقفالها ـ المرامي ـ حيث وضعها اكابر النظار قبلك ) . وقد الم ابن خلدون في استعمال الفكر الطبيعي في عبارات متباينة الالفاظ ، متفقة المعنى ، الحاحا يبدو فيه التعلم قضية مران للذاكرة على الذكاء قبل كل شيء، حتى ليخيل للانسان احيانا ان ابن خلدون يكتفي بالذكاء وحده على التعلم ، وتلك طبيعة الاذكياء يجعلون العقل فوق التعلم والذكاء مفتاحا لكل شيء حتى ولو كان ذلك في موضوع التعلم ، باعتبار ان الالفاظ انما هي وسيلة لاداء المعاني ، فاذا حصلت المعاني التي هي الغايات فقد لا يبقى لمناقشة الالفاظ من معنى ، الا ان يكون ذلك ضياعا للوقت فيما لا فائدة منه : ( واما ان وقفت عند المناقشة والشبهة في الادلة الصناعية وتمحيص صوابها من خطئها الى ان يقول فلا تتميز جهة الحق منها ، اذ جهة الحق انما تستبين اذا كانت بالطبع فليستمر ما حصل من الشك والارتياب وتسدل الحجب عن المطلوب) وفي التاكيد على هاته الفكرة يعود فيقول ( ومن حصل له شغف بالقانون المنطقي تعصب له فاعتقد انه الذريعة الى ادراك الحقائق بالطبع ، فيقع في الحيرة بين شبه الادلة وشكوكها ، ولا يكاد يخلص منها ، والذريعة الى ادراك الحق بالطبع ، انما هو الفكر الطبيعي كما قلناه اذا جرد عن الاوهام ) .

ومن خلال هذا التحليل الذي يلح عليه ابن خلدون يبدو واضحا ان من معاني الفكر الطبيعي عنده الربط بين المسائل العلمية والحقائق الواقعية المشاهدة ، ولا يكتفي ابن خلدون بان يورد النظرية ويردفها بالتعليل ، او يستقبلها بالتعليل ، بل يعززها حتى بالحجج العملية، فيقول مثلا : ( ولذلك تجد كثيرا من فحول النظار في الخليقة يحصلون على المطالب في العلوم دون صناعة المنطـــق )

ومع هذا فابن خلدون يدرك ما للالفاظ من قيمة وما للادلة من اثر في التعلم ، ولا ينتقد الالفاظ لذات النقد، وانما ينتقدها لما تسببه من حيرة وارتباك للمتعلم تحول بينه وبين ادراك الحقائق العلمية الكامنة وراء الالفاظ ، وهو لذلك يوصي المتعلم الا يهمل الالفاظ تماما ، يوصيه ان ينقذ للافكار في غير ما جنوح الى اتخاذ الالفاظ وسيلة لذلك ، حتى اذا حصلت له الملكة وحصل له العلم بواسطة الفكر الطبيعي ، عاد فكسا هاته المعاني من حلل الالفاظ ما يناسبها ، وهو بذلك كله،انما يحاول دائما وابدا ان يشعر المتعلم بان الالفاظ التي جرى بعض الناس على تقديسها ، ما هي الا الات يستخدمها الانسان كما يستخدم الادوات في كامل الحرية ، لا يشوب هذا الاستخدام نوع من التقديس للالفاظ فيشعر المتعلم بان حل مغلقها من امور التعلم الواجبة عليه : ( وحينئذ فارجع الى قوالب الادلة وصورها فافرغه فيها ، ووفه حقه من القانون الصناعي ، ثم اكسه صور الالفاظ، وابرزه الى عالم الخطاب والمشافهة ، وثيق العرى صحيح البنيان ) ، ولم يكن ذلك عند ابن خلدون الا ليكتسب المتعلم نوعا من الجراة على الالفاظ فيعتاد ذلك وتصير فيه امرا جبلا ،كلما عرض له لفظ غامض ، كلما وجد في نفسه استعدادا ليتجاوزه الى المعنى المطلوب ، وخاصة اذا هو داب ان يصنع للافكار من عنده الالفاظ .

4) **التوسع والاختصار في العلـوم :** ومن المذاهب التي يعرض لها ابن خلدون في التعليم طريقتا التوسع مع المتعلمين ، او الاختصار من التوسع ، والاختصار والتوسع ـ كما نرى ـ طريقتان متضادتان كل منها يسير في خط يخالف الخط الذي يسير فيه الاخر ، ولا يقصد هنا ابن خلدون بالتوسع ذكر الخلافات فحسب ، بل يريد به التبحر في الفن تبحرا كاملا ، كما انه يريد

بالاختصار ، الاكتفاء بالقواعد الضرورية التي يحتاجها الانسان في ممارسته عملا ما، يتوقف فيه ذلك العمل على قواعد ضرورية من هذا الفن ، ونظرية التوسع والاختصار قائمة على تقسيم خاص للعلوم ، يمكن حصره في صنفين، صنف يدرس لذاته كالشرعيات من التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام ، او كالطبيعيات والالهيات ، من الفلسفة ، وصنف آخر هو وسيلة وآلة لهذه العلوم كالعربية ، والحساب ، بالنسبة للشرعيات او المنطق بالنسبة للفلسفة ، ولكون هذه العلوم صنفين مختلفين ، من حيث الغايات ، فقد اقترح ابن خلدون اقتراحين متضادين كما قلنا :

الاول اقتراح موضوعه طلب الاختصار وذلك في العلوم الآلية التي هي وسيلة لغيرها ، لا اقل ولا اكثر ، ولذلك يقول عنها : ( واما العلوم التي هي آلة لغيرها مثل العربية ، والمنطق وامثالها ، فلا ينبغي ان ينظر فيها الا من حيث هي آلة لذلك الغير فقط ، ولا يوسع فيها الكلام ، ولا تفرع المسائل ، لان ذلك مخرج لها عن المقصود ، اذ المقصود منها ما هي آلة له لا غير ، فكلما خرجت عن ذلك خرجت عن المقصود ، وصار الاشتغال بها لغوا ) .

واما الاقتراح الثاني فيما يتعلق بالتوسع او التطويل وهو عكس الاقتراح الاول الذي هو الاختصار ، وفيه يقترح او بالاحرى يستحسن التطويل، وذلك في موضوع العلوم الغير الآلية ، اي العلوم التي هي مقصودة لذاتها والتي هي منتهى العلم ، مثل الشرعيات والطبيعيات ، والالهيات ، فهذه الالوان من العلوم لا باس فيها من التطويل عند ابن خلدون ، وهو لذلك يقول عن التطويل فيها : ( واما العلوم التي هي مقاصد ، فلا حرج من توسعة الكلام فيها ، وتفريع المسائل ، واستكشاف الادلة والانظار ، فان ذلك يزيد طالبها تمكنا في ملكته، وايضاحا لمعانيها المقصودة ) ، واستكشاف الادلة عند ابن خلدون والتوسع ، ليس هو ذكر الخلاف والمسائل العويصة ، او المبهمة التي اقترحها في نظرية التدرج بالمتعلم ، فتلك نظرة يقترحها في كل علم ، اما هنا فيقترح هذا الراي في بعض المسائل الخاصة ، وتلك غير هذه ، فقد عبر عن تلك بالخلافات والمسائل العويصة والمبهمة ، اما هنا فيعبر بتفريع المسائل واستكشاف الادلة والانظار فهذه مرحلة تتجاوز تلك ، ولا يقف عندها الا المتخصصون ، والمتخصصون لا يقفون عندها الا في بعض الاصناف التي تستلزم ذلك وتدعو اليه الحاجة في هذا النوع من العلم ، وتنبغي الاشارة الى ان هناك علوما قد تعد من العلوم المقصودة لذاتها كما يتخيل ، ولكنها في الواقع ليست الا آلة لغيرها ، كاصول الفقه التي هي آلة لاستنباط الاحكام الشرعية ، ولذلك عند ما احد ابن خلدون ينتقد على الاقدمين التفصيل في العلوم الآلية ، عد اصول الفقه منها ، حيث قال : ( كما فعل المتاخرون في صناعة النحو وصناعة المنطق واصول الفقه لانهم وسعوا الكلام فيها ، واكثروا من التفاريع والاستدلالات ، بما اخرجها عن كونها آلة ، وصيرها من المقاصد ) ، وابعد من هذا ان ابن خلدون لا يجعل التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام من الامور المقصودة ، وانما هي علوم آلية ، اما علم الكلام فامره واضح في ذلك ، ولكن عد التفسير والحديث والفقه من العلوم الآلية ، امر يدعو لنوع من التامل ، وخاصة الفقه وعبارته في ذلك واضحة : ( اعلم ان العلوم المتعارفة بين اهل العمران على صنفين علوم مقصودة بالذات كالشرعيات ، من التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام ) فعبارته تعطي ان الشرعيات اي الاستنباطات الماخوذة من التفسير ومن الحديث ومن الفقه وعلم الكلام ، هي العلوم المقصودة لذاتها ، وليس التفسير والحديث والفقه علوما مقصودة لذاتها ، كما قد يتسرب الى ذهن القارىء من العبارة التي يسوقها ابن خلدون، وخاصة حرف ( من ) الذي يدل على الاستخراج والاستنباط ، وبمثل هاته الكلمات عبر في حق العلوم الطبيعية ، والالهيات ، عند ما عرض لهما في سياق اشبه بالسياق الذي عبر به عن الشرعيات : ( وكالطبيعيات والالهيات من الفلسفة )

فعبارته لا تعطي ان الفلسفة علم مقصود لذاته ، وانما العلوم المقصودة لذاتها هي الطبيعيات ، والالهيات المستخرجة من الفلسفة وكل هذا ليس من الغرابة في شيء ، وانما الغريب هو ان ابن خلدون عد الفقه من الامور الآلية ، وهو يرى ان الشرعيات المستنبطة علوم مقصودة لذاتها ، واي شيء هي الشرعيات اذا لم تكن فقها ، اننا لا نستطيع ان نتخلف من هذه الاشكال ، الا اذا استطعنا ان نحمل عبارة ابن خلدون على انه اراد بالفقه القواعد ، والطرق الموصلة للفقه ، لا الفقه ذاته

الذي هو الشرعيات كما نعرفه في عصرنا هذا .

5) **السيطرة وبشروح النقد والملاحظة فى المتعلم ومحاولة الشعور ببيئة المتعلم :** ومن المذاهب التي يراها ابن خلدون من احسن الوسائل ما نسميه بالسيطرة على المتعلم ، بالاضافة الى خلق روح الملاحظة في التلميذ مع حمله على احترام المتعلم ، ومنعه من الضحك وهو لذلك يسوق نصا يريد به تقرير رايه ، يجمع كل هاته الاقتراحات ولم يخصصه عند الاستدلال بواحد منها ، حتى يشعر القاريء انه انما يستحسن بعض ما ورد في النص الذي ساقه وترك البعض الاخر ، وانما ساقه سياقة تدل على انه ياخذ بما في النص من اقتراحات جملة وتفصيلا ، ما يتضمنه النص صراحة او اشارة وتلميحا ( ومن احسن مذاهب التعليم ما تقدم به الرشيد لمعلم ولده محمد الامين فقال له : يا اخي ان امير المومنين قد دفع اليك مهجة نفسه وثمرة عقله فصير يدك عليه مبسوطة ، وطاعته لك واجبة ، الى ان يقول : وبصره بمواقع الكلام وبدئه ، وامنعه من الضحك الا في اوقاته ) . فابن خلدون كما نرى ، لا يرى الضحك ممنوعا بل يجوزه ، واكثر من هذا انه يرى للضحك اوقاتا ، واذا كان ابن خلدون ينتقد الشدة على المتعلمين ويدعو كذلك الى المسامحة معهم ، **فانه لا ينسى ان يجعل** لهاته المسامحة حدا تقف عنده ، ولذلك يورد هذا النص ، ويورد المسامحة وحدودها ، في جملة ما يورد من امور : ( ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ) ، وفي مكان اخر من نفس النص ، يوصي الرشيد بالملاينة مع المتعلم ، الا انها اذا لم تفد جاز استعمال غيرها : ( فان اباهما فعليك بالشدة والغلظة )

واما محاولة الشعور بالشدة عند المتعلم ، فانها ايضا تبدو واضحة في اقتراح ابن خلدون من خلال النص الذي اورده ، والذي اخذ به كما قلنا جملة وتفصيلا ( وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة ) .

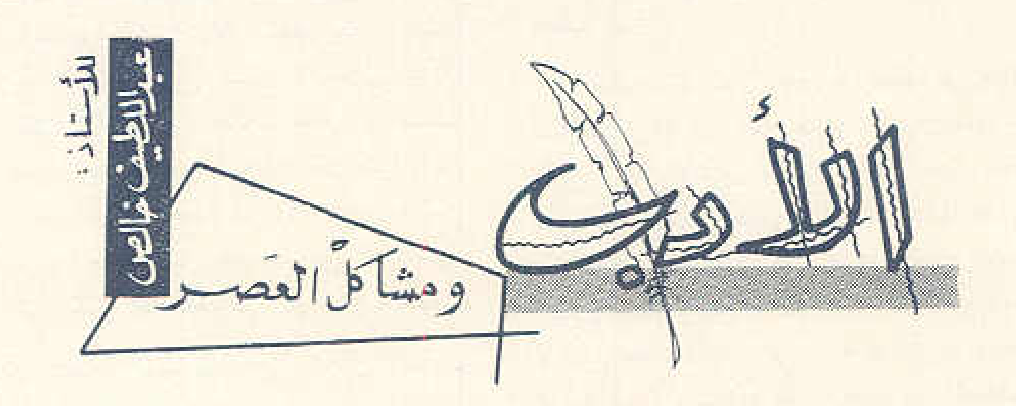
6) **الرحلة فى طلب العلم :** ومن الوسائل المهمة في التعليم عند ابن خلدون الرحلة وهي عنده من مكملات الثقافة والعلم ( في ان الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم ) ، ورغم ان ابن خلدون لا يعطينا تحديدا او تعريفا لهاته الرحلة التي يقترحها ، الا ان المراد منها يتضح ، بعد ان ياخذ الانسان في معرفة رايه فيها ، ويمكن ان نعرف الرحلة عند ابن خلدون انها لقاء المشيخة ، سواء كانت المسافة قصيرة او طويلة ، الا ان الرحلة عنده تقتضي الشيوخ ، وتعددهم ، وتعدد الشيوخ لا يكون الا اذا كانت الرحلة اطول ، فتعدد الشيوخ يكون بقدر الرحلة طولا وقصرا ، وكلما تعدد الشيوخ ، كلما كان ذلك عند ابن خلدون افيد في التعلم ، اي كلما كثرت الرحلة وتعددت كلما كان ذلك اجدى للمتعلم .

والرحلة كما يرى ابن خلدون ، لا تعلم الانسان فقط المعلومات بل ياخذ فيها اشياء غير المعلومات ، من اخلاق ، وفضائل ، ويقول عنها معللا : ( والسبب في ذلك ، ان البشر ياخذون معارفهم ، واخلاقهم ، وما ينتحلون من المذاهب ، والفضائل ، تارة علما وتعليما والقاء ، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة ،) كما ان التعليم عنده لا يقوم دائما على التعليم ، بل على التلقين بالمباشرة والمحاكاة ، وليست المحاكاة عنده تعني التقليد ، بل التعلم العملي ، الذي نطلق عليه نحن في عصرنا التجربة ، وابن خلدون لا ينسى ما للطريقة العملية من قيمة في التعلم ، بل ليست هناك اية وسيلة اكثر فعالية في التعلم ، من الاخذ بالمسائل العملية ، ولذلك يقول عن الطريقة العملية ( والتلقين اشد استحكاما ، واقوى رسوخا ) ، وبهذا التحليل نكون قد اضفنا مبدا اخر من المبادىء التي يقترحها ابن خلدون ، ذلك هو التعليم العملي ، وان كان ابن خلدون ذكره في ضمن الرحلة ولم يذكره على انفراد ، ولكون الغاية من الرحلة هي مباشرة التلقي عن الشيوخ بطريقة المشافهة ، يقول عن التلقي من الشيوخ : ( فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها ) ، وابن خلدون في موضوع الرحلة لا يفتا يؤكد ويلح على الرحلة فيقول عنها ( فالرحلة لا بد منها في طلب العلم ) والهدف الرئيسي من الرحلة عند ابن خلدون هو لقاء الشيوخ والاخذ عنهم ، ولكون ابن خلدون ينتقد كثرة الاصطلاحات ويرى ان فيها عائقا عن العلم ، فقد جعل الغاية من لقاء هؤلاء الشيوخ ومباشرة التلقي عنهم ، انما هو التغلب على هاته الاصطلاحات ، وتذليل الصعوبة التي تصادف المتعلم ، وتبدو له وكانها جزء من العلم ، فلا يدفع عنه ذلك الا الرحلة التي يلتقي فيها بالشيوخ ( والاصطلاحات ايضا في تعليم العلوم مختلطة على المتعلم حتى لقد يظن كثير منهم انها جزء من العلم ولا

يدفع عنه ذلك الا مباشرته لاختلاف فيها من المعلمين ، فلقاء اهل العلوم ، وتعدد المشايخ ، يفيده تمييز الاصطلاحات ، بما يراه من اختلاف طرقهم فيها، فيجرد العلم عنها ، ويعلم انها انحاء تعلم ، وطرق توصل ، وتنهض قواه الى الرسوخ والاستحكام في المكان ، وتصحح معارفه ، وتميزها عن سواها ، مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين وكثرتهما من المشيخة عند تعددهم وتنوعهم) والملاحظ ان ابن خلدون سواء في مباشرة الشيوخ او في التعلم النظري يبدي تدمرا بالغا من الالفاظ ، والاصطلاحات حتى يسكن حصر المتعلم في هاتين الناحيتين : الالفاظ والاصطلاحات عنده اشد على المتعلمين من غيرها ، واهم ما يلفت نظر القاريء في موضوع الرحلة عند ابن خلدون ، انه انما جعلها قاصرة تقف فائدتها ـ على المتعلم ـ عند تقديم فرصة لقائه بالشيوخ ، فلم يذكر الرحلة من حيث فائدتها على المتعلم من ناحية اخرى او نواحي ـ غير لقاء الشيوخ ـ كتاثير المناخ ، وتاثير المناظر ، الاماكن التي تتبدل على الانسان في رحلاته ، رغم انه يجعل هاته الاشياء اي المناخ والجو من المؤثرات على الانسان في كل اعماله من تعليم وغيره . ولعل في كلمتي : ( المحاكاة والمباشرة) عند ابن خلدون ما يفيد ذلك او بعضا منه ، على شيء من التجوز او التكلف في الفهم ، وان كانت الاشارة الى المؤثرات على الانسان في الرحلة ، كتقلبات الاجواء والبيئات ، لم يحظ من ابن خلدون باية التفاتة تذكر في موضوع الرحلة ، وقد اتى على الرحلة كشيء خاص ومحدود الفائدة : لقاء الشيوخ ، والتغلب على الاصطلاحات ، وما كان ينبغي له ان يفعل وهو الرجل الذي رحل كثيرا وعرف ما للرحلة من فوائد غير ما ذكر من لقاء المشايخ ، ولعل العبارة قصرت به عن ذلك او اهتمامه بالاصطلاحات وتركيزه في الحديث عنها حال بينه وبين ان يعطي للرحلة حقها من الكمال والتوسع .

هذه هي الاشياء التي يقترحها ابن خلدون وتلك التي سبقت امور ينتقدها واذا شئنا ان نكون منصفين اضفنا لهاته الاشياء التي يقترحها ما يقابل تلك الاشياء التي ينتقدها ، باعتبار انه عند ما ينتقد شيئا يكون قد راى ان من الاليق الاخذ بخلافه ، فهو اذا انتقد صناعة المنطق كاسلوب في التعليم ، فكانما اقترح مبدا الاخذ بالتعلم ، في معزل عن صناعة المنطق ، واذا هو انتقد الشدة ، فكانما اخذ بما يخالفها وهو اللين ، وهكذا فاقتراحاته كما نرى صريحة او ضمنية لا تقف عند هاته الاشياء التي عرضنا لها في هذا العدد ، بل هي ايضا شاملة للاشياء التي عرضنا لها في العدد السابق ، والتي كانت تبدو وكانها مجرد نقد مع انها تحمل بصورة معاكسة اقتراحات تحل محل تلك الانتقادات ، على اننا لم ناخذ انفسنا بالتكلف في الاستنباط والا فان المناهج عند ابن خلدون اكثر مما ذكرنا سواء ما عرض له ابن خلدون في هذا الموضوع او ما يمكن ان يكون عرضه في غير هذا الموضوع ، وسواء ما ذكره صراحة او ضمن اشياء قد لا يخيل للقاريء العابر انها من مناهج التعليم ، او انها تعني المناهج في شيء وذلك من خلال الكلمات التي قد لا تبدو فيها هذه المناهج الا بعد اجهاد في الاستنباط ، وقد ضربنا عنها صفحا ، كالالهام او الدعاء بالفتح الذي يلح عليه ابن خلدون ويعتبره سبيلا للنجاح عند العلماء الكبار ( متعرضا للفتح كما فتح الله عليهم من ذهنهم من رحمته وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون فاذا فعلت اشرقت عليك انوار الفتح من الله بالظفر بمطلوبك ) وهذا الذي يسميه ابن خلدون الاستعراض للفتح كان امرا معمولا به عند المسلمين استنبطوه من الاحاديث النبوية والايات القرءانية ولهذا عسر على المستشرقين ان يتصوروا حقيقة الكشف وان يقفوا عند نظرية الغزالي التي يقول فيها :(ان نورا انقدح في نفسه فاضاء له الكون) وقد بلغ المسلمون في التمسك بهذا المذهب حدا جعلهم لا يقدمون على درس او مطالعة الا اذا تطهروا وكانوا على جانب من الاستعداد الروحي لذلك ، حتى يكونوا اقرب الى الفتح اذا اعوزهم البحث والنظر فيما لم تهيئهم له عقولهم الضعيفة ، وكيف يريد بعض الناس ان يفهموا هاته الحقيقة وهم لا يتطهرون ولا يستمطرون رحمة الله كما يذكر ابن خلدون ، بل لا يلتزمون من مبادىء الاسلام شيئا لا في دراستهم ، بل ولا في حياتهم على العموم ، مع ان هذا امر ضروري في التعلم ، وهو سر الفتح عند الاقدمين وصدق الله العظيم ( واتقوا الله ويعلمكم الله ) .

**الربـاط ـ محمد الامين الدرقاوي**




يعيش الادب ، منذ ظهر الى الوجود ، في تطور مستمر ورقي مطرد وتغير متواصل شانه في ذلك شان الانسان الذي لم يفتا يترعرع ويتطور ويرتقي ويتغير منذ خلقه الله في هذه الدنيا الحافلة بالاحداث الداعية الى التطور والتغير . وليس في وسع الادب ان لا يساير الانسان في تطوراته وتحولاته وتقلباته وهو لا يعد وان يكون اداة للتعبير عما يجول في خاطر هذا الانسان من مشاعر وخوالج وما يخامره من نوازع ولواعج وما يضطرب في احشائه من انفعالات ذاتية واحساسة فردية هي نفسها وليدة الظروف التي يحياها هذا الانسان وصنيعة الاحداث والتقلبات التي تطرأ عليه وعلى المحيط الذي يعيش فيه والبيئة التي ينتمي اليها والمجتمع الذي ينشا وينمو في احضانه .

ولعل هذا ما جعل الادب يتطور ويتقدم في الاقطار والقارات المتقدمة ويتخلف ويتاخر عند الشعوب التي ما زالت تجر اذيال التخلف وتذوق وبال امره .

ومما لا اشكال فيه ان من علامات حياة الادب في مختلف اشكاله وانواعه وفنونه واماراته نهوضه ونموه قبوله لمسايرة التطور البشري والتقدم الانساني في شتى العهود والعصور واستعداده لمواكبة الانسان في مختلف مجالي الحياة والتلاؤم مع مقتضيات الرقي الفكري والنمو العقلي والنشاط الاجتماعي والالتزام بخدمة الانسان كلما دعي هذا الاخير للقيام بما تستوجبه المسؤولية الملقاة على عاتقه .

وما المدارس الادبية المتعددة التي عرفها ميدان الادب والمذاهب الكثيرة التي تقلب فيها العمل الادبي الا دليل ساطع على صحة ما قدمناه حتى الان لانها تشهد بتطور الادب وتكيفه مع العقليات المختلفة ومسايرته للاتجاهات التي تغزو المجتمعات البشرية في كل وقت وحين والتي اصبحت اليوم تكتسي جلالا خاصا وخطورة شديدة الباس نظرا للتقلبات المهولة التي يعرفها العصر الحاضر والتحولات الجذرية التي طرأت على المجتمع الانساني بصفة عامة وعلى مجتمعنا المغربي بصفة خاصة .

ان تاثير الادب في الشعوب امر بديهي لا يحتاج الى دليل ، وسيكون تاثير الادب الحالي على الاجيال الصاعدة اعظم واقوى من تاثير اي ادب سابق نظرا للتبعات الجليلة الملقاة على كاهل ارباب القلم الذين يتعين عليهم ان يشعروا شعوبهم وبيئاتهم بما طرا على الكون من تطورات جزيلة وتحولات جليلة وبما قد ينتج عن هذه التقلبات من تغيير لبعض المفاهيم وتضعضع لبعض القيم والمقاييس .

وقد اصبح من المتعين على كل من سلبته دولة القلم ان ينغمر وسط الاحداث التي تهز العالم وان لا يظل بعيدا عنها في هذا الوقت الدقيق الذي يتحدد فيه مصير الدنيا وترتسم فيه صور عالم جديد ما زالت التجارب العلمية والاكتشافات الفضائية والتطورات التقنية تتبارى في تخطيطها وتتنافس في اظهارها .

وسوف لا يتاتى للادب ان يضطلع بالمهمة المنوطة به الا اذا قام رجال الادب ودعاته بتوضيح العلاقات التي يجب ان تكون بين الشخص وبين الواقع مهما تغير هذا الواقع وتطور . ولن يتسنى لرجال الادب القيام بهذا العمل الا اذا زودوا انفسهم بالافكار

المعاصرة والصور الحية ومزجوا بينها وبين مكتسبات العقل والفكر وجمعوا بين الثقافة التقليدية المتينة والثقافة العصرية المتجددة التي تتفتح لاستيعاب مشاكل العصر وقضايا القرن العشرين . فكيف يعقل ان يلم الاديب بثقافة عصره ومشاكل مواطنيه اذا ظل منزويا في بيته قابعا في برجه العاجي بعيدا عن الاحداث التي تجري على مسرح العالم نائيا بجانبه عن المكاسب والانتصارات التي يظفر بها العلم في كل وقت وحين ؟

ان مشاكل الثقافة العصرية هي مشاكل العالم الحديث ، والمثقف الحق هو الذي ينكب على دراسة المآسي التي يتخبط فيها رجل القرن العشرين متحملا في ذلك التبعة التي ينبغي ان يتحملها ازاء الانسانية على العموم متدبرا سائر العواقب الوخيمة التي يمكن ان يؤدي اليها كل عمل مشين قد يضر بالمعجزات التي حققها الانسان ويسمم المخترعات الجديدة والمكتشفات الحديثة لانها سبب خراب العالم ودماره لا سبب رقيه وانطلاقه وازدهاره .

ان المدنية الحديثة والحضارة العصرية تتطلبان المزيد من اليقظة والحذر لان ما تحملانه من فتح مبين لرقي البشرية لا يخلو من شوائب مضرة وجوانب غامضة ما زالت في حاجة الى التبيين والتوضيح والتأكيد والترسيخ . وهذا جانب كبير من المسؤولية العظمى التي يتعين ان يضطلع بها كل مثقف وقف حياته ومواهبه لخدمة العلم والثقافة والحضارة لان الانسانية تواقة الى من يساعدها على تفهم مشاكل العصر واشعارها بالتبعات المنوطة بها وتقوية وعيها بعظمة المكتسبات التي توصلت الى الظفر بها كما انها راغبة في اتباع كل من يحاول ارشادها اثناء مرحلة التحول التي تعيشها الان والسير على نهج كل من يود ان ييسر لها سبيل ارتقائها المنشود وتطورها المأمول

ان مهمة المثقف في النصف الثاني من القرن العشرين تتلخص في تلقف كل جديد وطريف والاحاطة به من سائر جوانبه والتوقف في ادراك ما ينطوي عليه والشعور بكل ما يحتوي عليه هذا الجديد من امكانيات قد تساعد على تفتق الفكر البشري لاستيعاب المعلومات والمعارف العصرية وهضمها وتفتح العقل الانساني للتعامل بها والتصرف فيها بعد ما تصبح ملكا له .

وسوف لا يتم الوجود والخلود في هذا العصر لاي عمل ادبي الا اذا جعل هدفه الانسان الجديد وما يتطلبه تكوين هذا الانسان واعداده حتى يصير بحق ، رجل المستقبل الذي يحقق في طياته عالما قد يختلف في كثير من الوجوه عن عالم اليوم وحتى تتجلى له حقيقة الغد واضحة ويغدو واقع ذلك الغد مألوفا ملموسا وحتى لا يضيع هذا الانسان في متاهات فكرية ومجالات علمية غريبة عنه . ويتطلب هذا العمل من المثقفين والمثاديين تحليل جميع عناصر الوجود والتعمق في الاحداث الجارية وسبر اغوارها والنظر اليها بنظرة المستقبل لا بنظرة الماضي ومحاولة التأثر بها والتأثير فيها . وقد سبق للكاتب الروسي الكبير « جوركي » ان عرف هذه النظرة تعريفا حقيقيا عند ما قال : « يتعين علينا ان نعرف واقعا ثالثا هو واقع المستقبل . كما يتعين علينا ان ندرج هذا الواقع الثالث في كل ما نعمل وان نصفه وصفا يقربه الى الاذهان »

وكيف يتسنى للمثقف سواء كان اديبا او كاتبا او شاعرا او استاذا او غير ذلك ان يقوم بهذا العمل اذا لم يدرك المسؤوليات التي ترجع اليه بصفته عنصرا فعالا في توعية الشعوب واشعارها بما ينتظرها ؟ ان الفن الذي تتوق اليه الشعوب النامية ليس هو الفن الذي يرضي النخبة المثقفة او الطبقة الواعية كما ان العمل الادبي الذي تنتظره الامم الساعية الى الرقي والتطور والمتمشية في طريق التحول والتقلب ليس بالعمل الادبي الذي يخاطب القلب والوجدان ويدغدغ روح الانسان وذكاءه الانتاج الادبي القوي الذي يخاطب القلب والعقل وينفذ الى اعماق القارىء او المستمع محاولا انتشال كل منهما من دركات الخمول والانحطاط والزج بهما في معركة الحياة الدائمة المتجددة ومساعدتهما على التغلب على المشاكل التي يتخبطان فيها ورسم معالم الطريق التي يتعين ان يسيرا فيها والتي ينبغي ان يجرا اليها بيئتهما ومجتمعهما . ولن يستطيع ان يؤدي هذه المهمة العسيرة الا العمل الفني الذي يحلل القضايا الاجتماعية الكبرى التي تواجهها شعوبنا النزاعة الى اصلاح نفسها الميالة الى الارتقاء والنمو الذي يبث

خلال هذا التحليل ، المسائل الفلسفية والثقافية والاقتصادية بما يجعلها تنفذ الى القلوب والاسماع وتعمل عملها البناء في تركيز المبادىء الانسانية الخالدة ولعل هذا ما حدا بالكاتب الروسي « ليونوف » ان يقول في سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة والف :

« يجب ان يكون الفن مرآة تنعكس عليها اقوى عواطف الشعوب واعمقها واشد الطبائع باسا وحولا » .
وقد اصبح من المتعين ان تتطور الاساليب الادبية لتنسجم مع ما تفرضه هذه المرحلة الجديدة من التطور التاريخي الذي دخلت فيه البشرية باسرها والذي لن يستطيع الخروج منه احد ، وقد صار هذا « الانطلاق التاريخي الكبير » كما يعبر عنه « ليونوف » يؤدي الى ضرورة تحديد الهدف الذي يرمي اليه الادب بصفة عامة سواء كان هذا الادب قصة او شعر او غير ذلك

فقد مر على الانسانية حين من الدهر كان الادب فيه عبارة عن مداعبات ومساجلات يتبادلها رجال الثقافة والعلم والادب فيما بينهم كما كان الادب فيه تراشقا بالنكت وتفاخرا بين القبائل وتبادلا بالقذائف والشتائم بين الافراد المتخاصمين عدا ما كان يزخر به الادب عموما ، وادبنا العربي خصوصا من غزل ومدح . وقد اصبح لزاما على الادب اذا اراد الخلود ان يتجاوب مع مشاعر المواطنين في كل مكان وزمان وان يساعدهم على رفع مستواهم وان يلعب دورا خطيرا في التقارب بين الامم والشعوب واستتباب قواعد التعايش السلمي في عالمنا الحاضر وترسيخ المعارف الجديدة في النفوس

لقد كان القمر ، الى حين قريب ، محط انظار مختلف سكان الارض ومناط آمالهم وقبلة ابصارهم ، وكان لغزا مبهما يتجه اليه الناس لاستكشاف غوامض مشاعرهم ويلجأون اليه للاستيحاء والاستلهام ، كان يسلبهم بناصع بياضه ويستولي على ابصارهم بعجيب شكله وغريب جماله فيتطلعون اليه كلما الم بهم امر وتسرح في مجاليه اخيلتهم وترعرع فيه صورهم ، وقد اصبح القمر اليوم او كاد ان يصبح فلكا معروفا ومقصدا مألوفا ، وهذا في حد ذاته ، تغيير قد يرى البعض انه يمس الطبيعة وحدها ولكنه في الواقع حدث ينطوي على حقائق جديدة وقد تؤدي هي بدورها الى مكتشفات اخرى قد تكون اشد غرابة مما وصل اليه الفكر البشري حتى الآن وان من مهمة الادب ان يعمل على التعريف بمثل هذه الحقائق وتوعية الناس بها حتى لا تظل بعيدة عليهم او مجهولة عندهم

ان البشرية تجتاز اليوم مرحلة تحول عسيرة ، وليس من السهل على مطلق العقول ان تدرك ما يحيط بها من حوادث وما يلم بها من قضايا ، واذا كان للتعليم والتربية نصيب وافر في تكوين عناصر واعية لهذه التقلبات فان الحصة الكبرى في هذه التوعية ترجع الى المثقفين من كتاب وشعراء وفنانين الذين يتعين عليهم ان يقربوا هذه الحقائق الى اذهان الدهماء حتى لا يظل الناس في الضلال يعمهون

وما الفرد البشري الا جزء من هذه الطبيعة التي اخذت تتطور وتتغير ، فمن الواجب عليه ان يتطور معها حتى لا تكون الطبيعة سباقة الى التطور ويكون هو خاملا في التقهقر والتاخر ، وان من مهمة الادب الحق ان يتبع الانسان عن كثب اثناء هذه المرحلة ، وان على الكاتب او الشاعر ان يتفهم رجل هذا العصر ويدرس تطوره جسميا وعقليا قبل ان يصفه في كتبه ويشرحه في انتاجه ويقدمه لجماهير القراء كنموذج مثالي حي للانسان المعاصر الذي لا يتنافى في حياته وسلوكه وتفكيره مع العصر الذي يعيش فيه

واذا كان على الادب المعاصر ان تقتدي بالادب الاتباعي او الابداعي فان الواجب يفرض عليه ان لا يفرغ هذا الاقتداء في قالب التقليد لان الادب كان يعنى فيما سبق ، باشخاص قد عفا عليهم الزمان بينما الادب المعاصر يعنى برجل العصر . فلنتعلم من الاتباعيين اساليبهم ولناخذ طرقهم ولنهضم بعض عناصر مهنتهم دون ان نقلدهم في تحليلاتهم ومتابعتهم في عرض نماذجهم . فقد كان رجل القرن السابع عشر الميلادي مثال البورجوازي الخالص الذي يحسن التعامل مع العناصر المنتمية لطبقته والذي يجيد القاء بعض الاشعار ويلم بالثقافة السائدة في عصره والذي يتقن الحديث الجميل في المجالس والصالونات ، وكان هذا الرجل المعيار الذي ينسج عليه الادباء والكتاب والشعراء ابطالهم ، فمن قاربه او شابهه كان قمينا بالفلاح ومن ابتعد عنه كان العنصر الذي يتعين اجتنابه وتلزم محاربته ، اما رجل القرن الثامن عشر فكان الفيلسوف

المثالي الذي يدافع عن المظلومين والمنكوبين والمفكر الواعي الذي يدعو الى الحرية ومحاكاة الطبيعة وينبذ التعصب الديني والطبقي والاستغلال الفردي او الجامعي ولذلك جعله الكتاب والشعراء نموذجهم المتبع وتهجهم المقتدى به ومقياسهم الذين يبنون عليه شخصيات قصصهم ورواياتهم . وما ان بزغ فجر القرن التاسع عشر حتى استولى الياس على النفوس والقنوط والضجر على القلوب ، فجاء رجل هذا القرن عبارة عن رجل ذي قلب مريض غلب عليه اليأس وحطمه داء العصر ، فلا الحرية التي يتمتع بها ترضيه ولا بداية التطور الصناعي تغريه ولا الاكتشافات الحديثة تستحوذ على قلبه وتدفعه الى العمل بعد ما تغرس في روعه بذور الانتعاش والامل ، ولهذا اضطر الى السياحة في الارض واحتلال الامصار البعيدة والتحكم في رقاب شعوب اخرى غير ان هذه السيطرة التي كان يمليها الياس من الحياة داخل حدود الوطن الام والرغبة في استعباد الغير لم تعتم ان تحطمت عند ما استفاقت الشعوب المغلوبة على امرها واخذت تدافع عن حقوقها ، وهكذا لم يجد هذا الرجل اليائس وسط التطور الصناعي والرقي الاجتماعي والازدهار الاقتصادي مفرا غير تخطي هذه الارض واجتيازها ومحاولة استكشاف كواكب اخرى كالقمر والمريخ والزهرة وغيرها عساه يجد فيها ضالته ويشفي بواسطتها غليله في السلب والنهب والاستيلاء ، فنحن اذن ، امام انسان ما فتىء يتطور ويتغير ويتقلب ويتحول ولن يستطيع الادب القوي ان يؤدي مهمته على اكمل وجه الا اذا تتبع هذا الانسان في مختلف مراحل حياته وتطوره حتى يكون الابطال والاشخاص في الروايات والقصص مماثلين حقيقة لهذا الانسان ، وحتى يشعر القارىء والمستمع من خلال حوارهم واحاديثهم الى ان النماذج والشخصيات التي يقدمها الكتاب والشعراء شخصيات معاصرة له وحتى لا يظهر بلون شاسع بين الفن والحياة ، وان من دواعي الحسرة والاسف ان نلاحظ ان الحياة تتطور وتتحول اكثر مما يتطور الفن واكبر مما يتحول الادب . وانها ، وايم الحق لظاهرة سيئة قد تؤدي بالفنون على اختلاف اشكالها وانواعها الى الاضمحلال والانمحاء ما دامت هذه الفنون لا تساير الحياة المتقلبة المتغيرة ولا تواكب سير الاحداث الجارية في العالم .

فهل اصبح الادباء عاجزين عن مسايرة التطورات التي عرفها ميدان العلم والصناعة ؟ ام ان كتابنا لم يتدربوا بعد على استعمال « الكلمات التي تتفجر عنه كتابتها في الورقة او الصحيفة » كما يقول ( ليونوف؟ )

ان الادب اليوم لا يكتفي بالعبارات الرقيقة والالفاظ الدقيقة والكلمات الجميلة ، لقد اصبح الادب من اقوى الادوات واكبر الوسائل التي تستعمل لتكوين الافراد والجماعات ، وهو لذلك ملزم بخلق نماذج جديدة تستطيع ان تنسجم مع مقتضيات التطور الحديثة كما انه ملزم باعداد مواطنين سالمين في تفكيرهم متفتحين على ما يجري في العالم ، بل هو ملزم بوضع اخلاق جديدة تتلاءم ومتطلبات التطور الحديث ، وقد تعتبر كل نغمة فاسدة يرسلها احد رجالات الفن والادب عرقلة في طريق تحقيق هذا التحول الفكري المنشود لانها ستحول دون ظهور الحقيقة التي ينبغي للادب ان يكشف جوانبها الغامضة .

فما على الكتاب والشعراء الا ان ياخذوا مصادر رواياتهم ومراجع كتاباتهم من «افاق المستقبل ، ومن خلال العمل المدهش الذي يقوم به العملة والشغالون في المعامل والمختبرات والاوراش والذي يسعى الى تغيير وجه العالم وان يعرضوا عن المغامرات الغرامية التي اختى عليها الدهر .

وما دمنا بصدد الكلام عن الانواع الادبية ، فمن الواجب ان نشير الى الدور العظيم الذي ما زال على المسرح ان يقوم به خلافا لاولئك الذين يدعون بان نجم المسرح قد افل الى غير رجعة . ان المسرحية اشرف الانواع الادبية واجلها لانها انفذ الى النفوس واسرع الى القلوب وهي اكثر هذه الانواع تاثيرا لانها تدفع بالمتفرج الى المساهمة في حركتها الدائرة بعد ما تشغل باله وتستولى على تفكيره ، وهي بهذه المثابة اداة فعالة في تكوين الفرد والمجتمع لذلك يتعين الاهتمام بها واعطاؤها ما تستحقه من العناية وحشوها بالمواضيع المفيدة المنتشرة في القرن الحالي حتى لا تكون مواضيعها بعيدة عن اهتمام الجماهير الشعبية التي يتعين ان تستفيد منها اعظم الاستفادة . ولن تستفيد الجماهير من هذا المسرح الا اذا تخلى هذا الاخير عن الاشتغال بالعواطف الكاذبة والموضوعات البعيدة عن

المجتمع واقبل كتابه على الموضوعات التي تاخذ بلب الجماهير وتستحوذ على اهتماماتها الخاصة والعامة ، فهل يستطيع المسرح ان يعد رجل الغد ويهيئه لتحمل المسؤوليات التي تنتظره في المستقبل القريب اذا ما اكتفى بترديد ما كان يقوله السابقون وباحصاء الجزئيات البسيطة التي تزخر بها حياتنا اليومية ؟

ان المسرح لن يستطيع الاضطلاع بالمهمة التربوية الملقاة على عاتقه واداء الدور الخطير في التكوين والتوعية الذي اسند اليه الا اذا تغذى بقضايا العصر التي تشغل بال رجل القرن العشرين وتزود بالمشاكل الشائكة التي تواجه هذا الرجل والتي تتطلب منه تحولا فكريا وعمليا والا اذا تطرق للتطورات المدهشة التي يفتخر بها هذا القرن

فالامل ما زال معقودا على المسرح حتى يلعب دوره كاملا في تكوين الانسانية ورفع مستوى تفكير ابنائها ومساعدتهم على مواجهة الحياة وتقريب التطورات الجديدة الى افهامهم وفتح اذهانهم على ما يجري فوق الكرة الارضية وما يدور بين هذه الارض والافلاك المحيطة بها .

وما يقال عن المسرح يمكن ان يقال عن السينما والتلفزة والاذاعة والصحافة ومختلف وسائل النشر والدعاية الحديثة فانها كلها لن تؤدي رسالتها على الوجه الاكمل الا اذا قدمت لجمهور القراء والمستمعين والمتفرجين نماذج حية من رجال العصر وابرزت كيفية خوضهم لمعركة الحياة في هذا القرن وتغلبهم على المشاكل الجديدة سواء كانت اجتماعية و اقتصادية او سياسية او تربوية واقدمت على عرض هذه النماذج والمشاكل في اساليب طريفة تجعلها تنفذ الى الاعماق في اتئاد وهدوء وتتسرب الى الاذهان في اطمئنان ورضى

وخلاصة القول فان الاكتشافات الحديثة والتطورات الحالية قد فتحت امام الادب افاقا واسعة ومجالات جديدة يتعين على هذا الادب ان ينسجم معها ويتفق تطوره مع تطورها حتى يكون في مستوى هذه الاكتشافات العجيبة ويكون بصدق واخلاص ، اداة فعالة في طريق التقدم والنمو

وسوف لا يتسنى للادب ان يلعب هذا الدور الا اذا كان العاملون في حقله ملمين بما يجري حولهم مومنين بما وصلت اليه البشرية من تقدم علمي وتطور مادي ، مجدين في خدمة الاهداف الاخلاقية العليا التي سيظل الادب يخدمها من بين مختلف ميادين النشاط الانساني، والتي سيبقى الادباء يحملون مشعلها الى ان يرث الله الدنيا وما فيها .

**الربـاط ـ عبد اللطيف احمد خالص**






للأستاذ: حسن الوراكلي

-2-

كانت الظروف التي احاطت بنشاة روبن قاسية، مفرطة في القسوة ، وبرغم مـا كان يبذله قريباه من جمله لا يحس بشيء من ذلك فقد كانت الايـام مـا تفتأ تهتك له من الحيـن للاخـر ستـارا عن فصـل من المأساة الحزينة التي كان واحـدا مـن ابطالها .. ولقد كانت قـسوة ظروفه واحساسـه العميق بهـا هو الذي دفع به ، على صغر سنـه ، الى البحث عن مورد رزق من اجل الحيـاة ، وكان اول ما اشتغل به مهنة التدريس ، ولكنه لـم يمارسها الا فـتـرة قصيرة ، ثم تركها ، وكان عمره اربعة عشر ربيعا حين غادر مدينة ليون Leon الى منكوا Mangua ليس معه الا قليل من مال ودعاء السيدة برناردا سار مينطو ، وهنالك هيأت له الاقـدار منصبا بالمكتبـة الوطنية ، وقد اتاح له هذا المنصب فرصة تنميـة مواهبه الادبية وصقلها وتهذيبها بالقراءة الغزيـرة والاطلاع المتواصل «1» ، ويتحدث الاستاذ الناقـد خوان انطونيو ثابناس في كتابه الممتع عن روبـن داريو اثر توظفه بالمكتبة الوطنية بمنكوا : ـ روبن بدا يوسع ثقافته ، يقرأ بشوق تحت توجيه شاعر عجوز هـو المكتبي انطونيودي اراكون » ، لقد اطلع ، يومئـذ ، بصورة واسعة على آثار الكلاسيكيين الاسبان وذخائر الرومنطيقيين الفرنسيين والاسبان «2» ، وفي هـذه المكتبة كانت لقاءاته مع ليولا وهوميروس وفيرخيليو ودانتي، وبطراكاه وشكسبير، وسرفانطيس، وكونكوره وهوجو، وجوته، المعالم العظيمة الرائعة المنتصبة على طريق الفـن والاخلاق والجمال ، قرأ انتاج هؤلاء وغيرهم من العباقرة بتمعن وروية حتى ترسب في نفسه مـن آثارهم خطوط وظلال كانت له رصيدا ثرا يستمـد منـه فيما يكتبه من اعمـال في مستقبل الايـام .

ويذكر روبن نفسه بانه قرأ « في تلك الفتـرة مداخل مكتبة المؤلفيـن الاسبان » كما صادق نخبة من الادباء والمؤرخيـن والمربيـن ، وكما افـاد من صحبة هؤلاء افاد من مواظبته على حضور الندوات الادبيـة والفكريـة ، فكان ، حقـا ، في تلـك السن المبكـرة من ثمـره كما وصفه الاستاذ كابناس « اسفنجـة تمتص العصـارات المختلفة للثقافة » «3» .

لم يستقر به المقام طويـلا في منكـوا ، ذلـك لان قلقا نفسيـا ، وتطلعا الى «مثل» يبتغيه فلا يجده ، وشغفا بذرع ارض الله ، كل ذلك كان حافزا له علـى عدم الاستقرار في بقعة يحل بها .. لقد ترك منكوا ميمما وجهه شطر جمهورية سلفادور ، فما كاد يمضي بها اياما حتى دعي للتحرير في صحافتهـا المشهـورة يومئذ ، غير انه لم يقم هنـاك طويلا ، فلقد حمل ذات يوم حقيبته وودع سلفادور عائدا الى وطنه لينفق بـه فتـرة يشغل خلالها ، منصب كاتب بسكرتاريـة الرئاسـة ، ويدبج مقالات ويكتب شعـرا تزدان بـه اعمدة الصحف النيكاراكوية .

وفي غضون سنـة 1885 ، شهدت الاسـواق الادبية بمنكوا صدور اول ديـوان لروبـن ، سماه : رسائل وقصائـد Epistolas y poemas وكان طبعيا ان

«1 انظر : Historia de la civilizacion, t. II

«2 انظر Antologia de la Gerardo Diego, Poesia espanola contemporanea

«3 راجـع : Juan Antonio Cabezas, Rabén Dario( un poeta y una vida) c. Austral, Segunda edicion

تعكس صفحات هذا الديوان تأثر روبن المحسوس الملموس – الى حد التكرارية والاجترارية – بمن كان يقرأ لهم ، يومئذ ، من رواد الرومنطقية في القرن التاسع عشر .. ومن ثم قيل عن ديوانه هذا بانه يتضمن قصائد تافهة ليست الا صدى او « مسخ» لشعر بيكير وكاميواموروثوريا وفيكتور هوجو ، والحقيقة ان اشعار روبن التي كتبها وهو في مطلع حياته الادبية مترعة بالثقافة والقلق والاحساس الرومنطيقي ، وليست تعكس شخصيته كما ستعكسها اثاره الاخرى فيما بعد ، وانما كانت آثاره الاولى تحمل انفاس بيكير وكاميو اومور ونونييث دي ارثي وهوجو، وتتسم بميسم البارنسيين «4» Parnasianos وCarnasianos واصحاب الاغاني وبرتيسو وكونكورة .

ومرة اخرى يترك روبن داريو وطنه نيكاراكوا، متوجها الى جمهورية الشيلي نتيجة لهزة عاطفية كما يزعم هو نفسه ، وفي ربوع الشيلي الجميلة ، الفاتنة اقام روبن ثلاث سنوات « 1886 – 1889 » اشتغل اثناءها ، محررا بجريدة الفترة La época ومراسلا لعدة صحف ذائعة الصيت ، منها جريدة الامة La Nacion التي كانت تصدر ببوينس ايريس عاصمة الارجنتين .

وتعد هذه السنوات الثلاث التي قضاها روبن في جمهورية الشيلي انطلاقة الخصب الادبي الممتاز والعطاء الشعري الجيد في حياة روبن ، فالى جانب المقالات المتعددة التي كانت تنشرها له صحف الشيلي ومجلاتها ، اصدر روبن ديوانين يتضمنان قصائد رومنطيقية ، اولهما هو : آلام Abrojos «سنتياكو1887» ، والثاني هو : الورود الانديئية«5» La rosas andinas « فاليربو 1888» ، واشترك معه في هذا الديوان الشاعر روبن روبي ، كما كتب روبن داريو بالاشتراك مع الكاتب ادواردوبيريربو قصة طويلة بعنوان املينا Emelina فاليريو 1887» نشرت منجمة في احدى صحف الشيلي .

على ان كل ذلك جميعه لم يذع اسم روبن في اقطار الدنيا ولم يلفت اليه انظار الادباء والنقاد في مختلف الاصقاع كما سيمكن له ذلك كتابه الرائع الخالد « ازرق Azul » الذي اصدره في فاليريسو سنة 1888 .

وفي معرض الحديث عن رائعة روبن الخالدة «أزرق» يتصور الاستاذ خوان انطونيو كابناس «6» احساس عمال المطبعة وهم منهمكون في تصفيف حروف كلمات « ازرق » فهم يبصرون قصورا وجنانا ونساء « ميثولوجيات » عاريات وعصافير واميرات « الركوكو » الجميلات ، وهم – اي العمال – يصغون الى انغام منومة ، ويستنشقون الانسام العليلة ، وفوقهم نشرت الملكة « ساب » الشعر الازرق للاحلام الحلوة ، ان عمال مطبعة «فاليربسو» ماخوذون هم لا يفهمون هذا النثر وهذا الشعر ، الكلمات ليست هي الكلمات التي الفوا خروجها من صناديقهم ، ماذا جرى ؟ كيف يتحول الرصاص ذهبا ومرمرا وجوهرا ؟ وكيف يتحول ، ايضا ، اوزا ونجمة وزهرة ؟ ان الكلمات لتبدو لهم حديثة عهد بالحياة ، ليسوا يعرفونها هم الذين « صففوا » نثر وشعر كبار الاساتذة الاسبان .

هل يكفي ذلك لتصوير روعة «ازرق» هذا الكتاب الذي طار باسم روبن كل مطار ، وخفق به في كل سماء ؟

بصدور « ازرق » شغل روبن بادبه الدنيا والناس ، ولفتهم جميعا الى نيكاراكوا ، الارض الطيبة التي انبتت هذا النبوغ عديم القرين .

وارتفعت صيحات الاعجاب والتقدير من حناجر كبار النقاد ، فهذا كولد برج يؤكد بان

---

«4» البارناس – هو فيما تتحدث به الاساطير الاغريقية جبل كان مستقرا لالهة الشعر ، وانتسب اليه جيل من الشعراء الفرنسيين في القرن التاسععشر ، فسموا « بارنسيين » ومن رواد هذا الجيل الشاعر تيودورو دي بانفيل « 1823 – 1891»كان تاثيره عظيما في فرنسا واوربا جميعها وامريكا ومن رواده ايضا : الشاعر لكونط ديليل« 1820 – 1894 » ومن اروع انتاجه : السعادة والعدالة . La justicia

«5» نسبة الى سلسلة جبال اندس Andes بامريكا الجنوبية ، تمتد من وادي اطراطو الى راس ارنوس ، وهي تشغل مسافة 000 800 1 كلم2وتمتد 500 7 كلم ، وبها يقيم الهنود الحمر – راجع دائرة المعارف Monitore ص 323 ج 1

«6» انظر كتابه : Rabén Diario (un poeta y una vida) c. Austral, segunda edicion, p. 62

«ازرق» هو الصاروخ الذي اعلن مولد المودرنسيم» في الادب الاسباني ، وهذا ضون خوان فاليرا يكتب الى روبن » بعد قراءة ازرق ـ ليقول له « انت لست رومنطقيا ولا طبيعيا ولا عصبيا ولا متخلفا ولا رمزيا ولا بارنسيا » وهذا يعني ان روبن كل ذلك ، ولكنه بالاضافة روبن داريو الذي قدم للعالم عسله المصفى وسمه المقطر : شعره .

يقول الاستاذ كابشاس : « بعد صدور « ازرق » وجد شيء جديد في عالم الاشكال المثالية ، شيء حلو، كعطر جديد ، ولو جديد ، ونغم ملذ جديد ، اللون الازرق انفلت من قوس قزح ليغدو مرتعشا في صفحات روبن ، كما من قبل في لوحات الرسامين البدائيين » « 7 » .

ويقول روبن نفسه :

« الازرق هو بالنسبة الي لون الحلم ، لون الفن ، اللون الاغريقي «والهومروسي «8» ، لون المحيطات والسماوات » .

ان روبن ، بتحفته الفاتنة « ازرق » اقبل على افاق الفن الرحيبة بما يقبل به عادة كل شاعر اصيل ، شكل جديد للاحساس بالجمال والتعبير عنه ، فليست اقاصيص «ازرق» وقصائده الاسمفونية ، عبقرية ، ملذة ، تمزقها رحاب الكون لكل ما ومن في الكون .

لقد رحب كبار ادباء الكلمة الاسبانية يومئذ ب « ازرق » روبن ، وتضمن سجل الادب الاسباني عبارات وتقدير واعجاب وافتتان من طرف ضون خوان فاليرا ، واميليو كاسطلار وكاسيار نونييت ارثي ورامون دي كامبوامور وليوبلدوالاس « كلارين » وخوسي ثوريا ، وغيرهم ، وغيرهم كثير .

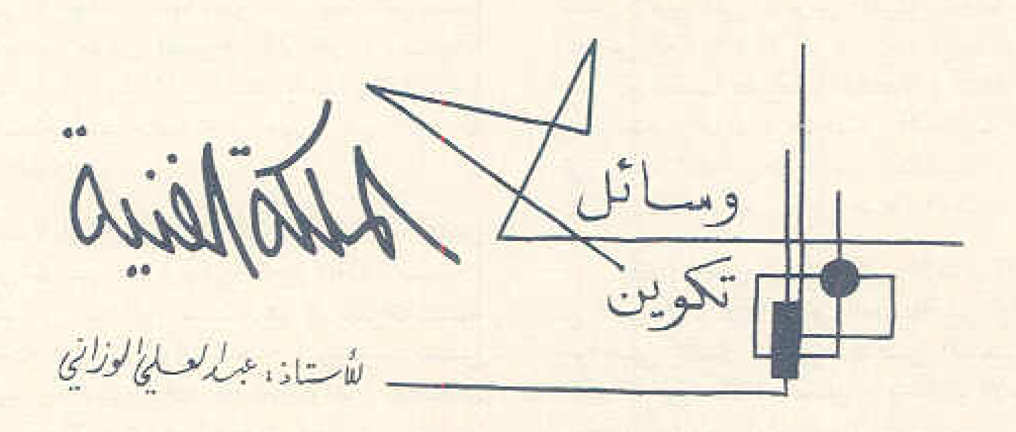
ان « ازرق » ـ بعبارة موجزة ـ هو الكتاب الذي اعطى شهرة وذيوع صيت في عالم الادب ، وهو النور المشع الذي ارهص بانبثاق فجر جديد في افاق الاداب الاسبانية ، واذا كان رون يبدو في ديوانه الاول « رسائل وقصائد » مقلدا مرددا لاخيلة وصور ومضامين رواد الرومنطيقية فانه في « ازرق » يسجل تخلصه من التبعية والتقليد واجترار ما قاله غنائيو الادب الاسباني في القرن التاسع عشر ، وليس يعني هذا ان صفحات «ازرق» تخلو من اي تاثير خارجي ، بل انها تنضح بتاثيرات كثيرة ومختلفة ، ولكنها مهضومة ومتمثلة .

ـ يتبع ـ

**تطوان ـ حسن الوراكلي ـ**

7» المصدر السابق .
8» نسبة الى الشاعر هوميروس .






- 3 -

في المقال الماضي حاولت ان ابحث عن وسائل تكوين الملكة الفنية ، ملتمسا هذه الوسائل فيما ياتي : اخلاص المتادب للحياة ، وتعشقه لجمالها وتذوقه لروائعها ، واستجابته لاحداثها وماجرياتها ، مع تحمله لكل ما قد يتطلبه ذلك من ءالام واحزان ، كضريبة يؤديها مقابل ربحه الادبي الذي يكون عمدته عند ما ينتج الادب ويبدع الفن ، ثم حاولت ان ابحث عن وسيلة اخرى في كون المتادب لا يقف من الحياة موقف المتفرج ، المتلقي ، المتاثر فقط ، وانما يحاول — جهد امكانه — ان يؤثر ، وذلك بمحاولته ان يقول شيئا ، ويكتب شيئا ، مهما كانت قيمة هذا الذي يقول ، وهذا الذي يكتب ، فحسبه انه قال وكتب باخلاص وصدق. وهذا من شانه ان يدله على عيوبه الادبية ، وثغراته الفكرية ، ليتلافاها فيما بعد ، كما انه يتيح الفرصة لموهبته ان تمر بطور التجربة الفنية ، فتتفتح وتتوهج ، تماما كما يحدث للزهرة المضمومة الاكمام ، عندما تختلف عليها عوامل الطبيعة من هواء وشمس وماء ، فتزهو متالقة فوق فننها الريان .

تلك كانت محاولتي في المقال الماضي ، والان اعود الى نفس الموضوع لالتمس وسائل اخرى لتكوين الملكة الفنية ، غير مدع لهذا انني اريد الاحاطة بجميع تلك الوسائل ، فهذا فوق طاقة اي انسان ، اذ الملكة الفنية كائن معقد اشد التعقيد ، يخضع في تكوينه لعوامل كثيرة ، مها الواضح ومنها الغامض ، منها ما يخضع للبحث والدرس ، ومنها ما هو محفوف بطبقة كثيفة من غيوم الابهام ، ذلك ان الحياة بجميع مجالاتها ونواحيها توحي بوسائل لتكوين هذه الملكة . فموجة تتكسر على صخور الشاطىء ، او خيط من خيوط الشمس يتسلل الى حجرة غارقة في الظلال ، او اهتزاز زهرة يداعبها النسيم ، او كلمة مشرقة في كتاب ، او نغم شجي في لحن ، او لمسة ساحرة في لوحة ، او فشل في حب ، او خيبة في مسعى ، او رعشة في قلب ، او طيف في خيال ، او حلم في يقظة ، كل ذلك وغيره مما لا يمكن حصره ، قد يساهم في تكوين الملكة الفنية، بطريقة من الطرق، الامر الذي يجعل الاديب مدينا بملكته الفنية للحياة . فكل حرف جميل يخطه ، وكل كلمة عذبة يترنم بها ، يدين بهما لهذه الام السخية ، الغنية ، الوفية ، الكبيرة القلب : الحياة

لذلك ليس في امكاننا الا ان نختار ونصطفي عندما نبحث عن وسائل تكوين هذه الملكة ، مراعين ما بين تلك الوسائل من تفاوت من حيث الاهمية ، حيث نضع اصابعنا على ابرزها تاركين الباقي لفطنة القارىء .

وهنا اجدني امام وسيلة فعالة في هذا الصدد ، وهي القراءة الجادة الهادفة ، ولست تجد اثنين يختلفان في مدى فعالية القراءة وتاثيرها على المواهب الفردية ، فهذا شيء معلوم بحكم الضرورة ، ولكن ما اكثر ما يستكن تحت عملية القراءة من الغوامض ، التي اذا كانت غير خافية على الاديب الالمعي ، فهي جد خافية على المتادب ، طفل الحياة الادبية ، فاطلاعه عليها يضبط خطواته ، ويبصره بموضع قدميه ، ويرفع امامه لافتات تدله على الغاية التي يهدف اليها .

لذلك ، فحديثي في هذه المسالة موجه الى المتادبين بصفة خاصة ، هؤلاء الذين يحتاجون الى سند في سيرهم المتعثر ، وخطواتهم المضطربة ،

وحيرتهم التي لا يجدون منها مخرجا . وما اكثر ما يحيط المتادب من عوامل الحيرة : لماذا يقرأ ؟ وماذا يقرأ ؟ وكيف يقرأ ؟ ولمن يقرأ ؟ ماذا يأخذ وماذا يدع مما يقرأ ؟ اسئلة يقف امامها حائرا موزعا بين التيارات والاتجاهات المتعارضة .

وسوف لا اتناول من مشاكل القراءة الا ما يتصل بالناحية التي تعنيني هنا ، وهي تكوين الملكة الفنية ، واول ما احب ان انبه اليه هنا ، هو ان القراءة الحية هي في الحقيقة لون من الوان الحياة ، وضرب من ضروب العيش ، معنى ذلك اننا عندما نقرأ الاعمال الادبية ، ينبغي الا نعتبرها مجرد معان مصوغة في الفاظ ، والا نكون قد حكمنا عليها بالموت ، الموت الادبي في ابشع معانيه ، واحلناها الى مجرد هيكل عظمي لا اثر للحياة فيه . فالمعاني والالفاظ لا تهمنا لذاتها ، وانما لكونها تمثل نوعا من الاحساس بالحياة في موقف من مواقفها ، وتدل على نفس انسانية في حالة من حالاتها . ومهما قيل عن بعض الاعمال الادبية من انها خالية من التجربة الحياتية — وهذا صحيح الى حد ما — فانها لا تخلو من دلالة على نفس صاحبها ، ولو من زاوية ضيقة ، فهي قبل كل شيء ادب ، والادب هو نفس الاديب مصوغة في الفاظ . قد لا يحسن هذا الاديب التعبير عن نفسه ، وعن تجربته ، وقد لا يثير عمله الادبي فينا احساسات قوية ، ولكن هذا نفسه فيه دلالة على نفسه ، كما تتلقى مؤثرات الحياة ، وكما تعبر عنها ، وكما تعيها . ولولا هذا لما تأتى للمؤرخين ، ان يتتبعوا اطوار الشخصية الادبية من خلال انتاجها المتفاوت ، الذي يمثل طور التسكع ، وطور التفتح ، وطور الازدهار والنضج ، بحيث تكون دلالة العمل الادبي البسيط ، كدلالة العمل الادبي القوي ، من حيث تعبيرهما عن النفس ، في مختلف اطوارها .

انا لا انكر ان الاعمال الادبية الناضجة تتيح لنا ان نحياها بكل قوانا ، لانها هي نفسها حية في ذاتها ، قادرة على الالهام والايحاء ، غنية بالملامح الانسانية ، ولكن الاعمال الادبية البسيطة لا تخلو من دلالة على نفس صاحبها ، مهما كانت قيمتها الفنية .

هذا مع العلم ، بان ليست النفوس العالية المعقدة وحدها هي التي ينبغي ان تحظى باهتمامنا ، عند تناولنا للاعمال الادبية ، بل ينبغي ان نتعرف حتى على تلك النفوس العادية الخالية من أي تعقيد ، والتي تستجيب للحياة باسلوب لا التواء فيه . فدلالة النص الادبي على النفوس المترفة العالية ، كدلالته على النفوس العادية ، اذ ان هذه ايضا لها الحق في ان تعبر عن نفسها بطريقتها الخاصة ، فتجد لها صدى في اوساط القراء ، فيحصل التجاوب الذي يدخل على هذه النفوس نوعا من الطمأنينة ، ويشعرها بانها ليست ضائعة في هذا العالم .

هكذا ينبغي ان تنظر الى الاعمال الادبية ، صورا من الحياة ، فيها ما في الحياة من نواحي النقص ونواحي الكمال ، من مظاهر الضعف ومظاهر القدرة ، من حالات السمو ، وحالات الاسفاف ، من واحات الهدوء واعاصير الاضطراب ، من دواعي اللذة ودواعي الالم . فان نحن فعلنا اتيح لنا ان نشارك الادباء احداث حياتهم ، واسرار نفوسهم ، فنحن نتشاءم مع ابي العلاء ، ونزهد مع ابي العتاهية ، ونمرح مع ابي نواس ، ونخوض المعارك مع ابي فراس ، ونهيم مع قيس ليلى ، نفعل ذلك ولو الى حين ، فاذا نحن نضيف تجارب الاخرين الى تجاربنا وننظر الى الحياة من الزوايا المختلفة التي نظروا منها اليها . واثناء ذلك تثار مواهبنا ، وتستدعي ملكاتنا ، فتتفتح ، وتتوهج وترتعش ، لكونها خضعت لسلطان عظيم ، هو سلطان الاداب والفنون ، ومسها تيار من نفوس حساسة مرهفة ، قادرة على الايحاء والاثارة .

قارن هذا بما يمكن ان يحدث ، عند ما ننظر الى الادب على انه معاني مصوغة في الفاظ لا اقل ولا اكثر . فان الاعمال الادبية تستحيل بين ايدينا حينئذ الى مادة ميتة ، يجف فيها ماء الحياة ، وتعجز عن ان ترفعنا شبرا واحدا ، وعن ان تنسينا نفوسنا — حينا — لتحلق بنا في عوالم اخرى تختلف مناخاتها عن مناخاتنا ، ولذلك فهي لا تؤدي بالنسبة الينا رسالة الادب الاساسية ، وهي الايصال ، ايصال نفس الى نفس ، وقلب الى قلب ، وحياة الى حياة .

فاذا استطعنا ان نحيا الاعمال الادبية على النحو الذي شرحناه ، غير واقفين عند حدود اللفظ والمعنى ، بل منسابين الى ما وراءهما من الوان الحس ، وخصائص الشعور ، متمثلين نوع الحياة التي تنبثق عنها نصوص الادب ، كانت القراءة بالنسبة الينا نوعا من التجول في رحاب النفس الانسانية وافاقها ، نتبين فيه طبائعها وخصائصها ومميزاتها ، في حالات قوتها وضعفها ، سعادتها وشقائها يأسها واملها ، انغلاقها وتفتحها . وبذلك تتحول

الكلمات عندنا الى انفاس تتردد في الصدر ، والحروف الى دم يجري في العروق ، لانها ارتفعت عن ان تكون مجرد اصوات لا تتجاوز منا الحواس .

ونحن اذ نحيا الاعمال الادبية ، لابد ان نقـــرا ما بين سطورها ، وما بين السطور هو ما لم يقلـــه الكاتب او الشاعر ، وانما يوحي به ما قاله وكتبه فعلا.

والكتاب والشعراء لا يستطيعون ان يقولـوا لنا كل شيء في نفوسهـــم ، ولو بذلـوا في ذلك اقصـى الجهود ، فدائما تبقى في قرارة نفوسهم خواطـــر ومشاعر لا سبيل الى نقلها على الورق ، لانها اقــوى من اللغة ، واقوى من كل وسائل التعبير التي يعرفها الانسان ، ولان الاحســاس بها يكون عادة غامضا ، لا يتبينه صاحبه بوضوح ، ومن ثم يمتنع عليه ، ويأبـى ان يخضع لقيود اللغة ، هذه التي تريـد أن تحبس مشاعرنا وخيالاتنا وافكارنا في قماقم ، ولكنها احيانا تضيق وتضيق ، عن بعض ما نحس وما نشعر ، وهذا هو الســر في كونك تجد الاديب الذي يعاود الموضـوع الواحد مرات عديدة ، وباساليب مختلفة ، قصـــد استنفاذ كل ما في نفســه عن هذا الموضوع ، فتكــون النتيجة ان يملا عشرات الصفحات ، ان لم اقــل المئات ، ومع ذلك فهو يعجز اخيــرا من ان ينقل الينا كل ارتعاشة من ارتعاشات روحــه ، وكل نبضـــة من نبضات قلبه ، فيكون معوله علينا نحن القراء ، في ان نستشعر ما لم يكتب ، وانما اوحى به ، واشــار اليه ، عن طريق الرمز ، فاذا نحن لـم نفعل ، ولـــم نستطع ، فاتنا ادراك كثير من اسرار النفس الانسانية وكانت الاعمال الادبية بين ايدينا مفاتيح لا نعـرف كيف نستعملها ، لفتح خزائن مـن الكنوز العظيمة . وما دمنا عاجزيــن عن قراءة ما بين السطــور ، لا تكون قراءتنا للادب عميقة ، قادرة على ان تربي فينـا الذوق ، وتفتح آفـاق التفكيـر الواسعـة ، وتثيـر المواهب ، وتدفع بها نحو التفتح .

ما بين السطور هو الخاطر الطليق من القيـود هو الطائر الهارب من القفص ، هو المعنى الشـــرود الجامح ، هو الفراشة التي تروقك بالوانها الزاهية ، وحركاتها الرشيقـة ، ولكن يصعب عليك ان تمسهـا باصابعك . هو امل الاديب الذي لم يتحقق ، هــو المنطقة الحرام ، التي لم يستطع الاديب ان يركز فيها قدميه ، واعلام انتصاراته وفتوحاته . هو الافــق البعيـد الفاتن بلونه اللازوردي ، فتنــة وسحــر ولا شيء بعد ذلـك .

فاقرا ما بين السطور ، اذا اردت ان تقـــرا دواوين الشعر التي لم تكتب ، وتلتقط انفاس الاديب التي لم تنتظم في كلمات ، وتحيا المعاني الكبيرة التي كبرت ان تخضع للفظ المحدود ، لكونها غير محدودة، وانما هي الحريـة كل الحريـة ، ومن الخير ان تكون كذلك ، لتبقى دائما مصدر الهام وايحاء . فلو اننـــا عرفنا كل ما في نفوسنا واحطنا به ، ووضعناه في قماقم لغتنا ، لجفت ينابيع الادب في نفوسنـا ، وسكتـــت البلابل الصداحة على افنان عواطفنـا ، وخبـــت الشعلة الذكية بين اضلعنا ، وما اجمل ان يبقـــى في اعماقنا دائما شيء لا نفهمـه ، شـــيء يحيرنــــا ، يوسوس لنا ، يفتن ءاذاننا بالنغم ، ويسكر عيونـــا بالاحلام ، فيشوقنا الى ادراكه وتبينه ، متوسلين الى ذلك بصور البيان ، وشاعرية الاسلوب ، وتهاويـــل الخيال ، فلا نبلغ منه شيئا ، الا اوهامـــا جميلة ، واحلاما مذهبة الحواشي ، وبذلك يبقى لدى نفوسنـا دائما شي ءتعطيه ، لكونها مملوءة بالاسرار ، ونفس بلا اسـرار ، هي نفس فقيـرة ، جافـــة ، عاجــزة عن الالهـام .

وبديهي — في عرف النقاد — ان ننسى نفوسنـا ولو الى حين ، لنتقمص شخصيات مـن نقرا لهم مـن الكتاب والشعراء . نستعير اساليبهم في التفكيـــر والشعور بالحياة والاشياء . فاذا نحن لم نتنازل عـن شي ءواحد من منطقة نفوسنـــا ، كان ذلك حائلا بيننا وبين نفوس هؤلاء . ولذلك فنحن نلعن ابـا نواس اذا كنا محافظين ، ونحتقر الشنفرى اذا كنا اغنياء ، ونذم ابا العلاء وابا العتاهية اذا كنـا عاشقين للحيـــاة وزخارفها ، ناظريــن شزرا الى المتنبي ، الذي يـرى المجد في الجلاد والطعان، اذا كنا نوثر نفوسنا بالعافية ، ونجنبها العقبات . وهكذا فطبائعنا الخاصــة ، ما لم ننسها عند انهماكنـا في القراءة ، تفسـد علينا متعتنا ، وتحدث هوة بيننا وبين عوالم الاخرين .

ولكن اذا كنا نستطيع ان ننسى نفوسنـــــا اثناء القراءة ، فنحن لا نستطيع الغاءها ، الا اذا كنا نستطيع ان نلغي الـوان عيوننا وشعورنا وجلودنـا وان نغير من امتداد قاماتنا . نحن لا نقصد الالغـاء اذن، وانما نقصد النسيان فقط ، وهو في امكاننا بشيء من اللباقة الفنية ، وعدتنا في ذلك الخيال ، هذا الطائر العجيب الذي ينقلنا على جناحيه الى الاجواء التـي لم يصلها لا صاروخ ، ولا قمر صناعي ، وبالسرعـة التي ليس في امكان الوسائـل الصناعية ان تحققها . فبالخيال نسهر مع العاشق المتيم ، ونبكي مع جريـح

الفؤاد ، ونشارك المتشكك عذاب الحيرة ومحنة القلق، ونلبس مع المتشائم منظاره الاسود ، ونتثنى مع العابث اللاهي ، ونسير تارة ، ونرقص اخرى ، وقد نعدو عدوا ، او نتباطؤ في تؤدة ، حسب مناخات الادباء الذين نقرأ لهم ، وحسب طبائعهم المتجلية في اعمالهم .

وعندما نسترد انفسنا بعد فراغنا من القراءة ، تخلف فينا هذه الجولات كثيرا من الاثار ، التي يكون لها الاثر الفعال في صياغة اذواقنا ، وتكوين ملكاتنا ، وتوجيه طبائعنا الفنية ، اردنا ذلك ام لم نرده ، فهذا يتم في بعد عن ارادتنا ، اذ انه يدخل ضمن ما تفعله بنا الحياة ، عندما تتقلب بين احداثها وماجرياتها ، وتهب علينا رياحها من كل جانب ، فتنقل الينا كثيرا من غبار احداثها ، ورائحة عرقها ، وربما كان تأثير الاعمال الادبية اقوى اثرا من مؤثرات ظروف الحياة العملية ، لانها صادرة عن بعض الارواح العظيمة ، والطبائع الخلاقة ، التي تضاعف الاحساس بالحياة ، وتضع في الاشياء مغازي تحولها امامنا الى كائنات اخرى ، تثير الدهشة ، وتدعو الى الاعجاب ، وتوحي بالتأمل .

ومن معجزات النفس الانسانية انها تستفيد من كل ما يمر بها ، فكلمة شاردة تطرق اسماعنا ، او همسة انسلت الينا على حين غفلة ، او سطور قليلة مررنا بها عابرين في صحيفة او كتاب ، او حديث سريع جرى بيننا وبين بعض من نعرفهم من الناس ، او حكاية قصتها علينا جداتنا ونحن أطفال ، او تعرضنا لاصطدام مع شخص ما ، كل ذلك وغيره تستمد منه نفوسنا عناصروجودها الادبي، حيث تكون من هذا الخليط شيئا يسمى ذوقا تارة ، وفكرا تارة اخرى . واذا كانت نفوسنا تستمد بعض عناصر وجودها الادبي من هذا الخليط العجيب ، الذي لا يخضع لاي قاعدة او نظام ، فكيف بها عندما تعاشر الاداب والفنون ، في دقتها وانسجامها وتناسقها ، وتركيزها لشوارد الحياة ومغازيها وابعادها في وحدة فنية يسودها النظام ، هو نظام الفكر المنسق ، والصناعة الحاذقة ؟ واعتقد ان هذا من مزايا الاداب الهامة ، التي تجعلها اجدى من غيرها على المتادب ، فهي تاخذ خامتها من صميم الحياة ، ولكنها تسلكها في سياق منظم ، وتاخذها بالتهذيب والصقل ، وتصل بعضها ببعض ، بخيوط من الفكر والعاطفة والخيال ، حتى تكون منها اخيرا كائنا حيا ، ماثلا للفهم . محدد الملامح والصفات .

وقد يكون من مصادفات القراءة العجيبة ، ان القارىء عندما ينسى نفسه ، ليستعير نفوس من يقرأ لهم من الادباء ، ربما يصادف ذلك الاديب الذي يملك عليه كل مشاعره ، ويثير مكامن اعجابه ، ويهيمن على حاسته الفنية ، فيصبح له عليه سلطان قد لا يستطيع الفكاك منه سنين عديدة ، فهو اذا فكر فبفكره ، واذا شعر فبعاطفته ، واذا راى فبمنظاره ، واذا تحدث فباسلوبه ، واذا تذوق فبذوقه . وهذا يحدث لكثيرين من المتادبين ، فلا يتاح لهم ان يتحرروا من هذا الاستبداد الفكري ، الا بعد جهد كبير . واعتقد ان خير ما يفعله المتادب ، حتى لا يقع في شرك بعض الطبائع الادبية القوية ، هو الا يهب نفسه لاديب واحد ، يدمن على اعماله وحدها ، وانما ينوع من قراءاته ، متنقلا من جو الى جو ، ومن مناخ الى مناخ ، كما تتنقل النحلة بين فنون الزهر . فاذا كان خضوعنا لاتجاه اديب ما ، وفلسفته في الادب والفن لا يلغي شخصياتنا ، وانما يتسع لها ، ويتيح لها ان تبرز متميزة بطوابعها الخاصة ، فلا ضرر منه اطلاقا ، خذ لذلك مثلا فلاسفة الوجودية ، فانك تراهم يتمذهبون بمذهب واحد ، هو المذهب الوجودي ، ولكن تبقى مع ذلك لكل واحد منهم شخصيته المستقلة . فسارتر ، وكامو ، وكولن ويلسون ، ليسوا نسخا متكررة لاصل واحد ، وانما لكل واحد منهم ابعاده الخاصة ، وارضيته التي يركز فيها ءاراءه ونظرياته في قضايا الحياة ومشاكلها . والمدارس الادبية والفلسفية المعروفة ، يحتل فيها ادباء بارزون مكان الصدارة ، ويلتف حولهم اتباع المدرسة كما تلتف النجوم بالقمر ، ولكن هذا لا يمنع من ان يتخذوا اتجاهات متعارضة في فهم المذهب الفكري او الادبي وتفسيره وادراك المشاكل والقضايا المنبعثة عنه ، وهذا شيء طبيعي ما دام الناس يختلفون في طرق تفكيرهم ، والوان امزجتهم ، واساليب استجابتهم للاحداث ، ومقدار ما حصلوا من ثقافة .

والقراءة الحية التي تنمي المواهب ، وتكون الملكات هي تلك التي تسلم الى جو من التأمل ، بعد الانتهاء منها ، بحيث لا تنتهي من التفكير فور اغلاقنا للكتاب او رمينا بالمجلة او الصحيفة ، وانما نبقى — ولو الى حين — في اخذ ورد ، بيننا وبين من قرأنا لهم من جهة ، وبيننا وبين انفسنا من جهة اخرى . نحاكم ، وننقد ، ونتأمل ، ونحاول ان نجعل من العمل الادبي الذي انتهينا منه ، صديقا ولى عنا على امل

في لقاء ، ولكنه ترك لنا ذكراه ، ذكراه التي تدعونا اليها بين حين وحين، كلما تطلب ذلك دافع من دوافعنا الكثيرة فاذا انتهينا من العمل الادبي ، وانتهى بذلك كل اتصال لنا به ، الا ما كان من قبيل التاثر التلقائي ، كانت قراءتنا طيا للصفحات تلو الصفحات ، كأننا في سيارة تنهب الارض نهبا ، دون ان نحيا ما تركته فينا من آثار ، متأملين دارسين .

العمل الادبي كوردة عاطرة نلمسها ، فتترك نفحات من عطرها على اصابعنا ، او كالكلمة الطيبة نسمعها فتترك وقعها الجميل في نفوسنا ، او كالربيع الاخضر ، يخلف بقاياه على الروابي والحقول بعد قفوله . فعواطف الشعراء واحلامهم ، وافكار الكتاب وقضاياهم ، لا تحدها جلدة الكتاب ، ولا غلاف المجلة ، ولا يحول توقيع اصحابها في نهايتها دون انطلاقتها ، اذ انها كائنات حية ، تتنفس ، وتضطرب ، وتتحرك ، وتسير ، فينبغي ان نفسح لها الطريق ، لتعيش بيننا ، لا بكيفية محض تلقائية ، فهذا لا فضل لنا فيه ، وانما بكيفية واعية ، متبصرة ، يتاح لنا معها ان نعاشر هذه الكائنات ، على اساس من التفاهم ، والادراك ، والتأمل . ولو فعلنا لوجدنا نفوسنا في حشد من العقول الكبيرة ، والارواح العظيمة ، والطبائع الجبارة ، تملأ علينا وحدتنا ، ونشعر في صحبتها بالدفء والالفة والايناس والعمق الانساني .

ولا خير في الادب ولا في قرائه اذا لم يترك فيهم صداه ، فعيونهم وءاذانهم ، وعقولهم واخيلتهم مطلة على عالم مسحور ، كل ما فيه حي نابض ، جياش بالحركة ، مفعم بالحب ، هائم في البحث عن الحقيقة ، التي يدعيها الشاعر ، ويدعيها الفيلسوف ، ويدعيها صاحب الدين ، ويدعيها صاحب الفن ، فتملك من الازياء المتنوعة ما تبرز به امام كل واحد منهم جذابة مواتية ، توهمه انها له وحده دون الاخرين ، وان هي الا شيء واحد مهما تعددت ازياؤها ، وتنوعت مظاهرها . وليست العبرة هاهنا بالحقيقة نفسها ، بقدر ما هي في البحث عنها ، والسعي وراءها ، مع ما يتطلبه ذلك من اعمال للفكر ، واستخدام للحواس ، واستدعاء لكل الطاقات المبدعة ، فطريق الحقيقة الطويل ، هو اعظم ما امتحنت به مدارك الانسان منذ ان وجد الى اليوم ، والى ماشاء الله .

والادباء الذين نقرأ لهم كلهم يبحثون عن هذه الحقيقة ، كل بطريقته الخاصة ، فهذا يطلبها بقوة ، متسلحا باسلحة العلم، متجها نحوها لا يلوي على شيء، وقد يخطىء الطريق . وهذا يطلبها بلباقة وكياسة ، متلطفا لها ، ملتمسا اليها الوسائل المحتالة ، يراوغها ، وينصب لها الاحابيل ، وءاخر يطلبها خاشعا متبتلا ، يحرق البخور ، ويتقدم بين يديها بروحه الوالهة النشوى . وءاخر يتوسل اليها بترقيص الالفاظ ، وموسقة العبارات ، وتنغيم الحرف ، وتمويه الخيال ، وجمال الوهم ، والقارىء يخرج من كل هذه المحاولات مملوء اليدين ، مغمورا من فرع رأسه الى اخمص قدميه بالظلال والالوان ، واللفتات الذهنية ، والاهتزازات العاطفية ، والشطحات الصوفية ، والاوهام والرؤى الجميلة ، يأخذ بخيوط هذه الانسجة المختلفة ، ليصل بعضها ببعض ، ففكرة عند هذا الكاتب ، تسندها فكرة عند كاتب ءاخر ، ورأى عند هذا المفكر ، يجد صداه ، في راي مفكر ثان ، وهكذا يكون القارىء الالمعي الجاد ، مركز الاتصال بين شتى المذاهب والاتجاهات . تلتقي جميعها فيه ، لتتجاوب ، وتتبادل الاصداء ، فاذا كان القارىء عاديا ، بقي حائرا مضطربا ، لا يخلص له وجه الحقيقة بين هذه الاتجاهات المتعارضة ، واذا كان قارئا ممتازا مبدعا في قراءته ، عرف كيف يستفيد منها كلها ، ليكون له رايا مستقلا ، ويقيم لنفسه بناء اختلفت الحجارة التي يتالف منها ، ولكن تبدو عليه الوحدة والتفرد .

واذن فالقراءة ليست مجرد طي الصفحات ، والقفز بين الكتب ، بخفة بهلوان ، وما كانت القراءة هكذا الا عند مراهقي الفكر ، المفتقرين لشيء من العمق الانساني ، العاطلين عن القلق الفكري المجردين عن الوعي الصحيح ، وعن نفوسهم وما يجري حولهم ، وما يكتنفهم من كل جهة في هذا العالم . القراءة الجديرة بتفجير الطاقات ، وبعث المواهب ، وتكوين الملكات ، هي ما كان فيها ابداع وخلق .

نعم ، ليس الادباء المنتجون وحدهم هم المطالبين بالابداع ، بل حتى القراء ايضا . فالاديب المبدع ، لا يكون كفاء له الا قارىء مبدع ، نفيه اللمحة، وتكفيه الاشارة ، سريع الخاطر ، حاضر البديهة ، لبق في الادراك ، رشيق حركة الخيال ، ذكي العين ، موسيقي الاذن ، صاحب مرونة يستطيع بها ان يتنفس في كل الاجواء ، في الجو الصارم ، والجو الضاحك ، والجو الحزين ، والجو المظلم ، والجو المشرق ، والجو الطاهر ، والجو الملوث ، لان الادب هو هذه الاجواء جميعا ، وليس الادب في البعض منها دون البعض الاخر .

والقراء المبدعون يساهمون في النهوض بالحياة الادبية ، لانهم يحملون الادباء على الاجادة ، واستكمال وسائل الابداع الفني ، اذ يدخلون في حسابهم عندما ينتجون ، ان هناك جمهورا من القراء ، دقيق الحس ، رقيق الذوق ، واسع الادراك ، يتعشق الانسجام والاناقة في اللفظ ، والسمو في المضمون والفكرة ، يهيم بمظاهر الجمال ، بقدر ما يشمئز من مظاهر البشاعة ، يستفسر العبارات ، ويستنطق الالفاظ ويستوحي الاسلوب ، لا يقنع بما دون المستوى الجيد في فنون القول .

فاذا ابتلي اديب مبدع بقارىء عاطل عن مقومات القراءة الجيدة ، فتلك هي ماساة الزهرة المغموسة في الوحل ، والاغنية الجميلة تلقى الى الصم ، واللوحة الفنية تباح للعمي ، وآيات الله تتلى على موتى الضمائر ، وغلف البصائر .

وقد يجد القارىء نفسه احيانا امام بعض الاعمال الادبية الكبيرة ، التي لا تبوح له باسرارها دفعة واحدة ، لانها فن عظيم ، انفق فيه صاحبه عصارة فكره وذوب روحه ، وعالجه بتؤدة وحسن تأني وجاء خلاصة تجربة طويلة غنية ، استهلكت السنين ذوات العدد ، فكان من الطبيعي ان يتطلب من قارئه مثل ما تطلب من منتجه من جهد ومصابرة ، ليتفتح عن محتوياته الثمينة ، فيكون متعة للنفس ، وثقافة للفكر ، ونزهة للخاطر .

وكم هو ممتع ولذيذ هذا الجهد الذي نبذله من اجل استنطاق عمل ادبي كبير ، ، فالتجربة في ذاتها جميلة ، غنية بالمعاني ، اذ نجد قوانا المعنوية تعمل وتتحرك ، وتعالج معضلات الفن في صبر واخلاص ، تذلل العقبات تلو العقبات ، وتفتح الاقفال تلو الاقفال ، من اجل الوصول الى كنز من الاطياف مخبوء في لفظ ، او ذخيرة من العواطف كامنة في عبارة ، او خاطرة عبقرية مندسة بين السطور ، بعيدة كالقريبة ، قريبة كالبعيدة ، تتخايل لنا بالف لون ، والف صورة ، نعاني منها كثيرا قبل معاناتها هي نفسها . انه حب الجمال ، اي جمال ، شقاؤه سعادة والمه لذة ، ومتاعبه متعة .

وهكذا نفائس الحياة كلها ، لا تبذل نفسها بسهولة ، فمعادن الذهب الكامنة في اعماق الارض ، واللآلىء المستقرة في اعماق البحر ، والمعاني القوية الكامنة في الاشياء والمغازي العظيمة المكنونة في الاساطير ، وما الى ذلك ، كلها بعيدة المنال ، صعبة المرتقى ، لا يصل اليها الا قوي ، شجاع القلب ، جريء الطبع . ولكن ما اطيب الراحة بعد تعب ، والاستقرار بعد اضطراب ، والوصال بعد فراق !!

فلا ييأس المتادب من الاعمال الادبية الكبيرة ، اذا لم تكن واضحة كما يريدها ، وليعالجها متحملا كل مشاق البحث ، ومصاعب التجربة ، فان الجنة لا تدخلها الا بعد ان تموت !!

وهنا يجب ان نفرق بين نوعين من الاعمال الادبية المستعصية على القارىء ، فهناك العمل الادبي الذي لا يحتوي فكرة قوية ، او مشاعر عميقة ، ومع ذلك تراه معقد الاسلوب ، كثيف اللفظ ، ملتوي الاداء وهذا نبعده من دائرة الفن الرفيع ، لانه تعمية على القارىء ، وابهام له ، وتغطية للفقر الفكري بالالفاظ الرنانة ، والعبارات ذات الفرقعة والضجيج . وهناك العمل الادبي الذي ينبع غموض اسلوبه من ضخامة الفكرة ودقة المشاعر ، وسمو القالب الفني ، وهذا هو المقصود عندي وانا ادعو المتادب الى المصابرة الطويلة ، امام الفن الادبي البعيد المنال .

ولكن كيف يتأتى للمتادب ان يفرق بين النوعين؟ هنا ياتي دور النقاد ، فهم بما يملكون من وسائل البحث الدقيقة ، والاذواق المتمرنة على تذوق شتى الطعوم الادبية ، قادرون على ان يدلوا المتادب على الغث والسمين ، الاصيل والزائف ، من اعمال الادباء. وعلى المتادب نفسه ان يستفيد من تجاربه الماضية ، للاستعانة بها في هذا الصدد ، بحيث لا يقف مكتوف اليدين ، منتظرا ان تكون المبادرة الاولى من طرف الناقد ، وقد لا يكون هذا الناقد في بلد كالمغرب ما زال متخلفا من الناحية الادبية ، وحينئذ يكون المتادب مدعوا للاعتماد على نفسه ومواهبه ، في التمييز بين ما يقرا من نصوص الادب .

**فاس ـــ عبد العلي الوزاني**

# إنني أستأنف...

للأستاذ: أحمد زياد

للاستاذ عبد المجيد بنجلون ماض أدبي يتسم بصور من النضال المتواصل ، وفي غمرة ذلك النضال اعتصر الاستاذ عبد المجيد بنجلون انتاجه الذي يتصل بعضه بالشعر ، وبعضه بالنثر الفني ، بينما قسم آخر منه يخلد فترة من كفاحنا السياسي .

وانها لحصيلة جيدة اسهمت بقسط وافر في كمه وجيد من حيث نوعه في نهضتنا الادبية المتواضعة التي ما يزال صديقنا الاستاذ بنجلون يواصل كفاحه من اجل تعزيزها وتدعيمها .

وما نظن ان الاستاذ عبد المجيد بنجلون صرف ويصرف هذه العملة الادبية الحديثة من غير رصيد من الادب العربي القديم . ولئن كانت هذه العملة تختلف عن الرصيد ، فان هذا الاختلاف لا يتعدى الشكل ، او من المفروض فيه أن لا يتعدى الشكل مثلما هو الحال في الميدان النقدي بالضبط .

وما نظن أن الاستاذ عبد المجيد بنجلون كان يستطيع ان يكتب « وادي الدماء » و « مارس استقلالك » ، وان ينشر شعره على الناس ، ويحظى هذا الشعر بالقبول والرضى — بدون ما ان يقرا شعر المتنبي ، وعمر ابن ابي ربيعة ، ويجول في النثر الفني ، — ولو على سبيل الفسحة — الذي خلفه القدماء .

وما اظن بعد هذا وذاك ان يكون الادب الذي انتجه صديقنا عبد المجيد ادبا لقيطا ، مجهول النسب ، وذلك بالرغم عما يكون قد اكتسى به من حلل العصر وزينته .

فكيف امكن له أن يتنكر لهذا الرصيد ، وينادي بواد الادب القديم ، لا لشيء الا لكون ذلك الادب ينطوي على صور بشرية من النفاق والمجون والزلفى والتكسب . وهي نقائص تشاركه فيها آداب اخرى قديمة وحديثة مع اختلاف البيئات التي تستلزم اختلاف المناهج في بلوغ المقاصد .

فالادب العربي القديم فيه مجون ونفاق وتكسب وزلفى . هذا امر حق ، ولكن هذه النقائص لا تستطيع ان تكون حيثيات للحكم عليه بالشنق والاعدام والاقبار ، وذلك خلال جلسة طارئة وفي مقالة عابرة ، لان في هذا الاجراء الكثير من التجني وما يشبه العقوق .

ايعاب على ادبنا العربي القديم انه ينطوي على ادب مجون ؟

ان مجون هذا الادب تعد خفيفة الوزن بالنسبة لهذا الادب الداعر الذي تتوارد علينا الكثير من صوره اليوم ، هذا الادب الذي يقبل عليه المراهقون اقبالا كان من نتائجه ان خلق لنا مشكلة اجتماعية تتسع رقعتها يوما عن يوم . فادبنا القديم لم يضع المشكلة الجنسية مثلما وضعها الادب الحديث ، ولم يتفنن فيها ، ويجعل منها ايديولوجية اخرى من الايديولوجيات التي يزخر بها عالم اليوم .

ان ادبنا العربي القديم كان ماجنا في بعض صوره ولكن مجونه لم يتجاوز الخمر والخمار والوصف الجسماني الذي كان اذا تجاوز حدا محدودا وصف بالشذوذ وتويل بالاعراض في حين أن المجون في ادب اليوم اصبحت ظاهرة الشذوذ تكون له قاعدة قارة ، ومقياسا طبيعيا ، لا جدال فيه ، ولا لوم عليه .

فابو نواس — مثلا — شاعر ماجن ، ولكنه مجون طريف الا في بعض صوره الشاذة ، وبشار بن برد شاعر ماجن ايضا ، ولكن مجونه اذا تجاوز حد الطرافة وصف بالزندقة .

وهذا الشيء الذي كان يسمى زندقة في الادب العربي القديم يسد في بعض آداب اليوم « تحليلا نفسانيا » و « انعكاسات باطنية » و « رد فعل

بسيكولوجي » وغير ذلك من الكليشيات التي تبرر الزندقة ونشر المجون الفاحش وتعده مفخرة من مفاخر « التطور السيكولوجي » .هذه هي الحقيقة ، فكيف جاز لصديقي الاستاذ عبد المجيد أن يحكم على أدبنا القديم وأن يطالب له بنصب المشنقة واعدادالعشماوي — بلغة مصر — لشنقه واقباره . انه لظلم ، وظلم من نوع ذي القربى ! !

واذا كانت حيثية المجون في شعر شعراء المجون والتكسب في شعر المتكسبين يمكن قبولهما — ولو جدلا — ضمن صك الاتهام ، فاية جريرة ارتكبها عمر ابن ابي ربيعة حتى يزج به ضمن حيثيات حكم هذه المحكمة العرفية التي نصبها صديقنا الاستاذ عبد المجيد لمحاكمة ادبنا العربي .

وهذا شعر ابن ابي ربيعة ، ماذا فيه ؟ انه شعر رصين ، وعفيف ، وأفلاطوني ، كما قيل عنه ، لان صاحبه اتخذ له شعارا من قوله .

واني امرؤ مولع بالحسن اتبعه
لا حظ لي منه الا لــذة النظر

فاية عفة اشد صونا من هذه العفة ؟ واين هذه العفة في هذا الادب المراهق الذي يتقاطر بالتخنث والانحلال ، وقد ملات صوره رفوف المكاتب وشغلت الاباء بسلوك الابناء والبنات كذلك ؟

انا لا اريد أن اسوق الصور لاقارن واقابل ، لان العصر عصر اشارة واختصار وايجاز ، الا انني ارجو والح في الرجاء على أن يراجع صديقنا الاستاذ عبد المجيد « سوارة » في الادب العربي القديم ليقتنع بانه اعلن حالة طوارىء في ادبنا العربي واصدر حكما عرفيا في قضية لا تستحق هذا الاجراء وهي مظلومة كل الظلم حينما يحكم عليها بمقتضى حالة الطوارىء .

وناتي الى ظاهرة التكسب في الادب العربي القديم ، انها ايضا ظاهرة انحراف ما في ذلك من شك، بيد انها نزعة لحياة اجتماعية لابد من اخذها كما هي ضمن مجموع خصائص البيئات التي عرفها الادب العربي نتيجة اوضاعه السياسية والاقتصادية والاجتماعية . ومن ثم يكون الحكم على الادب العربي القاضي بالاقبار انما هو في واقع الامر الحكم على تاريخ مرحلة هامة للامة العربية بما فيها من مراحل القوة والضعف ، لان الادب العربي القديم يصور جزءا كبيرا من ذلك التاريخ لا تعد هذه النقائص التي اتخذ منها الاستاذ عبد المجيد حيثيات الحكم بالاعدام عليه سوى جزئيات . وليس عيبا أن يعرف تاريخ من التواريخ البشرية بكل ما له وما عليه .

لقد سبت الاديان في بعض الآداب بينما آداب اخرى — غير ادبنا العربي — مجدت الاستبداد وسبحت له ، ونافقت أولي الامر وكان المذهب « الميكيافلي » يقدم بعض الانعكاسات في آداب النهضة الاوربية ، ولكن احدا لم يقل باقبار هذه الآداب ، لئلا تنعدم مرآة عصر من عصور التاريخ تتجلى فيها المساوىء والمحاسن ، وحتى لا تفتقد الوثائق التاريخية ولو ان وسيلة الاقبار هذه استخدمت لاتى العفاء على ما يزخر به التاريخ من عبقرية البشر وعيوبه ونقائصه كذلك .

وبعد هذا كله فان الادب انما هو مرآة لبيئته تنعكس عليها الصور التي تفاعلت في رسم ظلالها عناصر الخير والشر والفضيلة والرذيلة فلو حكم على كل بيئة بما يمكن ان يوصف بانه نقائص او انحراف في آدابها لطويت صفحات طويلة وعريضة من تاريخ الانسانية .

وينبغي ان لا ننسى شيئا آخر ، ونعني به المقاييس التي ينبغي ان تصدر الاحكام بمقتضاها فمقاييس عصرنا هذا لا تصلح في مجموعها لان يتخذ منها ميزانا تصدر الاحكام بمقتضاه . اذ سيكون في استخدام تلك المقاييس جور وحيف ما في ذلك من شك.

على انه مما يخفف من وطأة هذا الحكم العرفي الذي أصدره الاستاذ عبد المجيد بنجلون على الادب العربي القديم انه قابل للمناقشة . أي انه قابل للاستئناف ، وها نحن قد استانفناه ، ولا اشك في أن نتيجة الاستئناف ستكون هي النقض التام ، ذلك لان حيثيات الحكم ضعيفة ، ولان الادب العربي القديم الذي ساقه صديقنا الاستاذ عبد المجيد الى قفص الاتهام في حالة طوارىء ثم أصدر حكمه القاضي عليه، انما ادب مظلوم ليس من الحق في شيء أن يكون مجون أبي نواس وهجاء الحطيئة وتكسب البحتري حيثيات تقضي بشنقه في عصوره المختلفة .

ومرة اخرى فانني رايت من حق الادب العربي علي شخصيا ان اهب للدفاع عنه واستانف الحكم الصادر في شانه ، حتى لا تظل عملتنا في الادب العربي الحديث بدون رصيد . وحتى لا يكون الاستاذ عبد المجيد بنجلون نفسه يصرف انتاجه الادبي من غير ما أن يكون له رصيد في خزينة الادخار ... سأوالي هذا الكفاح ان اقتضى الامر ، لاكون ابنا بارا للادب العربي القديم ، لئلا يكون ادبا لقيطا وحتى لا يكون في الاخير هذا الادب المخصاب الذي ينتجه صديقنا الاستاذ عبد المجيد ادبا مجهول النسب .

الرباط — **احمد زياد**



# العدد الماضي في الميزان

للاستاذ عبد الهادي التازي

اري دينا علي باديء ذي بدء أن أذكر حقيقة عشتها ردحا من الزمان ، ذلك اثر مثل هذه المجلات فى مشرقنا الشقيق : ( دعوة الحق ) لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية و ( المغرب ) لوزارة الممثل الشخصي لجلالة الملك و ( البحث العلمي ) للمركز الجامعي للبحث العلمي و ( الايمان ) لجمعية شباب النهضة الاسلامية .

ربما يمر كثير من الناس بهذه المجلة هنا وهي معروضة فى المكاتب من غير أن يعيروها انتباها او التفاتا ولكن مثل هذه المجلة ( الدعوة ) فى البلاد النائية العراق مثلا ، تؤدي للمغرب خدمة جلي ... ان كل المغاربة الذين زاروا المشرق يعودون — بدون استثناء — وهميحملون انطباعا يتلخص فى انجل اخواننا هناك علي غير حقيقة الامور هنا بالمغرب على الاقل فى نهضتنا الفكرية فى انتاجنا نثرا او شعرا ، وعلى العكس منا بالنسبة اليهم فانك مثلا تجد تلاميذتنا فى المدارس يعرفون عن شعراء وكتاب الشرق قدرا من العلم لا باس به .. السبب فى ابتعادهم عن حقائقنا اننا لا نسمعهم اصداءنا .. واننا لا نبذل مجهودا فى سبيل اطلاعهم علينا فالى جانب ان الانتاج محدود نجد وسائل النشر نفسها محدودة ومحدودة جدا ، وهكذا يمكننا أن نتصور فائدة انفتاح نافذة أو نوافذ لتلك الجهات على مغربنا العزيز.. وان الطبقة المثقفة فى كل البلاد كانت وما تزال هي المظهر الحي الذي يمثل تلك البلاد فى اتجاهاتها وافكارها ، ولهذا فان أول من يتنسم من هذه النوافذ تلك الطبقة القائدة التي تكون خير ترجمان لنا فى المجالس والمجامع .. كنا نتلقى اكثر من طلب ، واكثر من التماس من كل جهات العراق شماله وجنوبه ، وكنا نشعر بصدق هذه الرغبات بلوبفائدتها شهرا عن شهر ، فيما ينشر وفيما يكتب .. ومن اجل كل هذا فاني اجدد هنا تقديري للمشرفين على هذه المجلة متمنيا ان يتمكنوا من مضاعفة جهودهم وتضحياتهم لارضاء الرغبات فى كل مكان ، فذلك واجب لا يقل اطلاقا عن اية طريق نسلكها من اجل تمثيلنا والتعريف بنا فى صفاء وهدوء وفعالية ...



وبعد فلقد تفضل قلم التحرير فعهد الي بابداء الراي فى محتويات عدد ذي القعدة 1385 هـ (مارس 66) ولم يكن فى وسعي ان اعتذر لانني اعتبر ذلك الاعتذار بادرة تعبر عن « مضاعفة الجيد » الذي تمنيته للمشرفين عليها ولذلك فاني سأتقدم الى اخواني الاساتذة من بعض الذين اسهموا فى ذلك العدد مجددا العهد وواصلا آصرة الرحم التي تجمعني بهم .



اذكر ان جوانب من هذا العدد تتطلب العودة الى كلمات سابقة ، أو تترقب توابع لاحقة ولهذا فمع اكباري لموضوعاتها ارى من المناسب أن استكمل الفائدة اولا بما فات ، وما هو آت .. كان هذا بالنسبة للاستاذ الحمداوي فى حديثه عنثقافة القرآن والثقافات العالمية ، والاستاذ الهاشمي فى حديثه عن الالفاظ الهذلية الواردة فى القرآن ، والاستاذ الهلالي فى مقاله : العوائق النفسية للتخطيط ، والاستاذ عبد الله كنون فى نظرته فى منجد الاداب والعلوم ، والاستاذ المنوني فى حديثه عن الكراسي العلمية بمدينة فاس ، والاستاذ العمراني حول الموحدين والحضارة ، والاستاذ المنبهي فى حديثه عن الدراسة الديموغرافية .. ومع ذلك فلي بعض التعليقات العامة على ما سبق ان كان محل ملاحظاته .

قرات ان بعض الاساتذة لاحظ ان المجلة تسمح بنشر مقالات متسلسلة ربما كان الاليق ان تطبع فى كتاب

مستقل بدلا عن تتابع الكلام .. وفي رايي ان اشتراط اي شرط على المنتج الكفء وخاصة في ظروف قد لا تتوفر فيها المادة للناشر ، او لا تتوفر الوسائل له من اجل النشر ، اقول اشتراط اي شرط من شانه ان يؤجل الفائدة التي نريدها معجلة .. نحن نعرف عن كثير من العلماء الافذاذ انهم قضوا حياتهم يؤلفون ويجمعون ولكنهم كانوا ينتظرون بنشر انتاجهم أن يتوفر فيه « الكمال » ان يكون « احسن » مما هو عليه ، ولذلك كانوا يتريثون دوما ، منتظرين سنوح الفرصة لهذه الزيادة او تلك .. وهكذا قد يباغتون بالانصراف وتبقى آثارهم من بعدهم باكية ضارعة اريد أن أقول ان كل ما توفر لدى الباحث يجب — على الاقل بالنسبة الينا في ظروفنا هذه — ان يأخذ طريقه للنشر بأي وسيلة كانت وللباحث ان يعقب بعد ذلك او يتابع أو يضيف .. والا فقد نقع في أخطاء من سبق وهم كثير مع الاسف الشديد.

*

وبعد هذا فهناك في المجلة جانب ثان يمكن أن أسميه جانب « تصفية الحسابات » او « الحسابات المفتوحة » وهي اكثر من واحدة : فالاستاذ السائح مع الاستاذ الكتاني ، والاستاذ عبد القادر القادري مع الدكتور بلال ، والاستاذ الهلالي مع الاستاذ الشرايبي ، والاستاذ عباس الجراري مع الاستاذ عبد المجيد بن جلون .. ومع كل هؤلاء السادة جميعا سددت افتتاحية ( الدعوة ) التي يظهر انها خشيت من ضياع الحقيقة في زحمة النقاش سيما مع ما لوحظ في بعض التعقيبات من تشنجات ، لا مفر منها عند المراجعات والمدافعات .. اني مع هذه المتابعات ايضا كنت اشعر بأن الميادين لم تعد شاغرة كما كانت بالامس وان « الاستمرارية » التي كنا ننشدها لبحوثنا قد اخذت تطغى على البرود والانعزال اللذين ما يزالان مظهرا من مظاهر التخلف الفكري .

*

اخالني بعد أن لم أقل شيئا ، ازاء هذين الجانبين اللذين يكونان جل عناصر المجلة ، اخالني اشبهت السيد الذي روى عن النبي ( ص ) انه قال خصلتان من كانتا فيه دخل الجنة ) الاولى نسيها الراوي والثانية نسيتها انا ، وهكذا ترك الناس يبحثون الى الان عن الخصلتين ..

*

قرات كلمة الاستاذ محمد عبد الواحد بناني وكنت حديث عهد بقراءة صرخة مماثلة لاحد اخواننا المشارقة

.. الموضوع الذي لا يشعر به الذين نبذوا دينهم ظهريا .. ولكنه المشغلة رقم 1 لكل الذين يؤلمهم أن يروا الزمام يفلت عاما عن عام شهرا عن شهر .. كيف يفعل ؟ هل سيقتصر سلاحنا اليوم على نفس السلاح الذي كان جدودنا يستعملونه ؟ أم أن رجال التوجيه فينا يجب ان يكونوا في مستوى مسؤوليتهم .. في مستوى الاحداث الجارية .. لكن ما هي الوسائل التي تجعل من هؤلاء ناسا في المستوى المنشود ؟ هل الثقافة الجامدة ؟ هل الثقافة الجاحدة ؟ الحقيقة ان الطريق واضح للجميع .. بيد ان هناك امرا ينبغي الاقتناع به وهو ان الموعظة وحدها لا تكفي ما لم تقترن هي باقتناع ذاتي من طرف الواعظ نفسه — ما لم تقترن بقوة زاجرة تحمي المجتمع من التفسخ في الخلق كما تحميه من التدرن في الرئة والشلل في الاعضاء .. قوة زاجرة تأخذ بناصية الامر فتخطط في هذا الميدان بالذات بنفس الاهتمام الذي تخطط به في الميادين الاقتصادية مثلا ..

وبعد هذا فقد بقي لي سؤال قصير للسيد الكاتب هل نستطيع حقيقة أن نقول : ان المتصدين للثقافة الاسلامية متضامنون متواطئون ، على اعاقة العمل ؟ أم انهم على العكس من ذلك يتوفرون على حسن نية، وهم الاخرون ،حتارون أو عاجزون عن سلوك الطريق الذي قد يكون صالحا ، أقول مرة أخرى ان الامر يتطلب ما قلته من تخطيط مدعم بكل ما يمكن أن يدعم به اي تخطيط او تصميم .



اما الاستاذ الشيخ احمد التيجاني فان الذين يعرفونه منذ القدم يعرفون فيه مثال النشاط المستمر والحيوية المتقدة ، ولذلك فلا عجب ان يتناول موضوعا لا يقصد من ورائه فقط ان يجسد احد الفروق بين تلك وهذا بمقدار ما يقصد الى ان يحمل المسلمين على « العمل » و « الحركة » وما زلت اذكر الاستاذ التجاني وقد وقف ينتقد ذات يوم بعض الكسالى من الشباب من الذين ينتظرون منك أن تكد من أجلهم ، وتحضر لهم وتناولهم ثم تساعدهم على هضم ما تناولوه — لعل الاستاذ ما يزال يذكر ليلى التي ابتليت بحب شاعر كان مضرب المثل للكسل في الشعر العربي .. وما يزال يذكر انه بالرغم من حراجة الموقف كان قرا على الناس تلك الابيات الاربعة معلقا عليها ... وبعد هذا فلي اقتراح كان من وحي ما كتبه هو ، ذلك ان يجعل العنوان : ( بين الاسلام والكنيسة ) عوض المسيحية على أن هذا

العنوان ذاته ربما كان من اللائق تحويره الى ما يشبه أن يكون حرص الاسلام على العمل ...

❋

وقد احسن الاستاذ طه الولي صنعا في افاداته عن الاسلام والمسلمين في بلاد النمسا فان العناية بهذه الاقليات المتناثرة هنا وهناك من الاسرة الاسلامية سيبعث فيها نوع اعتزاز ما أكثر حاجتها اليه وما احرانا باشعارها به — واعتقد ان تضحية اولئك الاخوة وتصميمهم على التمسك بمبادئهم لخليق ان يثير فينا بعض العناية .. فان على خزائننا العلمية وهيآتنا الدينية ومجلاتنا .. على كل هذه أن تسجل عناوين هؤلاء وتنفذ اليهم عن طريق ما تنشر .. وما تكتب ..

❋

والاستاذ عبد النبي ميكو نظر الى موضوع العقد الاجتماعي مقارنا ومفارقا بين مأثور الاسلام وآراء الغربيين .. وانه ولو ان الاستاذ ميكو ربما كان يرى ان هذا أول الحديث وآخره لكني أطلب اليه أن يعتبره فقط مدخلا لاحاديث متعاقبة . والحقيقة أن اشتغال فقهائنا ورجال القانون فينا بهذه الدراسات المقارنة لمما يفتح آفاقا جديدة للامل في ازدهار رصيدنا من الفقه الاسلامي فعندما نفكر في الربط بين ما نعرفه لاولئك وما نقرأه لهؤلاء ، نعمل عملا على أن نسير في الركب مع عالم متكامل بقوانينه وآراء علمائه ...

❋

وقد طرح الاستاذ الحاج عبد الله الجراري السؤال الذي أمسى شعارا لنا منذ ان تحررت بلادنا واصبح في متناولنا أن نكتب ما نشاء كيف ما نشاء .. والسؤال من الاستاذ الجراري وهو الذي كان من أوائل الذين قربوا تاريخ المغرب الى اذهان ناشئتنا له معناه ، اذ هو صادر عن شخص آمن بعد تجربة واقتنع بعد ممارسة .. وابادر الى تطمين الاستاذ بأن المؤرخين اليوم في طريقهم نحو كتابات مثالية لتاريخنا .. الواقع أننا كنا وما نزال الى الان نقنع بجمع المادة : مادة ذلك التاريخ ، وهذا العمل ينبغي أن نعتبره ركيزة لكل كتابة منشودة للتاريخ ، على أن هناك ناحية يجب التشبث بها ، والتنبيه لها ، والتأكيد عليها تلك **تحرير تاريخنا المكتوب** تحريره مما علق به عن قصد أو غير قصد من تعليلات واستنتاجات .. فتحرير التاريخ في نظري يجب أن نبدأ به ، فان التخلية مقدمة على التحلية كما يقول علماؤنا وعندئذ سيمكننا أن نستفيد من « المواد » التي تجمع بين « المنهج » الذي سلكه بعض المؤرخين المعاصرين وبعد هذا فان هناك أمرا لا يغفل وهو ان كتابة التاريخ أي تاريخ يجب ان يعزز بكل الطاقات الممكنة : فهناك في طول البلاد وعرضها عناصر جديرة بالاستفادة منها على ان في « أرشيف » بعض البلاد ممن كانت لنا بها صلة ، الشيء الكثير مما يجيب عن كثير من علامات الاستفهام التي ما انفكت منتصبة في اسرار عن بعض النواحي من تاريخنا .. في في اسبانيا ، وانجلترا ، وفرنسا ، هولاندا ، امريكا ، تركيا ، العراق ، مصر ، ليبيا ، تونس ، الجزائر ... الخ ، في أرشيف هذه البلاد وثائق يجب ان لا تنسى ونحن نجمع تلك « المواد » .



وبعد هذا فان لي رجاء في المجلة ان تحرص على أن تمزج في كل عدد يظهر بين احاديث تعنى بالدراسات الاسلامية والتاريخية ، على أن تفتح صدرها باستمرار لكل ما يرد عليها من بحوث تتناول مناحي الحياة الاخرى..

واشير بهذه المناسبة الى حديث افريقيا وآسيا في مفترق الطرق والدراسات الديموغرافية الخاصة بالمغرب كما أشير الى حديث فلسطين من خلال موقف اليسار الدولي ، وحديث الرابطة بين العروبة والاسلام، فان في قراء المجلة من تهمه هذه الناحية أو تلك بل ان في الناس من تهمه هذه النواحي كلها باعتبار ان بعضها يكمل الاخر .. ولي أمل في الاخير أن تلتمس ( الدعوة ) لي عذرا للتقصير اذا لم اتتبع سائر المقالات ، سائر القصائد ، سائر التعاليق .. فان وضع الميزان يحتاج الى كثير من الاستقرار والاطمئنان الامر الذي ما ازال أعمل له منذ عودتي بعد طول غيبتي .

والى لقاء آخر .

الرباط — **عبد الهادي التازي**

# ديوان المجلة

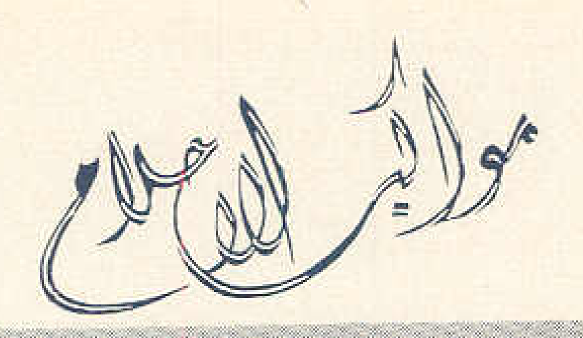
## من واقع المسلمين

للأستاذ عبد السلام الهراس

**مهداة الى الاخ ابن عمر الداعوق رائد عباد الرحمن بلبنان ، والقصيدة مستوحاة من احدى رسائله الي**

بلاد المسلمين دم وثار ... وزخرفة الكلام لهم شعار
واشلاء المبادىء داميات ... تمزقها المطامع والصغار
واعلام الشقاق مرفرفات ... نحييها ، ويرفعها الكبار !
وفي كل الحدود لنا جدار ... ومن كل القلوب لنا جدار
سلاح «الاخرين» عداه يصمي ... ونحن علينا اسهمنا تدار
سراع للكلام وللاماني ... بطاء من الفعال ولانتصار
حفاة ، بل جياع ، بل عراة ... وملء بلادنا ذهب بوار !
وان يكن الفراغ له « مقام » ... فان المسلمين له جوار
يتيه حماسهم « شرقا » و « غربا » ... ومن عجب لهم ظلم منار ،
ليفترقوا « المذاهب » في خشوع ... بليد ، والمذاهب لا تعار !
وانا ، كالعبيد ، لنا اعتزاز ... بماضي « الاخرين » ، اليس عار ؟
وان « القوم » قد سكنوا شموسا ... وقومي للحضيض بهم يسار
وان «القوم» في دعة وامن ... وقومي لا امان ولا قرار
لغات العالمين لها صعود ... وحرف الضاد يرهقه انحدار
شعوب المسلمين تساق قهرا ... الى المهوى ، وليس لها اختيار !
غدا الاسلام مغتربا شريدا ... فلا الف له منا وجار
يكيد له الشرار بكل حي ... فلا بلغت مقاصدها الشرار
فيا ربي ، ولا يرجى سواه ، ... الى كم بالضلال لنا دثار ؟
فنور « بالحكيم » لنا قلوبا ... علاها الران والاحن الكثار

**تطوان « 22 ذي الحجة 1385 » عبد السلام محمد الهراس**



للأستاذ: حسن محمد الطريبق

حب يفيض كأنه نسمات عطر ساحر
يفتر كالازهار في روحي وياسر خاطري
وتلوح منه روعة الحلم البريء الطاهر
فتسيح في دنياه كل خواطري ومشاعري
وتدغدغ الخطرات نفسي او تفيض محاجري
وتبلل الاحلام اجفاني بدمع بشائري
وأرتل الانغام مثل عنادل او شاعر
واسير ما بين النجوم وضوئها المتناثر
واعود لا ارنو الى غير الضياء الغامر

* * *

يا اوج ما في الكون من حسن عجيب باهر
يا فتنة بيضاء ، يا سحرا بغير ستائر
يا منتهى الدنيا واجمل ما يشاهد ناظري
نزلت مواكبك الحبيبة في دفين سرائري
ووجدت روعتها بغير اوائل واواخر
وروت جذيب العمر بالامل الرطيب الناضر
واستنهضت حلو الاماني في صميم مشاعري
يسبي شعوري حسنها ، فيرف مثل الطائر
واظل ارشف ظامئا ارج الصفاء العاطر
واتيه في دنيا البراءة والجمال الآسر
واسير منطلقا الى الدنيا بغير معابر
واعيش في ماض يضمخه الحنان وحاضر

**القصر الكبير — حسن محمد الطريبق**




الريح منذ البدء في هوس الجياع
في بوح سارية مكسرة الشراع
مجنونة الاسرار حمقاء المدار
تحكي لكل العابرين عن القرار

في يتم اطيار يموت لها الصباح
في حزن ادواح يجف بها الصداح
فتجن تسأل عنه في ليل القفار
فتشيخ واجمة كمكسور الجرار

في تيه نهر ضائع بين الرمال
في نوح ساقية تفر من الظلال
يشتاق مثل السندباد الى البحار
حيرى تغمغم : كل شوقي للمحار

وانا هنا للريح حمقاء القفار
كالكأس في اعماقها صيف ونار
كالقبر ، كالاصداف منسدل الستار
لكنها في الكف امطار تدار

ترتاد اغواري ، تتوق الى الجديد
تتسلق الاحساس من سفحي البعيد
فيها . تهوم بين اطلال الديار
حتى تطل على من قممي الكبار

وانا لها غاب جداولها سراب
تمشي الي مع الذبول مع الضباب
مجنونة الاشجار سوداء النهار
كالليل يزحف فوق مركبة النضار

لتسيل في الانهار ، في سود الفجاج
لتموج في الاشجار تخترق السياج
لترف في الاوراق في صفر الثمار
لتطوف في الادواح ، ساحبة الغبار

تحكي حكايات البحار الى الضفاف
في همس اشباح كئيبات عجاف
في الف اصوات تتيه الى القرار
في بوح ادبار مسجاة الجدار

* * *

وتقول كالاصداء من جبل بعيد
يا كهف اشباحي ويا افقي المديد
يا قبر اسراري ويا غابي الجديد
يا روض اطيافي ويا نبع الجليد

الليل مات هناك في قاصي البحار
قزما بلا ذكرى ، نداء في القفار
شيخا بلا وجه غريبا كالطريد
موجا بلا بحر . غريقا في الصديد

انهار في الساحات يحلم بالدمــــاء
للرافع الابراج في سهل السمـــاء

بالاسر للطفل السماوي الوحيـد
للصانع الاسوار في الافق المديـد

لفارس الشلال في سود الغمــام
للخالق الانهار في ارض الظــلام

للشاعل القنديل في الكهف البليـد
بيضاء كالاحلام كاللحن الوليـد

الليل .. جالد منذ الاف السنيـن
طفلا سماوي النوازع والجبيـن

طفلا بلا سيف بلا حقد العبيـد
يسمـو على الاضفـان في شمم الشهيد

لكن بلا جدوى فالاف السيـوف
فالطفل لا يفنى عميق كالطيـوف

ماتت كآلاف العزائم والزنـود
كالسر في الاعماق في سحر النشيـد

وانا ذارع الليـل في ساح الطعان
والبحر يضحك والشواطىء والزمـان

امشي بلا رؤيـا كمجروح الوريـد
مني . انـا الحمقاء من ظلي الجديـد

منـي انا البلهاء . مسخرة القـلاع
أطوي الفيافي والشواهق والتـلاع

أضحوكـة الامواج والزبد السعيـد
حمقاء. ابحث عنك يا غابي الجديـد

* * *

فلترحلي يا ربح للقفر البعيـد
سيموج ادواحا سينساب الجليـد

فالغاب للطفل السماوي الوحيـد
مـاء واشجـارا وازهـارا تميـد

سيهل اطيـارا واعراسـا وعيـد
لكن بلا جدوى فما رحل يفيـد

سيتيه اطيافا واجواقـا وغيـد
فالطفل سوف يسير للقفر البعيـد

شفشـاون ـ عبد الكريم الطبـال






اشاهد في امر الزواج غرائبا ... فادرك ان النصح قد صار واجبا

لقد ظلموا قلب الفتاة واصبحوا ... يبيعونها بيعا لمن جاء خاطبا

ففي اي شرع كانت البنت سلعة ... تقضى عليها البائعون رواتبا ؟

وقد جاء في الاسلام سر نرومه ... وكان بحق العانسات مطالبا

ارى من جنون الناس بيع بناتهم ... وتفضيلهم من يشغلون المناصبا

ام راقبوا رب السماء وقهره ... فكم من ظلوم قد يصادف حاصبا (1)

وهم طمعوا في المال دون تعفف ... ولولا سدود العجز باعوا الكواكبا

ولو جاءهم غير الغني تمنعوا ... وسدوا على ما يرتجيه المساربا (2)

وهم جعلوا الاعراض لعبة لاعب ... وقد اهملوا شان المروءة جانبا

وهم فهموا ان الزواج شريعة ... تجوز من فرط الخداع المذاهبا

ولو يعلم الحر الزواج وحربه ... لفضل ان يبقى مدى الدهر عازبا

فكم غصبوا مالا وداسوا كرامة ... ولكن سيلقى الويل من بات غاصبا

وكم زوجوا بنتا وعاشوا بظلها ... وقد كلفوا الصهر العزيز عجائبا

وهم جعلوا معنى الزواج تجارة ... وما قدروا الا اللهى (3) والمكاسبا

واسخف عقل يجعل المال غاية ... واهون بيت ما يضم العناكبا

و.ب اناس في الزواج تستروا ... ليجنوا من الصهر الغرير غرائبا

ورب اناس في الشقاء تعمقوا ... وما نظروا فيما جنوه العواقبا

وباتوا من الكبر المشين جوازما ... وراحوا على النهج الذميم نواصبا

اذا ما توخيت الحقوق فانهم ... يمجون من امسى عليهم مراقبا

وما علموا ان الحياة توازن ... تحارب من امسى عن الحق ناكبا (4)

فكم خادع يجني عليه خداعه ... فيصبح مسلوبا وقد كان سالبا

الم يعلم الانسان ان الهه ... قد اختاره فيما يرى عنه نائبا ؟

---

1 ) الحاصب : الريح الشديدة تثير الحصباء .

2 ) المسارب : المسالك والطرق

3 ) اللهى : جمع لهية اي العطية او افضل العطايا واجزلها .

4 ) نكب عنه : عدل عنه وتجنبه واعتزله . ويقال (رجل ناكب عن الحق ) اي مائل عنه .

فقل للذين استكبروا وتغافلوا ... الا فاسلكوا في الخافقين (5) المناكبا
وكنت ارى غيري على الدهر ضاحكا ... فابصرته بعد الحوادث ناحبا (6)
واني لأرثي للذين تفهموا ... من الناس امرا للتعاسة جالبا
يريدون من يفني لديهم متاعه ... وهم كرهوا من بات حرا محاببا
وهم سفهوا في غدرهم ونفاقهم ... جميع من استحيى وحاز المناقبا (7)
اذا خبثت ارض فبئس نباتها ... وان طهرت كانت تجازي المتاعبا
ارى الفرع يزكو من زكاة اصوله ... فيغمر بالظل الظليل الجوانبا
اذا فسد العود الرطيب فانه ... الى النار قد اهداه من كان حاطبا
وما فاز الا من تقوم عوده ... ولكن اذا ما اعوج حاز المعايبا
ولا تلم الصبيان ان هم تراقصوا ... اذا كان رب العقل للطبل ضاربا
وما الطمع المقبوت الا كبارق ... يلوح سرابا في المهامه خالبا (8)
ارى القوم طرا بالسهام تدججوا (9) ... فهل يا ترى سهمي سيصبح صائبا ؟
اسامح في حقي لغيري ترفعا ... لذا كنت مغلوبا فاصبحت غالبا
وفي كل ما يبنون دسوا قذيفة (10) ... وصاغوا لاسباب الخداع قوالبا
يصولون بالخلق اللئيم اصالة ... وقد حاربوا منا الحجى (11) والمواهبا
وكم افقدوا عقل الاديب توازنا ... وقد كان من قبل التزوج ثاقبا (12)
وقد كان حرا في حدائق فكره ... فاصبح في حضن القيود معاتبا
وقد اسس العش الامين فهده ... من الظلم مهم قد اصاب الرغائبا
ارى في زواج الحر ذلا لنفسه ... وللحر نفس ليس ترضى الشوائبا (13)
وما الحر الا في الصراحة دأبه ... اذا ما ابتلاه الظلم اصبح غاضبا
واياك ان تمسي بغيرك واثقا ... فكم ثقة تهدي اليك مصائبا
فرب لسان في حلاوة نطقه ... كسيف لقد امسى به الدم ثاخبا (14)
ولاتك في نجواك تفشي سريرة ... وتصدق جارا في حماك مصاقبا (15)
فرب صديق في تقلب قلبه ... يصير عدوا قد يريك الكرائبا
وما دمت ذا مال فانت محبب ... فبالمال ترجو في الحياة الاطايبا
واياك ان تنسى لنفسك حقها ... فان هي هانت عدت غرا قباقبا (16)

---

5 ) الخفقان : الشرق والغرب ، لان الليل والنهار يخفقان فيهما
6 ) نحب الرجل ينحب ، بكسر الحاء وفتحها في المضارع ، نحبا ونحيبا : رفع صوته بالبكاء .
7 ) المناقب : المحامد والشمائل والفضائل والسجايا الحميدة
8) السراب : ما يشاهد نصف النهار من اشتداد الحر كأنه ماء تنعكس فيه البيوت والاشجار وغيرها . ويضرب به المثل في الكذب والخداع . فيقال : « هو اخدع من السراب » . ـ 9) تدججوا : حملوا السلاح .
10) القذيفة جمع قذائف : كل ما يرمى به . ومنه قذائف المدافع والطائرات التي ترمي على العدو .
11) الحجى : العقل والفطنة . ـ 12) يقال : « رأي ثاقب » اي نافذ ، و « عقل ثاقب » اي حاذق . و « حسب ثاقب » اي شهير . ـ 13) الشوائب : العيوب والادناس والاهوال .
14) ثخب الدم : انهمر بقوة وغزارة . ـ 15) مصاقبا : مقاربا . والمصاقبة عند المولدين : الموافقة ، وربما لفظوها بالسين . ـ 16) القباقب : الكثير الكلام ، المهذار ، الكذاب ، الرجل الجافي .

فلا خير في الزوجات بعن كرامة ... وصرن على ازواجهن لواعبا

فكم زوجة يحيا على الذل زوجها ... ويظهر وجها في العشائر شاحبا (17)

وكم ساكت ، في حقه متسامح ... قد ارتد في حضن الزواج مشاغبا (18)

وحق له ان ليس يمكث راضيا ... بليل غدا بين الضمائر واقبا (19)

ولم ير الا خاتلا او منافقا (20) ... يروح على جمع الدنا متكالبا (21)

يعيش غريبا حائرا متلهفا ... ومن حوله لم يلق الا زوائبا

ويسل من بين العجين كشعرة ... ويسمع عند البين (22) في الدار ناعبا (23)

ويذرف دمعا من صميم فؤاده ... ويندب جرحا فيه اصبح عاربا (24)

فكم قد تمنى ان يعيش مهنئا ... ويسكن روضا بالازاهير عاشبا (25)

ولكن تراه اليوم تبكي جراحه ... فيحسد من قد بات في القبر شاعبا (26)

متى يا بديع الخلق ترحم ضعفه ... وتصبح للقوم الطغاة معاقبا ؟

متى يا مبيد الظلم تؤنس روحه ... وتمنحها خلا على الخير دائبا (27)

فقد فر من مكر فصادف مثله ... وصار يعيش اليوم في الناس راعبا (28)

وكم من لصوص في ثياب مروءة ... اذاقوه ويلات فاصبح عاذبا (29)

تخلى عن المال الحلال سماحة ... كذاك يصير الخل للخل قاصبا (30)

وكم غادر قد كان مهرا مقربا ... فاصبح شوك في الكرامة ناشبا (31)

فما ذا تلاقي البنت بعد طلاقها ... ستشهد بؤسا حولها متعاقبا (32)

وتبصر ذلا بعد عز ومنعة ... وتخدم زوجا تائها متجانبا (33)

سيغدو هزيلا للسقام مكبدا ... يعاني الطوى من كان بالامس كانبا (34)

يثور على من راح للمال سارقا ... ويلعن من قد بات للعرض ناهبا

اذا كان في معنى الزواج مذلة ... فكل يرى ممن تزوج هاربا

الا فاعلموا يا قوم ان مهوركم ... تخلف قلب العانسات خرائبا

ومهما غلوتم (35) في المهور فانه ... يصير فتاكم للزواج محاربا

يدور على دور الخنا ويحبها ... وينشب في الجنس اللطيف المخالبا

---

17) الشاحب : المتقع اللون ، المتغير السحنة . —

18) المشاغب : الذي يثير الشغب والفوضى والخصومات

19) وقب الليل : انتشر ظلامه — 20) المخاتل : المخادع ، والنافق : الذي يبدي خلاف ما يضمر . وقد جاء في الحديث الشريف : « ايات المنافق ثلاث : اذا حدث كذب ، واذا وعد اخلف ، واذا ائتمن خان » . — 21) المتكالب على الدنيا : هو الشديد الحرص عليها — 22) البين : الفراق

23) الناعب : المنذر بالفراق وتشتيت الشمل . —

24) الجرح العارب : البين الواضح ، والمتورم المتقيح 25) روض عاشب : كثير العشب . — 26) الشاعب : الميت مأخوذ من الشعوب بفتح الشين ، وهو علم للمنية وهو اسم غير منصرف — 27) الدائب : المستمر الدائم

28) الراعب : الخائف المذعور — 29) العاذب : الذي ليس بينه وبين السماء ستر ولا حاجب .

30) القاصب : القاطع والشاتم والوقاع بالناس . —

31) الناشب : العالق — 32) المتعاقب : المتوالي 33) المتجانب : المتجافي الفظ الغليظ القلب . —

34) الكانب : الممتلىء شبعا

35) غلوتم : انتهجتم الغلواء وهي الافراط ومجاوزة الحد ومنه الغلاء ، اي الارتفاع المفرط في الاثمنة .

ويعلن في كل المجامع ثورة ... على معشر كانوا عداة اقاربا
لقد حيد غدرا في الزواج وليته ... اجال الحجى (36) يوما فنال الما ربا
فكم صادت الالوان عينا غريرة ... فلما تجلى الحق لاقت عجائبا
وكم من ضعيف صار بركان ثورة ... وقد كان طيقا ساكنا متنائبا
ولين الافاعي ليس يخفي سمومها ... واي دهاء لا يواتي الثعاليا ؟
وكم عسل في طيه السم كامن ... ورب جميل لا اراه منا سبا
وليس جمال البنت غير سلوكها ... فان قبحت خلقا تلاقي الشطائبا (37)
وكل جميل في الطبيعة فاضل ... وكل قبيح يضمر السوء غالبا
اري الدار كم يفشي السريرة بابها ... وكم مظهر قد كان حلوا مداعبا
وكم بسمة كانت لديها شرارة ... تشعل في القلب النفق المجاذبا
وما كل براق يسمى بعسجد ... وما كل من هز اليراعة كاتبا
وفي الناس ثعبان وقرد وثعلب ... ومنهم ارى تحت الثياب عقاربا
ومنهم ذئاب في لثام مروءة ... وايمانهم كالملح قد صار ذائبا
يبيعون بالفلس المروءة كلها ... واشرفهم من قد اقام الما دبا
وكم مظهر في الدين تقوى وعفة ... يعيش على نهج النفاق مواظبا
يبيع لك الايمان والدين كله ... بقرش وقد امسى على الله كاذبا
اذا رضيت دنياه عنه فانه ... على خطة الايمان لم يبق لازبا (38)
ونحن نقاسي ازمة عصيبة ... وكم قد صنعنا للظهور مواكبا
نشيد على اس الخراب بيوتنا ، ... فسل عن مقالي من يقاسي التجاربا
واي هدوء نرتجيه وقد غدا ... فؤاد شباب اليوم بالهم صاخبا ؟ (39)
فكم تاجر قد اكسب الخد صفعة ... وقطب في الوجه الجميل الحواجبا
يلوح كطاووس يتيه بريشه ... ويلبس من فرط الدلال الجواربا
الا ان مهر الصالحات محجة ... فاني ارى عيش المحبين راتبا (40)
على امتي ابكي لداء اصابها ... وارسل من دمعي الغزير سحائبا
لقد طغت الاهواء فيها على النهى ... فلم ار الا من يعيش مواربا (41)
وفيها نقاسي ، ليس يوجد فارق ... اتقصد ثابا ام تعين شائبا ؟
واني ارى هولا واصغي لامتي ... فاسمع في جنح الظلام نوادبا
فيا مهجتي فوري بدمع يروقني ... واتهده للوجه مني خاضبا (42)
كفى بدموع الحر في الحق شاهدا ... فكم من عيون ما تزال سواكبا (43)

---

(36) اجال الحجى : معن العقل والفطنة ، وتعمق في التفكير والتأمل وبعد النظر

(37) الشطائب : الشدائد والمحن والاهوال .

(38) اللازب : اللازم الثابت . والطين اللازب هو الذي يلزق باليد لاشتداده

(39) الصاخب : الشديد الصياح . ويقال فيه ايضا الصخب والصخاب والصخوب والصخبان .

(40) عيش راتب : اي دائم ثابت .

(41) الموارب : الذي يميل للانحراف والالتواء والمخاتلة والمداهاة .

(42) خضب الشيء : لونه .

(43) العيون السواكب : اي الدائمة الهطلان للدموع وانهمارها .

وما كنت انسانا اذا انت لم تصب          ولم تك ممن قد ابادوا النوائبا
أتؤثر ما يفنى على كل خالد ؟          وهل ان من يطفو كمن بات راسبا ؟
الا ايها القوم السراة تنبهوا          وحثوا الى نهج الصواب المراكبا
اذا لم يكن معنى الزواج سعادة          فيا حبذا من قد يرى منه تائبا
لقد طلقت نفسي الخداع وعفته          وعاديت من يرمي علي المثالبا (44)
ارى الشمس لا تخفى اذا هي اشرقت          وما ضرها من بات للنور عائبا
يريدون ان يلقوا عليها ستائرا          ولكنها لم تأو بعد المغاربا
وللزوج سلطان اذا كان حاضرا          وللحب حراس اذا كان غائبا
ولكن من خان العهود فانه          يهيج المآسي او يلاقي المعاطبا
فكم زوجة قد انست الله بعلها          ولو كان قيسا ، ولو كان راهبا
وكل زواج لا يكون اساسه          غراما ، فقد امسى مدى الدهر خائبا
ولنا بصيادين نرمي شباكنا          الى البحر نستجدي المياه السوائبا (45)
ففي كل صوب قد نصادف صخرة          وفي كل لج نستحث القواربا
ولكن نروم الصالحات لبيتنا          وننشد للجيل الجديد صواحبا
وما فتيات اليوم الا وديعة          ومنهن تلقى للنهوض كتائبا (46)
ففيهن ينبوع النبوغ مفجر          وسل عن تواريخ البلاد التجاربا
وكم من فتاة انجبت خير مصلح          فلا اذهب الرحمن عنا المناجبا
اذا ما سما روح الفتاة فانه          يصير على اجيالنا متعاقبا
فلست ارى اشهى واحسن منظرا          من البنت هزت للعموم حقائبا
اذا امة لم تمنح البنت حقها          فكيف ترى عهد التقدم دائبا ؟
كفى بانتشار الجهل داء ومحنة          يهد شعوبا او يهين عصائبا (47)
ارى الطير امسى بالجناحين طائرا          واي جهاز لا يضم لوالبا ؟
فلا ترج للشعب الوديع تقدما          اذا لم يكن للعلم اصبح واعبا (48)
وليست حياة المرء الا بزوجة          تشق بنور المكرمات الغياهبا
ارى في ذوات الطهر حورا بجنة          يعشن مع الاقران بيضا كواعبا (49)
ففيهن ما يضفي على الشعر رونقا          ومنهن نحو النور اصبحت واثبا
فلا ظمئت نفسي ، ولا كنت قانعا          اذا صرت من حوض الصراحة شاربا
ففي الشعر ما يحيي موات قلوبنا          وبالحق نبني في الخلود مراتبا
ومن رام في الابداع فنا بدونه          فقد راح بالابداع والفن لاعبا

**محمد بن محمد العلمي**

---

44) المثالب : بالثاء المثلثة المعايب . والمثلبة : المسبقة . اما المتالب بالتاء المثناة فهي المقاتل والمهالك .
45) المياه السوائب : اي الجارية والذاهبة كل مذهب .
46) الكتائب جمع كتيبة ، وهي القطعة من الجيش .
47) العصائب جمع عصابة وهي الجماعة من الرجال او الخيل او الطير
48) وعب الشيء : اخذه بأجمعه ، ووعبه وتلقاه واستوفاه .
49) الكواعب جمع كاعب : وهي الناهد ، اي الجارية التي نهد ثديها وانتبر واشرف ، فهي كعاب وكاعب .

# ذكرى الطفولة

للأستاذ: **المدني الحمراوي**

ذكرت عهدا تقضى ... قد كنت فيه صبيا
لا يعرف الهم قلبي ... ولا اراقب شيا
وانما اللهو قصدي ... ففيه امضي مضيا
اقضي نهاري طليقا ... اجوب حيا فحيا
طورا اصارع طفلا ... الويه بالعنف ليا
واركب العود طورا ... احكي فتى عربيا
وتارة أتلهى ... اسوق « دورا » عتيا
اخال انى عليه ... قد اقتعدت سويا
وما ركبت بحق ... سوى على قدميا
ومكتبي كنت فيه ... مثل السجين شقيا
اذا اويت اليه ... قاسيت خوفا قويا
ولا يقر فؤادي ... حتى اروح عشيا
والعيد عندي يوم ... به اكون حفيا
اذا دنا صار قلبي ... يحيى زمانا سنيا
كأنما العيد امسى ... على الزمان عليا
فالنوم عني طريد ... والشوق بات نجيا
فان اتى قمت فجرا ... اشم عطرا ذكيا
وقد سررت سرورا ... اضفى الهناء عليا
فأوقظ القوم طرا ... مقبلا ابويا
وارتدي ثوب عيدي ... مخططا بلديا
اختال فيه كأني ... قد ارتديت الثريا
ولا تسل كيف اقضي ... ذاك النهار رضيا
هي الطفولة كانت ... فى العمر عهدا رخيا
العيش فيها سعيد ... فالفجر هب نديا
كالحلم راق فولى ... وكان قبل بهيا
ليت الطفولة اضحى ... زمانها ابديا
لكن كل عزيز ... لم يبق الا مليا

**الرباط — المدني الحمراوي**

## دراسات مغربية :




من أغرب مفارقات التاريخ أن تعريب المغرب ولا توحيده السياسي فى القديم لم يتم على يد العنصر العربي قط ، على الرغم من ان هذا العنصر حمل شعلة الاسلام الاولى الى هذه الارض التي شهدت صراعا مريرا ضد شره بعض الولاة الذين قدموا بنية الاسترقاق والاستغلال أكثر مما قدموا لتبليغ رسالة الاسلام المقدسة .

واغرب من هذا ان نشر الاسلام بالمغرب وتوطيده لم يتم ايضا على يد الفاتحين العرب خلافا لما يتوهمه الكثير دون تمحيص لحقائق التاريخ أو تأمل فى سير احداثه .

بيد انه ليس من المنطق ان تفسر هذه الفكرة بأنها ظلم لحق العنصر العربي فى ان يعترف له بالجميل الذي هو اهله ، بل على العكس من ذلك ، فلولا التدخل المباشر لهذا الجانب لما فكر البربر فى ان يؤدوا رسالتهم فى نشر الاسلام بالمغرب وتوحيده وتعريبه .

فقد فتح العرب القادمون فى عهد الامويين عيون البربر فى الشمال الافريقي كله على اشياء كثيرة كانوا يجهلونها حتى ذلك الوقت وعلى الخصوص فى الميدان الديني الذي نشط فيه العرب مباشرة خلال استقرارهم وفتوحاتهم .

وقد اجمع المؤرخون الباحثون قاطبة بما فيهم أشد دعاة التفرقة من الاجانب على وجود أنماط كثيرة من الحياة الاجتماعية يتفق فيها العنصران اتفاقا تاما بقطع النظر عن مختلف وجهات النظر حول اصل العنصر البربري .

وعلى الرغم من أن عددا من الولاة الامويين كعقبة وموسى بن نصير قد استطاعوا أن يتوغلوا فى فتوحهم بالمغرب دون ان يلاقوا فى الغالب مقاومة عنيفة فان جهودهم فى اقرار الامن لم تكن تكلل دائما بالنجاح . وهكذا فان البربر قد وجدوا فى أفكار المذاهب الخارجية التي تسربت الى المغرب عن طريق الجند انفسهم ما يرغبهم بحق فى اعتناق الاسلام الذي يفسح صدره لمختلف الاتجاهات والنزعات المتحررة التي تتفق مع مبادئه . ولم تكد الدولة الاموية تلفظ أنفاسها حتى كان الخوارج من البربر يؤسسون دويلات فى الشمال والغرب ومنطقة سجلماسة .

ولم يستطع العباسيون ان يثبتوا اقدامهم قط بالمغرب ولا حتى فى معظم المغرب الاوسط ، وهكذا بقي البربر سادة البلاد وكان لهم معظم الفضل فى افتتاح الاندلس التي ارتبط مصيرها منذئذ بالمغرب لمدة ثمانية قرون كانت فيها سلطته على الاندلس مبسوطة لفترات تفوق المدة التي خضع هو فيها لحكم الاندلس .

وفى هذه المدة الطويلة التي سبقت نشأة الدولة الادريسية لم يكن العنصر العربي شيئا يذكر من حيث تأثيره فى تعريب السكان لقلة عدده . غير ان بني صالح قاموا بجهد مشكور فى منطقة غمارة على الرغم من الحركات الانفصالية التي طالما ظهرت بوادرها الخطيرة فى هذه الناحية لاسباب بعضها يعود الى اصول دينية عميقة ومن اجل ذلك ساهم بنو صالح فى نشر العربية والعقائد الاسلامية هناك بقدر ما سمحت لهم ظروفهم السياسية .

## الادارســـــــة :

دخل ادريس الاول الى المغرب مصحوبا بمولاه راشد وليس معهما مال ولا رجال ولم تسبقهما الـى المغرب دعاية ولا حملة انتخابية على طريقة ذلك العهد، فآواهما بربر أوربة ، وأصبح ادريس اماما تحميـه سيوف هؤلاء وتتبنى دعوته رجالاتهم من غير أن يحتاج الى عربي واحد يكل اليه بعض أموره ، وطالما انشـد بعض الادارسة أشعارا عبروا فيها عن احساسهـم بفراق موطن آبائهم وأجدادهم وبما يجدونه من الغربة في بلد لا يتحدث سكانه بلغتهم وكان ادريس الثاني أحد هؤلاء المشتكين مع انه ولد من أم بربرية وما شهد بلاد المشرق قط .

وقد دخل ادريس الاول يحمل بطبيعة الحال فكرة انشاء خلافة أو نوع من الخلافة بالمغرب ينافس خلافة المشرق ، ومع ذلك ، لم يكن يتوفر على عصبية قبلية كالتي توفر عليها العباسيون ؛ وكانت تنقصه حملـة الدعاية المنظمة التي تطلبت عقودا من السنين بالمشرق قبل أن يستطيع هؤلاء اقرار دولتهم العتيدة . ثم كـان يحتاج الى الاموال الوفيرة التي أغدقت على هؤلاء من مساعديهم الفرس الذين على أكتافهم قامت الدولـة العباسية . وأخيرا فلم يكن المغرب العربي قط ، نظرا لبعده ووعورة مسالكه مركز الثقل في سياسة الدولـة الاسلامية الكبيرة ، فقد كانت العراق ومصر والشام تكاد تشكل الثالوث الوحيد الذي اتجهت اليه باستمرار أطماع الطامحين والغزاة أكثر مما كان الامر بالنسبة الى المغرب .

ولم يكن في المغرب ساسة دهاة يمكنهم أن يدبروا الخطط ويحولوا بطريقة أو بأخرى أنظار سكان الشرق الى أمام الغرب وذلك لبعد المسافة وقلة الاحتكاك وعدم توفر أسباب النضج السياسي مثلما هو الامر بالمشرق.

ومهما يكن من شيء ، فان البربر سرعان ما بداوا يدخلون طائعين تحت نفوذ ادريس الاول الذي لم يستطع مع ذلك ، أن يقهر هو أو خلفاؤه ، البرغواطيين الذين كانوا يحتلون أخصب مناطق المغرب غربا ويمتد نفوذهم الى سفوح الجبال الاطلسية . ويمكن أن نؤكد بكثير من الاطمئنان أن هؤلاء البرغواطيين قد استقوا كثيرا مـن مبادىء الفرس الهدامة التي ناهضت الاسلام كالمانوية والمزدكية والزرادشتية وعلى الخصوص الزواج المشاع الذي وجدنا آثاره تتسرب الى أعماق الصحراء بدليل ما وجد عليه عبد الله بن ياسين سكان هذه الناحية .

والحق أن الادارسة قد استطاعوا أن يتوغلـوا بنفوذهم السياسي الى أعماق جنوب المغرب بفضـل سلطتهم الروحية التي كانت وحدها في الغالب أساسا لفرض سيطرتهم السياسية حتى عند انقسام مملكتهم باشارة رأى جدتهم كنزة ، الذي لم يكن محمودا بحال .

ونشط حاميم المتنبي وأسرته في هدم معتقـدات الاسلام في الشمال عن طريق السحر والتنجيم الـذي طالما برز فيه عدد من سكان غمارة التي تنتمي اليهـا هذه الاسرة ولم يقم الادارسة بأي جهد يذكر في اقرار الاسلام الصحيح بهذه المنطقة التي ضعف فيها قبل هذا الوقت نفوذ بني صالح .

وعلى الرغم من قدوم فوج من الاندلسيين في عهد ادريس الثاني الذي استعان ببعض عناصرهم في الحكم والادارة فان أثرهم ضئيل جدا في الميدان العلمـي اذا قيس بالمدة الطويلة التي قضوها في الحكم ، ونستطيع أن نؤكد أن جهود خوارج سجلماسة والبرغواطيين في تلقي الثقافة العربية ونشرها كانت أنشط وأثمر مـن جهود الدولة المركزية بقطع النظر عن المعتقدات التي يعتنقها كل جانب . أما النشاط الديني والعسكري فان الادارسة لم يتوقفوا عنه الى آخر رمق من حياة دولتهم على أن من أعجب الحقائق أن يكون نفوذ الادارسة في اشاعة روح العروبة في النواحي الصحراوية أقوى منها في منطقة سوس التي تكاد اللهجة البربرية تتغلغل في كل جنباتها حتى الآن . ولا ينفي هذا أن السوسيين قد تقبلوا الاسلام برحابة صدر وأبدوا شديد عطفهم علـى الادارسة ، حتى لقد وجد البكري أهل تارودانت على مذهب الشيعة ، وهو بطبيعة الحال مذهب الادارسة كما هو مذهب الفاطميين .

وعلى ذكر منطقة السوس نجد أنفسنا أمـام ظاهرة مدهشة من الوجهة الاجتماعية والجغرافية ففي سهول سوس تستقر عناصر من قبيلة هوارة التي تعد من أضخم قبائل الشمال الافريقي عددا وأكثرها انتشارا وهذه العناصر عربية اللهجة ومعظمها يجهل بتاتا اللهجة السوسية حتى الآن ، فكيف تعربت واحتفظت باللهجة العربية وسط مجتمع بربري كليا ؟ مع العلم بأن البربر هناك قد بقيت فئة كبيرة منهم تستقر هي أيضا بالسهول المجاورة دون أن يؤثر فيها التعريب بشيء ؟ والجوار وتبادل المنفعة والمصالح مما يحمل على تلاقح اللهجات

لقد امتزجت عناصر من هوارة بعناصر من القبائل العربية التي حلت بافريقية أيام الصنهاجيين حتى تغلب التأثير العربي هناك بين هذه العناصر التي حلـت

مجموعات منها بالمغرب ابان الموحدين والمرينيين ونعتقد ان العناصر الهوارية المستقرة بسوس من سلالة هذه المجموعات الافريقية الاصل . وقد أكد ابن خلدون بهذا الصدد ان هوارة بافريقية كانوا يردون نسبهم هم ايضا الى حمير ، شأن صنهاجة . وقد القيت بنفسي أسئلة على عدد من سكان هذه المنطقة في عين المكان حول ما اذا كانوا يعدون انفسهم عربا او بربرا فاجمعوا على أنهم ينتمون الى الجنس العربي من غير أن يستطيع أحدهم احتجاجا لذلك ، وكان استغرابي عظيما عندما طلبت جماعة قروية من بينهم استبدال اسم مدرسة بربري بآخر عربي عندما كانت لي هناك مسؤولية الاشراف على التعليم ، وترددت شهورا قبل الموافقة ليقضي كل مظاهر العنصرية .

فهذه المنطقة والحالة هذه ، لم تعرب على يد الادارسة ، ما لم يثبت بحجة تاريخية جديدة عكس ذلك.

لقد ظل المغرب الى نهاية عهد الادارسة ، بل والى قيام دولة المرابطين بربريا في سكانه وعاداته ولهجته ، واذا بالغنا في تقدير عدد العرب المتخلفين من عهد الفتح الاسلامي ومن انضاف اليهم من عرب الاندلس فلن تحصل على اكثر من بضعة آلاف على أكبر تقدير لم يؤثر توزيعهم تاثيرا يذكر في المجتمع المغربي من حيث تعريبه . ولكن لابد من ملاحظة ان لغة الدولة او لغة الحكام على الاصح سواء في الحكومة المركزية أو او في الجهات المستقلة كانت عربية ، ولا نعرف بالضبط مقام اللهجات البربرية في شؤون الادارة ، ولو اننا نعلم ان البربرية اتخذت لغة تعليم في بعض المناطق المنفصلة الى جانب العربية كما حدث في منطقة تامسنا التي فرض البرغواطيون على سكانها قرآنا مكتوبا بالبربرية.

## المرابطون :

على الرغم من المحاولات التي ابداها كل من المروانيين والفاطميين في اخضاع مجموع المغرب او بعضه لسلطتهم ، فقد كان اعتمادهم في الغالب على تأييد البطون الثلاثة القوية من زناتة وهي مغراوة ويفرن ومكناسة ، ولم يستطع المروانيون ولا الفاطميون اخضاع مجموع المغرب قط ، ولا الاعتماد كليا على قواتهم العسكرية الخاصة ، وكيفما كان الحال ، فان المحاولات التلقائية التي أبداها على الخصوص كل من مغراوة وبني يفرن في الاستقلال بملك المغرب لم يستفد المغرب من ورائها كثيرا وظلت حركة التعريب الى هذا العهد الطويل الذي اربى على القرن تنحصر في الميدان الفكري على الخصوص وفي نطاق ضيق ، ويمكن أن نقول أن فاس العاصمة الرئيسية ظل معظم سكانها بربرا .

ولقد خلف الادارسة والزناتيون قبل انهيار حكمهم مذاهب مختلفة بالمغرب كالشيعة والمالكية والبرغواطية ولم يكن هناك مذهب ديني واحد يجمع شمل السكان ولا حكم منظم يعمل على نشر الحضارة والعمران ويبلغ رسالة الاسلام الحق الى كل جزء من اجزاء البلاد .

وظهر على مسرح الاحداث في اوساط لمتونة حوالي سنة 430 ، شخص معروف هو عبد الله بن ياسين الجزولي الذي دخل الى الصحراء بناء على ترشيح استاذه وكاك بن زلو الذي هو ايضا بربري من الجنوب ، وليس من الفائدة اعادة حكاية الظروف التي انتقل فيها ابن ياسين الى أوساط لمتونة ، فالمهم أن هذه الشخصية العظيمة عملت على لم شتات صنهاجة الجنوب قاطبة في زمن وجيز ، وتمكنت بالاقناع تارة وبالقوة تارة اخرى من حمل صنهاجة على اعتناق مبادىء الاسلام الصحيحة وباقرار مذهب مالك بالذات وهو المذهب الذي كانت المحاولات الفردية من طرف بعض العلماء قد عملت على تبني الدولة له بفاس في أواسط القرن الرابع .

وقد وجه المرابطون اهتمامهم اولا الى ناحيتي سجلماسة وناحية درعة ، وكان ذلك بايعاز من وكاك ابن زلو الذي استقر زمنا بسجلماسة . وكان فيما يظن لحد الساعة اول من اسس مدرسة خاصة للتعليم ونشر اللغة العربية . ولم تنشأ هذه المدرسة بالشمال ولا في فاس التي كانت محط انظار العرب بل شيدت باكلو في اعماق السوس وبين الاوساط البربرية الموغلة في القدم.

ان عبد الله بن ياسين لم يحمله احد او يوح اليه بتبني المذهب المالكي ، فقد درس عدة سنوات بقرطبة ، مثلما درس بسوس ، فجمع بين التفكير البربري الموضوعي وبين الثقافة العربية التي تستمد قوتها من اشراق السماء وعبقرية الاسلام .

ولم يكن العامل الاقتصادي اساسا في زحف المرابطين نحو الشمال ، فالصحراء التي كانوا يعمرونها لم تكن موحشة او جدباء على ما هي عليه اليوم ، ووادي درعة لم تكن الخصوبة تستقر على بعض ضفافه المجاورة كما هو الشأن اليوم ، فعلى بعد بضع عشرة كيلو مترات من طاطا الحالية التي لا تكاد تصل اليها قدم انسان اليوم غير سكانها تدل كل الظواهر الجغرافية

والجيولوجية على أنها نعمت بخصب عظيم عز أن يكون له مثيل في التاريخ القديم ، وقد بقي اثر هذا الخصب بارز المعالم مدة طويلة ابان القرون الوسطى فيما نرجح، بدليل ان عمالة وادي درعة كانت احدى العمالات الرئيسية التي لا يولى عليها الا كبار امراء الدول التي تعاقبت على المغرب وان هدف الفاتحين كان لا يتوقف الا عندها بل ولا ينطلق زحفهم الاول الا نحوها .

ولا يزال الاثر الغابوي مع هذا واضحا في عدد من جهات الصحراء بما في ذلك طرفاية التي أخذت اسمها من « الطرفاء » وهي نوع من الشجر الغابوي الذي كان يغطي فيما مضى هذه المنطقة الشاسعة . فالعامل الاقتصادي كان ضمن العوامل الثانوية التي حدت بالمرابطين الى زحفهم نحو الشمال ، وكان العامل الديني اساسا اول لهذا الانطلاق .

ولقد مات عبد الله بن ياسين وهو في جهاد برغواطة . وما كاد يوسف بن تاشفين يتابع مهمة سلفه وابن عمه أبي بكر بن عمر في الزعامة السياسية والروحية للمرابطين حتى اتخذ من مدينة مراكش التي بناها هو عاصمة له . وكان يوسف لا يحسن اللغة العربية ، ولكنه لم يفكر أبدا في أن يتخذ من البربرية لغة الادارة ، فكل مراسلاته الادارية او معظمها باللغة العربية . وقبل أن يفكر يوسف في ضم الاندلس تحت الحاح سكانها انفسهم كان يستعين في شؤون الادارة بموظفين عرب ، وقد نجح يوسف نجاحا كليا فيما لم يوفق اليه ملك ولا دولة قبله بالمغرب ، الا وهو توحيد المغرب سياسيا واخضاعه جميعا لحكم الدولة ، بما في ذلك الشمال والمنطقة البرغواطية الشاسعة التي ظلت قرونا خاضعة لسلطة سكان محليين .

وقد فتح المرابطون صدرهم للعروبة بكل معنى الكلمة ، فباستثناء الولاة الاقليميين الذين كان نفوذهم اداريا سياسيا ، نجد موظفين عربا يشغلون مراكز مختلفة من قضاء وكتابة وقيادة جيوش بل ان اغلب مراكز القضاء شغلها عرب .

وشملت حركة التعريب مختلف مظاهر السيادة كالسكة والزي الذي كان أسود اقتداء بالدولة العباسية التي دان لها المرابطون بالولاء طيلة حكمهم . كذلك بدا الفن الاندلسي العربي يأخذ طريقه الى القصور والمساجد التي حطمها كلها أو معظمها الموحدون فيما بعد .

ولا فائدة في سرد أسماء العلماء والادباء الذين ازدان بهم هذا العهد . ومن الطبيعي ان يحقد بعض سكان الاندلس ورجالاتها على المرابطين ويبغضوا سلطتهم على الاندلس رغم ما خصهم به المرابطون من عطف وما ولوهم من مناصب .

ويجب أن نستمد مرة أخرى هذه الظاهرة من جذور التاريخ ، فمعظم العرب الذين قدموا الى الاندلس من الشام أصلا ، وأهل الشام كانوا مواليين للدولة الاموية طيلة حكمها ، والامويون اساءوا السيرة في البربر غالبا ، وعندما فتحت الاندلس حملوا معهم نعرة العصبية فخصوا البربر بالجهات التي لا تكاد تغل شيئا ونعموا هم بأخصب الاراضي على الرغم من أن الاندلس فتحت بسيوف البربر وتدبير العرب . وكذلك انزرع الشقاق بين العرب والبربر في الاندلس منذ ذلك الحين وبقي العرب ينظرون الى اخوانهم البربر نظرة عداء فيها مزيج من مركب النقص والاستعلاء ، فكما فتحت البلاد بسيوف البربر أنقذت من شر محقق على يد البربر في شخص المرابطين ، وهذا فضلا عما كان يلتزمه هؤلاء من الجدية والنظر الى الحياة العامة بغير منظار الاندلسيين .

وقد اغترف امراء المرابطين كتميم بن يوسف واسرة ابن الحاج وعلي بن يوسف من معين العربية بأوفر حظ وكانت مجالسهم العلمية والادبية مضرب الامثال وموضوع روايات كثيرة تضمنتها كتب كالذخيرة والقلائد.

حقا ان نشر العلم لم يأخذ طريقا واسعا بالمغرب حتى هذا العهد ، فالمدارس التي كان يمكن ان تأوي الطلبة الداخليين لم تؤسس بعد وهي أكبر مشجع لاجتذاب أكبر عدد ممكن من الطلاب على تلقي العلم في ربوعه الخاصة ، ولكن حركة تنقل الطلاب والعلماء بين الاندلس والمغرب والقيروان قد شقت طريقا واسعا لصالح اللغة العربية بالمغرب .

وما كادت دولة المرابطين تدخل في ذمة التاريخ حتى كانت قد خلفت رجالات من ذوي العلم لا يزال اسمهم يجلجل في جنبات المعاهد الاسلامية وحتى الغربية الى يومنا هذا ، وناهيك بشخصية الادريسي الذي يشكل نشاطه العلمي الجبار جزءا من تاريخ الفكر الايطالي والاسلامي على السواء ، وكذلك شخصية عياض السبتي الذي جمع من ابواب العلم ما عز ان يجتمع لغيره .

## الموحـــدون :

لقد كانت اول خطوة سلكها الموحدون فى الميدان السياسي بعد وفاة ابن تومرت ، هي اعلان الخلافة والتصريح بانتماء عبد المومن الى الجنس العربي عن طريق قيس غيلان . وحقا لقد نجحت هذه الخطة فى اقناع سكان المغرب العربي قاطبة باحقية الموحدين فى اقرار الخلافة ، وكان التدخل العسكري المباشر ، هو ايضا الوسيلة التي تحمل السكان عاجلا على الدخول طوعا او كرها فى فلك هذه الدولة الجديدة .

وبظهور الموحدين على مسرح الاحداث ، تفتح صفحة جديدة فى التاريخ الاسلامي الذي يشغل فيه مذهب ابن تومرت ونشاط الموحدين فى اقراره مكانا بارزا . ولكن هذا ليس هو المهم هنا ، فالذي يلفت النظر هو أن بني غانية الصنهاجيين قد قاموا بنشاط عسكري عجيب حاولوا من ورائه مواصلة قيام دولة المرابطين فى المغربين الاوسط والادنى بعد ان اصبح الموحدون سادة المغرب الاقصى من غير منازع . وفى افريقية استطاعوا ان يستميلوا القسم الاكبر من قبائل العرب التي استقرت هناك قبل قرن تقريبا فى ظروف معروفة مما دعا عبد المؤمن الى ان يتعقب الطرفين معا حتى اعماق الصحراء وتوغل شرقا فى ليبيا . وما كاد ابو يعقوب يتولى الحكم حتى وجه همه الى اقرار الامن بافريقية . وقبل بضع سنوات من وفاته نفى عرب رياح الى مراكش لانهم ساعدوابعض الصنهاجيين على الثورة فى هذه البلاد . ولما تولى المنصور تابع صراعه ضد بني غانية الذين ظلت قبائل بني هلال تمالئهم وتناصرهم بحد السيف ، وقد تمكن من اقصاء بني غانية عن افريقية والحد من ثورة بني هلال الذين عمل على ترحيل القسم الاكبر منهم الى المغرب الاقصى حيث بث فروعهم فى سهول المغرب الغربية على الخصوص ، كما نقل معهم بني سليم وبني معقل ، وهؤلاء الاخيرون انبثوا فى الصحراء وعربوا قسما عظيما منها حيث انصهر فيهم العنصر البربري من جهة ؛ كما انتصر لسانهم العربي فى تلك الاصقاع من جهة اخرى . وهكذا تابع هؤلاء العرب البدو ، مهمة الادارسة الذين كان لهم فضل القيام بحملة التعريب الاولية .

وفى النواحي الاطلسية التي استقر فيها البدو ، اصبحت اللغة العربية والعادات الخاصة بالعرب تسيطر وحدها على حياة السكان فى اغلب الجهات المذكورة ، وانصهرت كليا فى بوتقة العروبة بعض القبائل البربرية كدكالة الموغلة فى القدم وهسكورة فى معظمها . وتطلب هذا بالطبع ، لا عقودا من السنين فحسب ، بل قرونا قبل ان يتم هذا الانصهار ، ذلك أن آلافا عديدة من زناتة وهوارة قد استقرت هي ايضا بتامسنا فى العهد المريني حتى تكاثر سكان هذه المنطقة التي اصبحت تلعب دورا بالغ الاهمية فى تاريخ المغرب .

لقد عمل الموحدون بنقلهم لقبائل العرب على تعريب المغرب اجتماعيا بشكل يفوق فى اهميته كل الجهود المبذولة من قبل . وفى مقابل ذلك ، لعبت هذه القبائل دورا خطيرا فى تحطيم اقتصاد المغرب وتناقص عمرانه ، فضلا عن ان قسما لا يستهان به من السكان قد انحازوا الى المناطق الجبلية وسفوح الجبال. وانكمش كل من الفريقين بشكل تلقائي حيث هو مع تقادم الزمن . لقد اخطأ الموحدون فى طريقة توزيع هذه القبائل التي لم تكن المناطق التي احتلوها معدة اقتصاديا ولا حتى اداريا لتقبل جحافلهم . كذلك كان خطأ الموحدين الاكبر انهم اعطوا لهذه القبائل استقلالا ذاتيا تركت فيه لشيوخهم كامل السلطة عليهم . وكيفما كان الحال ، فان انصهار العنصرين فى هذه المناطق الشاسعة هو فى حد ذاته نعمة اجتماعية ذات قيمة .

لم يقم بدو العرب مدنا ولا حصونا ولا اي مظهر حقيقي من مظاهر الحضارة الفنية والعلمية فمنذ أن استقر اسلافهم بمصر عوملوا على اساس انهم اعراب، فعزلوا عن المجتمع الحضاري ، وتوبعت هذه السياسة المشينة حيالهم بافريقية ثم رحلوا الى المغرب على هذا الاساس ايضا .

ويتجلى الفرق عظيما بين الاثر العربي الحضاري الذي خلفه القادمون من الاندلس الذين استقروا بفاس مثلا ، وبين اثر هؤلاء البدو الذين حرموا نعمة التعليم والاحتكاك بالمجتمعات الراقية ، وبالتالي العدالة الاجتماعية .

على أن هذه القبائل سيقدر لها ان تقوم بدور نبيل سواء فى حروب المسلمين بالاندلس أو بالشواطىء المغربية التي تسلط عليها الغزاة من اسبانيا والبرتغال منذ اواخر العهد المريني . كما ستنشط بعض مجموعاتها فى الميدان العلمي خلال فترة متأخرة من تاريخ المغرب .

واثر هزيمة « العقاب » ، تساقطت على التوالي مدن وحصون اندلسية عديدة كقرطبة وبلنسية وجيان وبرشلونة ، وانتقل عدد من سكانها المسلمين الى المغرب ، وبذلك بدأت تتقوى العناصر العربية المتحضرة التي تساهم عمليا فى ترقية الحالة الاجتماعية المدنية .

ويجب أن لا ننسى أن البربر لم يتخلوا عن نشاطهم الزراعي الممتاز الذين استمدوا وسائله الاصيلة من الرومان المستعمرين السابقين ، وفي هذه الفترة بالذات وبعدها ببضعة قرون اخرى ظلت حياة الترحل اكبر مظهر للنشاط الاجتماعي بين قبائل العرب المهاجرة من افريقية .

لقد استمرت لغة الادارة هي العربية ، واستخدمت البربرية في ظروف محدودة اقتضتها المصلحة السياسية، مثلما فعل المهدي بن تومرت في تلقين المصامدة عقائد التوحيد . ويمكننا أن نقول ان اللهجة المغربية الدارجة بدات تتكون نواتها في هذه الفترة متأثرة بلهجات الاندلس اي انها بدات تتبلور بعض الشيء تاركة للقرون المقبلة مهمة تنميتها وتركيزها عن طريق الاخذ والعطاء والتفاعل مع اللهجات البربرية والاندلسية وبعض اللغات الاجنبية فضلا عن الفصحى .

لم يكن هنالك برنامج للتعريب ولا سيطرة سياسية للغة او لهجة . فمن المؤكد أن العربية دخلت الى جميع الاقطار الاسلامية من غير استثناء على انها اللغة التي نزل بها الوحي والقرآن ولقن بها الرسول وصحابته تعاليم الاسلام . وبهذا المنظار نظر المسلمون الاولون الى اللغة العربية وبهذا المنظار يجب ان ينظر كل مسلم الى هذه اللغة .

حتى اذا بدات دولة الموحدين تقترب من نهايتها المحتومة ، كانت قبائل العرب تحيط بتراب المغرب احاطة السوار بالمعصم ، فهي موزعة بين اطرافه موغل بعضها في صحرائه .

ولقد قام الموحدون مع هذا بجهد علمي ضخم في اطار الثقافة العربية التي نهل ملوكهم من معينها شأن بعض اسلافهم المرابطين وخلفائهم المرينيين .

وعني الموحدون بالعلوم التطبيقية شأن عنايتهم بالعلوم العقلية والنقلية ، ورحبوا بمقدم العلماء والادباء القادمين من الاندلس الذين ساهموا بجهد عظيم في نشر الثقافة العربية بالمغرب ، مثلما قدر لكثير من علماء المغرب وادبائه أن يقوموا به في الاندلس والمشرق .

## المرينيون :

لم تبد دولة قبل المرينيين ما أبداه هؤلاء من التسامح والترفع عن العصبية في مختلف اشكالها فقد ادى اعتمادهم على بعض العناصر اليهودية في الحكم والادارة الى استياء الشعب حتى لقد قتل آخر ملوكهم لهذا السبب كما اعتمدوا على اللفيف الاجنبي المسيحي ووكلوا اليه حمايتهم الشخصية خصوصا ايام انحطاط دولتهم ، وكان للقوة المسيحية يد طولى في خلع وتنصيب عدد من ملوك هذه الدولة . وكانت مجالسهم السياسية ومؤسساتهم الادارية تجمع عناصر كثيرة فيها اليهودي والمسلم ، كما فيها البربري والعربي والمسيحي .

لقد ظلت روح البداوة وكذا اللهجة البربرية تسود معظم جهات المحيط الاطلسي الذي لم تكن تشكل فيه انواج القبائل العربية الا نسبة ابعد ما تكون عن نسبة السكان الاصليين . ففي جولة دراسية وتفسحية قام بها ابن الخطيب الاندلسي لاحظ ان سلا تجمع بين البداوة والحضارة كما لاحظ ان سكان أزمور (الساحلية) بربريو اللسان ، ولكن الزمن وحده مكن من تعريب المناطق الاطلسية كما تقدم .

ولقد ظل الاندلسيون يتواردون على المغرب في هذه الفترة في اعداد قليلة اذ فضل معظمهم البقاء في الاندلس بأي ثمن حتى النهاية ، وهكذا فقد استقرت عناصر السكان بالمغرب على ما كانت عليه تقريبا في العهد السابق .

وتجمع بين المرينيين بل والزناتيين بوجه عام ، وبين العنصر العربي وجوه شبه كثيرة سواء من حيث طرائق القتال والفروسية او من حيث استعمال الخيام في السكنى او حياة الترحل التي عرفتها حتى ذلك الوقت مجموعات مختلفة منهم ، وهكذا فبالرغم من المشكل الاقتصادي الذي وضعه مقام القبائل العربية لم تحدث أية مشكلة سياسية من اجل ذلك ، مع العلم بأن الخزينة المغربية قد تدفقت عليها اموال عظيمة خلال المدة التي ظهر فيها ملوك أكفاء كأبي الحسن وأبي عنان .

وهذا هو العهد الذي بدا التعليم يصبح فيه شعبيا بمعنى الكلمة . فبعد ان ظهرت المدارس الاولى في عهد المرابطين ثم الموحدين ، انطلق المرينيون ينشرون اللغة العربية وعلومها في عدة مدن حتى الصغيرة منها ، وقاموا بنفس العمل في المغرب الاوسط وحتى في افريقية . **وفي هذا الوقت الذي كانت اللغة العربية في الادارة قد بدات تنحط في الشرق الى درجة الاسفاف كان المغرب الاقصى يقدم نماذج تفوق الحصر ، من الاسلوب العربي الجميل الذي اذا شانه احيانا الزخرف اللفظي فهو أبعد ما يكون عن العامية التي سادت لغة الادارة في عدة جهات من المشرق.** كذلك واصل المرينيون الاهتمام بتنشيط الحركة الفكرية العربية في مختلف مظاهرها ، فمن بناء المدارس وتجهيز طلبتها واساتذتها

بالمنح والجرايات الواسعة الى انشاء الخزائن والتنافس فى اقتنائها ، ومن انتداب رجال العلم من الاندلس والقيروان وتلمسان لتدريس الى تشجيع الادباء والشعراء بالصلات والعطايا الجزيلة .

وفى هذا العهد بالذات لمع اسم القرويين بشكل ما عرف التاريخ له من قبل مثيلا ، كذلك لم تعرف القرويين بعد هذا العهد نشاطا علميا واسعا تعززه الاوقاف العديدة والجرايات الواسعة على قدر ما كان فى العصر المريني .

وهكذا دخلت العروبة حينئذ من انبل منابعها وشملت آلافا من الطلاب الذين توزعتهم فروع التخصص كما لقح الكثيرون منهم ثقافتهم بثقافة الشرق العربي عن طريق الرحلة او دراسة المؤلفات الواردة من تلكم الديار .

ويسجل التاريخ لصالح هذه الفترة اسم اشهر رواد الفكر الانساني ظهر حتى الان وهو ابن خلدون الذي تلقى معظم ثقافته العربية على علماء مغاربة ، واشهر رحالة وهو ابن بطوطة ، واحد ابرز الشخصيات الرياضية فى التاريخ العالمي وهو ابن البناء .

لم يكتف المرينيون بهذا فحسب ، فهم الى ذلك ، قد نقلوا الفن العربي الاصيل من الاندلس فى البناء والموسيقى والصناعات التي نسميها تقليدية ، وبذلك خدموا تاريخ الانسانية كله ، فقد حفظوا تراث بلد كان يمكن أن يجهل عنه الغرب والشرق كل شيء ، وكان من السهل أن يغمط حق الاندلس فى تاريخ الفكر والفن لولا هذا الاستمرار الذكي فى حفظ ذلكم التراث .

### خاتمة :

حقا لقد استفاد العنصر العربي نفسه من مجموع هذه الجهود المتوالية اكثر مما قد يكون البربر قد استفادوه اذا راعينا نسبة السكان من كلا الفريقين واسماء رجال الفكر منهما ، ولم يكن ذلك بطبيعة الحال لاختلاف العقلية او لقابلية فى التحضر لدى العرب أكثر منها لدى البربر ، بل لان اللهجة او اللهجات البربرية ظلت عائقا لدى الكثيرين ممن لهم رغبة فى الثقافة العربية . ولكن التاريخ يسجل بعد هذه الحقبة وابتداء من العهد السعدي خاصة ظهور نشاط علمي عظيم فى العلوم الرياضية والدينية بناحية سوس وكذا بدكالة ( فى العلوم الدينية ) حيث حظيت حركة التعريب هذه المرة لا بتبني الحاكمين ولكن برعاية الاسر نفسها وقد اصبح افرادها يتوارثون العلم ابا عن جد . على أن السعديين والعلويين قد قاموا هم أيضا بجهد ضخم فى عملية التعريب شمل توطين آلاف القادمين من عرب الاندلس فى آخر هجرة لهم وبناء مزيد من المعاهد واشراك العنصر العربي والبربري معا فى الحكم والادارة فضلا عن نشر الثقافة العربية بمختلف الوسائل .

الرباط : ابراهيم حركات

### الحنين لاول منزل

كم منزل فى الارض يألفه الفتى
وحنينه أبدا لاول منزل

**أبو تمام**

# ابن الخطيب السلماني في حياته سياسيا وأدبيا

للأستاذ: عبد الله الجراري

من سنن الطبيعة ومالوف التاريخ ان نرى بين الفترة والاخرى تليها رجالا وابطالا ينشئون في كل صقع من اصقاع البلاد تكون اشد ما تكون حاجة الى وجودهم بين ظهرانيها لصيانة مجدها ، وحفظ سيادتها والذود عن كرامتها ، حيث تسعد الامة بمواهبهم ، وتصول الدولة في نفس الوقت بتجاربهم ، وما توفروا عليه من معارف في شتى المناحي العلمية والثقافية والسياسية ، حتى اذا خالطوا ميدانها كانوا في مقدمة المدبرين للدوالب ، المسيرين للمصالح بلباقة وحكمة يذللون الصعاب ويحلون المشاكل ، فتسير الدولة على ضوء ما يخطونه لها من برامج وقوانين تكون بالطبع هدفا اسمى لحكومتها الصالحة التي تعنى بالخلق والانشاء والنهوض بشعوبها ماديا ومعنويا ، اذ على كواهلهم يبنى صرح المستقبل وعلى سواعدهم يرفع المستوى وتعتز البلاد وتسير الشؤون في انسجام يحدوها مقياس التنافس المتركز في نفوس الشعوب والامم التي لا نجدها تقتنع بالنزر من المعارف والثقافات ، بل تخطو خطوات واسعة المدى ، غير واقفة عند حد يرجعها عن طموحها البعيد نحو السعادة ، وذلك ما يجعلها تضرب بأسهام وافرة في شتى الفنون والمعارف ، ضاربة ارقاما قياسية في مسرح الحياة التي لا بدع ان يكون ما تقدم كمقدمات لمشاهدة هذه الادوار الملموسة .

فاذا ما تلمسنا حركات الاسلام الاولى والعجلات التي على سرعتها سار نجد في سائر الدول انها على صفوة من ابنائها تركزت وبمشعلها استنارت واهتدت .

فهذه الدولة الادريسية الفاتحة نعلم تاريخيا ان لراشد مولى ادريس الاكبر اليد الطولى في رفع منارها الجديد على ربوع القطر المغربي الجميل ، بما توفر عليه من حنكة وحكمة كان « ابن الرسول » يعتمدها في كل حركاته البنائية سياسيا واجتماعيا في الوسط المغربي الفتي حتى تكونت الدولة واستقر الاسلام بوجودها في هذه الديار استقرارها النهائي .

وهذه دولة لمتونة القوية التي كان يمثل دور بطولتها في العدوتين ـ المغرب والاندلس ـ اسد الاطلس ومغواره يوسف بن تاشفين ، اذا درسناها نجد هذا الاسد رغم صرامته وبداوته التي قد لا تخلو من جفوة ينفصل في اطمئنان الى الكاتب القدير ابي بكر بن القصيرة في تسيير ديوانه والقيام بادارة الشؤون داخلا وخارجا .

اما في الدولة السلفية الموحدية فقد اتسع البساط ، وامتد صدر البلاط ، وكثر الكتاب والادباء من ابناء العدوتين ما شئت من وزراء وكتاب وفلاسفة شاركوا في دعم صرح الدولة وبناء حضارتها على اساس متين يضمن للشعب التقدم والرفاهية كابن عطية المراكشي ايام عبد المومن ابن علي الذي كتب قبل لعلي وابنه تاشفين في دولة المرابطين وابي الفضل بن محشرة وابي عبد الله ابن عياش في دولة يعقوب بن يوسف واما في دولة بني مرين ـ دولة الفن والرقة التي عد عصرها ازهى عصور المغرب فكان رئيس قلم الكتاب فيها عند ابي الحسن ـ الكاتب ابو القاسم بن رضوان في بيت الادب الذي اضاف الى سعته الادبية خبرته الواسعة بالسياسة واساليبها حتى وضع في ذلك مؤلفا احتوى اربعين بابا جمع فيه محاسن ابي سعيد ومحاسن ولده وما كان لهما في ادارة الدولة من ايادي سابقة وتقدم حميد .

واذ نجد ضالتنا المنشودة تعيش فى هذا العصر الزاهي وتلعب دورها الهام فى الدولتين المغربية والاندلسية ـ يجدر بنا ان نتحدث عن هذه الشخصية الفذة ـ شخصية محمد بن عبد الله اللوشي الغرناطي الشهير بلسان الدين بن الخطيب .

لسان الدين ـ هو الوزير المؤرخ ولد بغرناطة ونشأ فى بيت نابه نبيل .

واستوزره سلطانها ابو الحجاج يوسف سنة 733هـ ثم ابنه السلطان محمد بن يوسف .

واذ كان فى اذكياء الشعوب من لا يعدمون منافسين بل وحساد يرغبون فى الانتقام من عبقريتهم التي نالوها عن اجتهاد واستعداد خولهم التبريز على المعاصرين والاقران على الاخص ـ نرى هذا المعنى يتجلى باجلى مظهر فى تلكم الشخصية اللامعة ـ شخصية ابن الخطيب السلماني احد الافذاذ العالميين « فى القرن الثامن الهجري ـ الرابع عشر الميلادي » الذي عاش فى محيطه المنزلي والاجتماعي منذ تنسم الحياة الاولى بين احضان المعرفة وكثرة رجالها ، وسهولة التحصيل ، مما كان له اكبر عون على بلوغ تلك المنزلة السامية التي نالها بعد ، حتى ضرب الرقم القياسي فى العبقرية والسمو ؛ لا سيما عندما امتزج بالدولة ، وخاض ميدان السياسة مبرهنا فيها عن علو كعب ، وطول باع فى الادارة والتسيير

من ءايات هذه العبقرية الغريبة ـ انه عندما بعثه السلطان محمد بن يوسف بن الاحمر سفيرا الى سلطان المغرب ـ ابي عنان المريني ـ مستمدا منه الاعانة على عدوه الطاغية الاسباني ـ على عادة سلفه فى ذلك ـ وكان ذلك فى وفد من وزراء الاندلس وعلية رجالها ، فعندما مثل بين يدي السلطان ـ استاذنه فى انشاد شيء من الشعر « الذي كان بريد الحاجات ومعبد السبل » فاذن له وانشد وهو قائم :

خليفة الله ساعد القدر
علاك ما لاح فى الدجا قمر
ودافعت عنك كف قدرته
ما ليس يستطيع دفعه البشر

فاهتز السلطان ابو عنان بهذه القطعة واذن له فى الجلوس ، وقال له قبل ان يجلس ما ترجع اليهم الا بجميع طلباتهم ، ثم ادى الرسالة ودفع الكتاب .

وعندما عزم الوفد الاندلسي على الانصراف الى العدوة أثقل ملك المغرب كاهلهم بالاحسان وردهم بجميع ما طلبوا ، هنا قال فيلسوف التاريخ عبد الرحمن ابن خلدون : قال شيخنا القاضي ابو القاسم الشريف وكان معه فى ذلك الوفد ـ لم نسمع بسفير قضى سفارته قبل ان يسلم على السلطان الا ابن الخطيب .

ومن وراء هذه المنقبة الغالية ، والمأثرة الخالدة وكل ما يمت اليهما بسبب شريف يسمو بمعنوية الرجال ومواهبهم فى الاقدار والقيم ـ نرى معاصرين ينفسون عليه هذه المكارم بل يغالطون فى اعتقاد انه غير اهل لها او رغم اهليته لا يستطيعون رؤية الرجل ينعم فى محيط الشفوف والكرامة ، ويعلو فى سماء الدولة قمرا مشرق الجوانب تشع انواره على ضفاف البحرين .

ذلك الحاجز الشنيع والمحرك القوي ما دفع بالحساد ومرضى النفوس لاثارتها حربا شعواء فنسبوه الى سلوك مذهب الفلاسفة وءارائهم التي قد تخرج احيانا عن جادة الشريعة فتنزل باصحابها الى الهاوية مغتنمين فرصة هذا الظرف الضيق المشعر بالطيش والالحاد والزندقة ، ومتعلقين بحشايا كلم وجدت فى كتبه ، ورغم وقوفه موقف المدافع عن مبدئه وكرامته ووضوح براءته فى النهاية ـ اخذ وزج به فى قعر احد سجون فاس وكان داخل هذا الامتحان يتوقع مصيبة الموت فتجيش هواتفه بشعر يبكي نفسه ومما قال فى ذلك :

بعدنا وان جاورتنا البيوت
وجئنا بوعظ ونحن صموت
وانفاسنا سكنت دفعة
كجهر الصلاة تلاه القنوت
وكنا عظاما فصرنا عظاما
وكنا نقوت فها نحن قوت
وكنا شموس سماء العلا
غربنا فناحت علينا السموت
فكم جدلت ذا الحسام الظبى
وذو البخت كم خذلته البخوت
وكم سيق للقبر فى خرقة
فتى ملئت من كساه التخوت
فقل للعدا ذهب ابن الخطيب
وفات ومن ذا الذي لا يفوت

ومـن كان يفـرح منهـم لـه
قد يفرح اليوم من لا يموت

ذلك بعدما اشتوروا في قتله بمقتضى تلك المقالات المسجلة عليه « واراها مدسوسة » فافتى بعض الفقهاء فيه — ودس سليمان بن داود لبعض الاوغاد من حاشيته بقتله ، فطرقوا السجن ليلا ومعهم زعانفة جاوء في لفيف الخدم من سفراء السلطان ابن الاحمر وقتلوه خنقا في محبسه واخرج شلوه من الغد فدفن بمقبرة باب المحروق من فاس ، ثم اصبح من الغد على شافة قبره طريحا ، وقد جمعت له اعواد واضرمت عليه نارا ، فاحترق شعره ، واسودت بشرته ، فاعيد الى حفرته ، وكان في ذلك انتهاء محنته ، وعجب الناس من هذه الشنعاء التي جاء بها سليمان ، فكانت من هناته ومساوئه ، وعظم النكير فيها عليه وعلى قومه واهل دولته .

وكل هذه الماجريات النكراء توقعها المترجم شأن المفكرين ان يروا بعين الحقيقة والمستقبل مصيرهم في الحياة من وراء سجف الغيب حتى قال شاعرهم :

يمثل ذو اللب في عقلـه
مصائب من قبل ان تنزلا
وان هي قد نزلت لم ترعـ
ـه لما كان من قبل قد مثلا

وبهذه الفعلة الشنعاء حمل لقب ذي الميتتين ، كما كان يحمل لقب ذي العمرين لتدبير المملكة في نهاره واشتغاله بالتصنيف في ليله .

وان دل على شيء فانما يدل بوضوح على ان الرجل كانت له يد في الفلسفة وعلومها ، وذلك ما كان سندا يساعده على تسيير وظيفه الخطير في المملكة ورغم اشتغاله بالسياسة لم يكن ذلك يحجبه عن القيام برسالته الثقافية العامة فيكتب ويؤلف ، ويخدم المعرفة خدمته نفسه او اكثر ، اذ كان ليله نهارا لا ريب فيه يستجمع فيه فكره ، ويندفع لاستيحاء يراعيه السيال ، فيكتب من ابواب العلم وفصول الثقافة ما حفظه التاريخ ، وخلده الدهر بمداد الفخار والاكبار ، من ذلك كتابه « الاحاطة في اخبار غرناطة » في المخطوطات النادرة التي تتشوف اليها معلمة المغرب المبعثرة هنا وهناك وقد اختصره ابو جعفر البقني في ستة اجزاء ، ومن هذا الاختصار طبع جزء الاحاطة « وقد ذكره صاحب الذيل » وكانت هذه النسخة تامة بخزانة احمد الذهبي ، ثم في خزانة ولده زيدان كتب عليها «ملك عبد الله زيدان وغير عليها بالتبر » والخزانة هذه القت بها الاقدار الى الديار الاسبانية فان القنصل الفرنسي — كاستيلا — غدر وهربها الى فرنسا ، بيد انها في اثناء الطريق جرت عليها قرصان الاسبان واخذوها الى « الاسكوريال » كما نبه على ذلك المؤرخ دوكاستر في كتابه اصول التاريخ .

اما المترجم فقد اداه بحثه للعثور بفاس على تاريخ لغرناطة في ستة مجلدات كتبه المؤرخ محمد ابن محمد بن جزي رئيس قلم الكتاب بديوان «ابي عنان» يسمى « السر المذاع في تفضيل غرناطة على سائر البقاع » قال ابن الخطيب وقد اطلعت على اجزاء منه كما في الاحاطة ص 187 نبه على ذلك خير الدين الزركلي في قاموس الاعلام لدى ترجمة ابن جزي ، ولا بدع ان يكون الكتاب في مقدمة المصادر التي اعتمدها المترجم في كتابه الاحاطة ، واستاق منه ما كان حلية لكتابه .

ومن آثار ابن الخطيب الخالدة كتابه « معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار » كتيب قيم برهن فيه عن علم واسع اكتسبه من جولاته الاستطلاعية وتعمقه الدقيق في معرفة احوال وعادات المدن والقرى التي زارها ، وقد افرغ ذلك في قالبه الادبي الشيق الذي قد لا يعرى في مجموعه عن الاصابة وان كنا نرى في بعضه مبالغات تخرج به احيانا عن الحقيقة التي يتوخاها المؤرخ الامين وتسعى لتخليدها كصحيفة بيضاء نقية تراها الاجيال القابلة حقيقة ناصعة تطمئن اليها النفس وترفع كل هوس يمكن ان يعلق باذهان الذين خلقوا للعيش في المغامرات والاعراض .

ومنها « مفاضلة بين مالقة وسلا » كتاب طاشت بين سطوره وفصوله سلا الشقيقة اذ كان منه ذلك كملحق لما سجله في المعاهد ، والذي يبدو من وراء هذا الاندفاع — ان الرجل كانت له مع بعض علماء سلا وعدولها حزازات ومنافرات نشأت داخل مدة السنتين اللتين قطعهما بهذه المدينة العتيقة شيء حفزه لوضع كتاب « الحديقة في ذم الوثيقة » الذي كان الهدف الاول منه ابن القباب ، كما تحدث عن ذلك المقري في الجزء الثالث من النفح ، وقد تصدى المؤرخ المرحوم محمد بن علي السلاوي لوضع مفاضلة بين المدينتين كمعارضة

لمفاضلة ابن الخطيب انما امثال هذه البحوث العلمية لا تكاد تخلو من قيمة تاريخية واجتماعية لا سيما اذا حذت بحوثها حذو الحقيقة النزيهة وخلت ابوابها من مس البرآء والنبل من كرامتهم .

على اننا من الناحية العمرانية نؤمن ان فى كل مدينة او قرية ما تاخذ وما تذر سواء فى العادات والاخلاق والمبادىء سنة الله فى خلقه .

فاذا فكر الانسان فى هذه الحقيقة وخبر البلاد ، ودرس نفسيات السكان ، والم بها من شتى النواحي – هان عليه كل ما يحاول أن يداخل فكره ويخالج نفسه من وساوس يمكنها التاثير على نظراته نحو اخوانه وابنا ءجنسه فى مختلف الجهات والاطراف ، لذا خير له ان ينظر الى الاشياء بعين ملؤها الحقيقة بعيدا عن تصديق العوارض والتاثر بالمحيطات الهادفة ليستطيع النجاة من الوقوع فى اشواك قد لا تخطئه لسماعاتها السامة فيردى صريع القول واللسان .

وطبعي ان كتابي المترجم معيار الاختيار ، ومفاضلة مالقة وسلا – قد اثارا فى نفوس افراد وجماعات بل وسكان مدن عامة ضغائن واحقادا كامنة كانوا فى منجى من اثارتها مسلسلة فى اجيال واحقاب استمرت شرارتها تتطاير من حين لاخر فتكتوي بها صداقات واخوانيات « سامحك الله يا ابن الخطيب » فعلى الانسان ان لا يندفع مع كل ريح ، ويتاثر بصيحات كل صائح ، بل عليه ان يزن الاقوال بميزان الفكر ، ثم ياخذ او يذر ممعنا النظر فى الاسباب والمسببات لكي يقع على الابريز من خالص الاقوال ومفيدها غير مائل الى التقليد الذي يعمي ويصم

« فى كل امرك تقليد رضيت به
حتى مقالك ربي واحد احد »«1»

ولا يكاد يفتح بين يدي الانسان آفاق التفكير الصحيح للظفر بالحقيقة المتوخاة .

على اننا اليوم والحمد لله اصبحنا ندرك من وراء هذه الاساطير ساعين فى اجتثات جذورها من نفوس الاخوان ابتغاء محو خيالاتها من اذهان الجيل الناشىء حتى لا يعود يفكر فى شيء يتصادم والاخلاق الفاضلة والانسانية الحق ، بل ينشا مطبوعا على الصفاء والتسامح ، ضمن واجب الاخوة العربية الاسلامية .

وهذا كتابه « رقم الحلل فى نظم الدول » الذي هو عبارة عن نظم حلو سلس التعبير سهل التناول برهن فيه عن اطلاع واسع ودراسة دقيقة فى التاريخ العام ، وعرض ماجرياته عرضا تعلوه مسحة الربط والاستنتاج ، والغوص فى اعماق الحوادث ، واستكناه طوايا الملحمات والوقائع ، وما تخلفه مشاكلها من ويلات فى الانفس والبقاع .

مطلع النظم :

الحمد لله الذي لا ينكره
من سرحت فى الكائنات فكره

حتى قال فى ذكر الرسول الاعظم :

لما اقام الله رسم الحق
بالحاشر العاقب هادي الخلق
لاح الهدى وانقشع المحذور
وعم آفاق البلاد النور

ومنها فى دولة لمتونة :

واطلعت بمغرب لمتونة
دولتهم عزيزة ميمونة

بعد ان يذكر عظماء الملوك واكبر الخلفاء – يتبع ذلك بشرح لابياته يزيل عنها ما يمكن ان يعلق بها من غموض على ان لا غموض ، ونرى ابن الخطيب فى فى نظمه «2» هذا ينحو نحو رجز الاديب ابي طالب عبد الجبار من اهل جزيرة شقر كان يعرف بالمتنبي لاتساعه فى اجادة المنظوم والمنثور كذلك مع غزارة اطلاع فى العلوم والفنون وها فاتح ارجوزته :

يقول مهدي الورى المنتظر
ها فاسمعوا ما قلته واعتبروا
ابدا باسم الله بالترجيز
رب الانام الملك العزيز

وهو نظم جامع غريب احتوى بحوثا فى العلم والفكر والنظر فى الملكوت تخلص راقمه لذكر اوليات التاريخ فى ايجاز كمقدمة لبسط احوال الامم والدول الى عصره – القرن السادس – وابن الخطيب على هذا السنن سار ، ومن هذا المعين كرع – بل

---

1» البيت لابي العلاء المعري .

2» وقد شرح ابن الخطيب نظمه هذا شرحا مختصرا .

رأيناه سطا على بعض الاشطار بل والابيـات كاملـة فوضعها فى ثنايا رجزه كادخاله شطرا من ارجوزة ابي طالب فى عرض حياة الفاروق قال : « ثم اتته محنـة الشهادة كما ذلك نفسـه فى عرض حـياة عثمـان قـال :

« وكان للاله ذا مخافة » ويوجد من هذا النـوع رجز ابن الخطيب مـا تذهب النفس فيه كل مذهب ، بيد اننا لا ندري اذلك من باب حشر قرائح الافكـار وجهود المنتجيـن من الادباء ؟ ام هو من باب تـوارد الخواطـر ، ووقع الحافر على الحافز ، وهذا ما تميل النفس اليـه لما نلمسـه فى مقدرتـه من تمكن وتفتـح يربان باجادته عن السطو على انتاج الكتاب والشعراء ورغم كل ما يريد ان يتسرب الى الخيال ويهيم بالافكار فى انتقاص الجهـود .

فنظم الحلل يعد ذخيرة تاريخية اسداها المترجم للاجيـال بعده ، وغذاها ببيان المجمل ، وحل المشكل مما يمكن تعقده داخل ارتجازه .

فهو بدون شك كتاب جدير بالعناية خصوصـا من شبابنا المتنور الذي يفتح امامه آفاقـا واسعـة فى ميدان معرفة الاجيال الماضية ، والتعرف علـى احـوال الامم والدول بعبارات سلسلة واضحـة تبعث القارىء على الشوق وتنهض بهمم الشباب المتوثـب الى الاستطلاع على دقائـن الحوادث التي كم يتزوي بين سطورها من ماجريات هي اجـدى فى حقل العبر ، وافيـد للطالب فى الهداية والتثقيف ، فتعبد بيـن يديـه المسالك ، وتحل عقدا طالما اعترضت طريقـه كعقبات كأداء تصرفه عن تكميـل نفسـه ، ورفـع مستواه العلمي باشباع رغباته الفنية وتوسيع آفاقه العلميـة ، والوصول به فورا نحو مطامحه الغاليـة التي تمـد فى مقدمة اللبنات الاساسية لبنـاء صرح مستقبل المغرب الحر ، فبتكريس الجهود والاعتنـاء بامثال هذه الارجوزات العامرة يجد الشباب المتعطش مسلكا للتشجيـع يساعده على اقتناء النافع فى اطـار حلو جذاب تستسيغه النفس ، ويهواه الولوع وتتفتح لـه القريحـة .

ومن مؤلفاته الغريبة كتابه «نفاضة الجـراب فى علالة الاغتراب » فى اربعة اسفار ضمت روايـة واسعـة ، وتراجم كثيـر من كبار من اجاز لـه ، فكان الكتاب من هذه الناحية كالفهرست ، قد اخـذ بعضه بالتصوير الفتوغرافي عن اصل اندلسي يوجـد فى مكتبه ـ الاسكوريال باسبانيـا ، وقد نقل عنه ابـن غازي كثيـرا من تراجم المكناسيين فى كتابـه «الروض الهتون» فقد تحدث الفهرست عن عـدة رجال من ذوي المعرفـة والجـاه وبث فى نفـس الوقت روحا ادبيا فى كل الجهـات المغربيـة التـي زارها ، حيث لا تجده يتورع عن مدح قائد او شيـخ او ذي اريحيـة ، ولو لم يكن فى عير الادب ولا نفيـره فكان لرحلته اثر طيب فى نفوس المغاربـة حتى ولـو الذين لم يتذوقوا الادب والفـن .

وفى هذه الزيـارة وقف باغمات على قبـر المعتمد ابي القاسم محمد بن عبادامير حمص«اشبيلية» وقرطبة والجزيرة وما الى ذلك الصقع الغربـي ، والى جانبه قبر الحـرة ـ حظيته وسكن نفسه « اعتمـاد » اشراكـا لاسمها فى حروف لقبه المنسوبة الى رميـك مولاهـــا .

قال : فترحمنـا عليـه وانشدتـه :

قد زرت قبرك عن طوع باغمـات
رايت ذلك من اولـى المهمـات
وانت من لو تخطى الدهر مصرعـه
الى حياتي اجـادت فيـه ابيـات
ازاء قبـرك فى هضـب يميـزه
فتنتحيـه خفيـات التحيـات
كرمت حيا وميتـا واشتهرت عـلا
فانت سلطان احيـاء وامـوات
ماريء مثلك فى مـاض ومعتقـدي
ان لا يرى الدهـر فى حـال ولا آت

وهكذا نراه عرج فى رحلته الادبية على اضرحـة رجـال من امثال ابن عبـاد الملك الشاعر الذي خبـأ له الدهر الخئون تلك المأساة المؤلمة ـ وعلى الولـي الصالح ابي عبد الله الهزميري ـ ثم عند عودته الى سلا انشـا يقـول :

كـأن بتامسنـا نجـوس خلالهـا
وممدودها فى سيرنـا ليـس يقصر
مراكب فى البحـر المحيـط تخبطت
فلا جهـة تدري ولا البر يبصـر

وذو الوزارتيـن كان فى جملة طائفة من عليـة وجوه الدولة المرينية وعلمائها الذين شيعوا جنـازة شمس الضحى من فاس الى شالة فى حفل حفيـل ، منهم ابن خلدون ، وابن مرزوق ، وابـن بطوطـة ، والشريف الموصلي الذي قال ابن بطوطـة فى رحلتـه عند ذكر القضيـة وقد تلاقيت مع ابيـه بالموصـل .

وقد سجلت اسماء هؤلاء الاعلام برخامة قبرهـا بشالـة .

والنقاضـة المتحدث عنها تكاد تكون لندرتهـا من مفقودي الموسوعـة المغربيـة وانما توجد منهـا نتف في بعض الخزائـن ويوجد بخزانـة الكاتب نحـو الكراس ونصف من الجزء الثاني احتوى فصـولا تحدث فيهـا عن جبل « هنتاتة » ومدينة اغمـات وريكـة » ثم ذكـر العودة الى مدينة سلا ، والكـل بقلمه الرفيـع وانشائه البديـع المرصع بقصائـده ومقطعاتـه الرائـعة المتمكنـة .

والنقاضـة كذلك تعد في مقدمة المصادر الاولـى للمقري في كتابه «النفح» وهي لو ساقها القدر ، وساعد البحث الدقيق على وجودها لكانت زينة المعلمـة المغربية ، وحلية ثمينة بين مجلداتها تاريخيـا وادبيـا واجتماعيـا وقد اشار في النقاضة الى انه قد تلمـذ على عدة شيـوخ منهم ابـو العباس احمد بن عاشر ، وكان حريصـا على لقائه بسلا ايـام كان بها وقـد لقيـه ، ولم يتمل منه لشدة نفوره من الناس خصوصا اصحاب الرياسـة ولذا قال : يسر الله لقاءه علـى تعسـره .

ومن آثار ابن الخطيب الادبية كتابه « السحـر والشعـر » الذي وضعه لابنه عبد الله ـ فكان كتابـا حافلا بمنتخبات الادب وعيونه حيث نجده ينشر بين يدي ابنـه حتى الاشعـار المجونية التي قـد تخـرج في ادبهـا المكشوف عن الجادة في نظر الواقفين فيه على الحدود الضيقـة التي لا تذرهم يتفتحون ويمرحون في مسارحه الفسيحـة الباعثة علـى الشـم دون الفرك ، والضم دون الترك ، مع الايمـان ان واجـب الادب وشرعتـه لا يمانعان من خوض غمار الادب بكل ما يحمل من مغزى ، ويهدف اليه من انطلاق وانبساط في شتـى المناحي والوان المتع اذ علـى ضوء هـذا التفتح الطليق ، ـ تتكون الرجولة الكاملة في النشء النابت ، وتسري روح الشجاعة الادبية في شراييـنه الغضـة ، ونبته الرطب ، فينشأ شابا يقظا له شعـوره الحساس في كل ما يأخذ ويذر في حقل الحيـاة .

ولا عجب في هذا ان هي سوى عادة من عـادات رجال العلم والادب مع ابنائهم وفلذات كبدهم يفتحون امامهم آفاقا بعيدة يشرفون من سمائها على الحياة بكل ما تحمله كلمتها من مدلول علوا وانحدارا حرصـا منهم على توسيـع مدارك الابناء بمعرفة كل ما مـن شانه ان يعرف من غث وسمين كان ذلك بالنسبة للاول من باب ما لمح اليه ابو فراس الحمداني بقوله :

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيـه
ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

ومما يبعث على الغرابة ان يوثر عن ابن الخطيب بعد الثناء العاطر على غرناطة وتخصيصها بالتآليـف ذات المجلدات نراه يعود عليها بالكرة ، فيرشقها بسهام النيل والذم في قصيدة تحمل 28 بيتا حسبما تلقاه الكاتب عن بعض المؤرخيـن المعاصرين رحمة الله عليه والى حد التاريخ لا يزال الجراري يتابع البحث عساه يعثر على هذه الابيـات ليتبين كنهها ، ويمكنه في نفس الظرف ان يتلمس من بين اسلوبها هذه النسبة التـي قد لا تصدقها نفسه وتبررها وطنيتـه ويسمـح بانسجامها ورقم اشطارها اخلاصه للبلاد التي غـذاه هواؤها ، واظلته سماؤها ، وفي ذات اللحظة تنقشـع تلك السحب لا محالة ويستقـر الـرأي هادئـا ازاء ثبات مترجمنـا ابن الخطيب على المبدأ .

ورغبتي الاكيدة من اخواني الادباء والمؤرخيـن ان يتفضلوا علي بهذه القصيـدة اذا ما قدر لهـم العثـور عليهـا .

على ان الانسـان قد يسود الجو احيانا بيـن عينيـه ويضيـق به المحيط والتراب لاسباب قـد لايخلو ابناء الانسان من عروضهـا فينساب بدافـع تلك النوبـة على غير هدى للنيل من البلاد ومسقـط الراس ثم لا يلبث يعـود اليـه رشده .

ولا عجب ان يكون المترجم من رجالات هـذا النـوع .

والكتب عن ابن الخطيب لا تفي به هذه المجالة .

**الرباط ـ عبد الله الجـراري**

# اوقاف بـدون كرسي *

# على مواضع معينة بجامعي القرويين والأندلس

للأستاذ محمد المنوني

- 3 -

كما كان لكراسي التدريس اوقاف خاصة ، كذلك انشئت اوقاف ـ بدون كرسي ـ لمواضع معينة فى كل من جامعي القرويين والاندلس ، وهذا تقليد وجد بمصر والشام ايضا ، فقد كان بالجامع الاموي بدمشق حسب رحلة ابن جبير : سارية ـ وهي الواقعة بين المقصورتين القديمة والحديثة ـ لها وقف معلوم ياخذه المستند اليها للمذاكرة والتدريس ، ويذكر المقريزي فى الخطط : ثمانية من زوايا جامع عمرو بالقاهرة التي كانت تقام بها حلقات تعليمية ، ويشير الى الاوقاف التي وقفت على كل من هذه الزوايا «1» .

والمعروف فى هذا الصدد ـ فى اطار جامعة القرويين ـ هو ثمانية مواضع : سبعة بجامع القرويين، وواحد بجامع الاندلس : ستة منها لتجويد القرآن الكريم ـ عمليا ـ باللسان ، واثنان لتدريس الرسالة القيروانية ، وهذا تفصيلها : :

**فى جامع القرويين :**

1» **سارية لتجويد القرآن الكريم** : لم يعين موقعها بالقرويين ، وقد ذكر استاذها مؤلف « فهرسة تنوير الزمان » « 2» وسماه : « سيد يعيش » ، بدون ان يذكر اسم والده او نسبه ، مع التنصيص على انه توفي حدود عام 980 هـ 1572 ـ 1573م وحسب نفس المصدر فقد كان يجود للطلبة بهذه السارية .

2» **سارية اخرى لتجويد القرآن الكريم** : وهي الواقعة بمنة عنزة هذا الجامع ، وحسب الوثيقة الاتية فان الذي انشأ وقف هذه السارية هو الشيخ الجليل ابو العباس احمد بن محمد الشاوي المتوفى فى المحرم عام 1014هـ 1605م «3» ، وصاحب المشهد بالسياج من فاس القرويين ، وقد عين المحبس لهذا الوقف الاستاذ ابا العباس احمد بن علي بن شعيب الفاسي المتوفىعام1015هـ ـ 1606ـ1607م«4» ثم من ياتي بعده ، وفى « النهج المتدارك » «5» تحدث عن هذا الاستاذ وذكر الوقفية هكذا :

« .. يحكي عنه ـ رحمه الله ـ انه كان متصدرا للاخذ بجامع القرويين من فاس ، وكان يجود مع الطلبة بلسانه، ويلازمه الشيخ الصالح سيدي احمد الشاوي دفين السياج من فاس ، واوقف عليه ومن يقفوه ارضا بلمطة يقال لها : « الضويات » وفى آخر عمره تاخر عن القرويين لكبر سنه ، فيجود مع الطلبة بداره فى « الكدان » او بمسجد قربها كان

---

*» ارجع الى مجلة « دعوة الحق » السنة التاسعة العدد الرابع ، ص 91ـ97 . من العدد الخامس ص 91ـ97 .

1» انظر «تاريخ التربية الاسلامية» للدكتور احمدشلبي ، ص 91ـ365 .

2» اسمها الكامل : « فهرسة تنوير الزمان ، بقدوممولاي زيدان » تاليف قاسم بن محمد بن محمد ابن ابي العافية الشهير بابن القاضي ، تقع ضمن مجموع بالمكتبة الملكية بالرباط رقم 255

3» ترجمته ومراجعها فى « سلوة الانفاس » ج1 ص274ـ279 .

4» له ترجمة وجيزة فى «شرح المثاني » ج 1 ص99 .

5» اسمه الكامل « النهج المتدارك فى شرح دالية ابن المبارك » تاليف ابي العلاء المنجره ، خ ع 994ك

امامه ، ويوم الجمعة يحمله الطلبة بين ايديهم الى جامع الاندلس ، ويجلس فيها بباب الحفا ، ويقرأ مع الطلبة بلسانه ، ويسمع صوته ـ تبيينا للحروف والحركات وافرازا للكلمات ـ من قنطرة بين المدن «6» ، رحم الله الجميع ..» .

هذا ومن حسن الحظ ان تحتفظ « الحوالة السليمانية » «7» لاحباس القرويين بنسخة الوقف المشار له ، وفيها الاحالة على وثيقة اخرى ، ونص المعنية بالامر :

الحمد لله : حبس المرابط اعلاه : الاجل ، السيد الاكمل ، البركة ، ابو العباس احمد بن المرحوم ابي عبد الله محمد الشاوي: جميع الستة فدادين،وهي: عين العرب . وفدان ابن فيلو الصغير . وفدان الفدائر . وفدان ركبة العلك . وفدان الغرس . وفدان الكوشة . المحتوى «كذا» على حراثة اربعة ازواج، المذكورة والمحدودة اعلى المنتسخ منه، بمنافعها ومرافقها وكافة حقوقها كلها : على الفقيه الاجل ، النحوي ، اللغوي ، الاستاذ ، المجود ، المشارك السيد ابي العباس احمد بن السيد المرحوم ابي الحسن علي شعيب به عرف ، ينتفع بها ، على ان يجود للطلبة بالسارية التي عن يمين العنزة بجامع القرويين ، شرفها « كذا » الله بدوام الذكر فيه من زوال الشمس الى البريح على الدوام والاستمرار، عدا يوم الخميس ويوم الجمعة ، حبسا مؤبدا ، ووقفا مخلدا ، الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ، ومن بدل او غير فالله حسيبه وسائله ، ومتولي الانتقام منه ، فان مات يرجع للاستاذ مثله على الصفة المذكورة الى انقراض الدنيا ، قاصدا بذلك وجه الله العظيم والدار الاخرة ، والله لا يضيع اجر من احسن عملا ، وبسط يده على حوزه ، وتوجه صحبة شهيديه الى الفدادين المذكورة وحازها حوزا تاما كما يجب معاينة ، وعرفا قدره ، شهد به عليهما بحال كمال الاشهاد ، وعرفهما ، في اواخر صفر عشرة والف ..»

3» في عنزة القرويين : كان يجود فيها للطلبة ـ من طلوع الشمس الى صحوة النهار ـ :

ا ـ ابو العلاء ادريس بن محمد بن احمد المنجرة الحسني الادريسي التلمساني ثم الفاسي المتوفى يوم الثلاثاء 22 محرم عام 1137هـ 1724 م«8»

ب ـ ابنه ابو زيد عبد الرحمن سابق الذكر في القسم الثاني «9» .

4» **في صدر جامع القرويين :** وهو مجلس لم يحدد مكانه بالضبط ، واستاذه هو ابو محمد عبد الله بن محمد المدعو ابن يخلف الانصاري الاندلسي ثم الفاسي المتوفى في 27 قعدة عام 1162 هـ 1749 م ، قال في ترجمته من « نشر المثاني » المخطوط «10» : وكان محل جلوسه لتجويد الطلبة عليه بصدر مسجد القرويين .

5» **في ظهر الصومعة :** وبها كان يجود ـ عند الاذان الثاني للظهر ـ ابو العلاء ادريس بن عبد الله ابن عبد القادر الحسني الادريسي الودغيري الملقب بالبدراوي المتوفى ليلة الاربعاء 16 محرم عام 1257هـ 1841 «11» .

6» **سارية لتدريس الرسالة القيروانية :** لم يعين موقعها بهذا الجامع ، وقد تعاقب عليها :

---

6» هكذا .

7» خ.ع. رقم 23 ص 247 « فيلم » .

8» «سلوة الانفاس » حيث توجد ترجمة المذكورج2 ص 272-273 .

9» نفس المصدر ج 2 ص 272 .

10» نسخة المكتبة الاحمدية ، ورقة 317 ب .

11» سلوة الانفاس ج1ص 327، اما ترجمته فتوجدبنفس المصدر ج2 ص 343-34 ، هذا ويلاحظ ان المصادر التي رجعت لها في هذا الصدد لم تعين مجلس استاذ كبير في هذه الفترة بجامع القرويين ، وهو محمد بن عبد السلام القاسي الفهري المتوفى يوم الاربعاء 12 رجب عام 1214 هـ وهو بدون شك اغفال من المصادر المشار لها على انه من المتوقع ان يكون هذا مذكورا في بعض المصادر التي لم استطع الوقوف عليها .

أ ـ محمد بن قاسم بن علي بن عبد الرحمن ابن ابي العافية المكناسي الشهير بابن القاضي المتوفى عام 961 هـ 1553 ـ 1554 م «12»

ب ـ ولده ابو عبد الله محمد المتوفى عام 965هـ 1557ـ1558م «13» .

### 7) موضع آخر لتدريس الرسالة القيروانية :

وكان ـ حسب النشر المخطوط «14» ـ بالمستودع الذي عن يسار الداخل للقرويين من باب الكتبيين ، والظاهر انه يقصد البقعة المرتفعة يسارا لصف هذا الباب ، ويبعد ان يريد المستودع الواقع خلف الصومعة ، ولو قصد هذا لكان المنطق ان يقول يسار الداخل من باب الموثقين ، او يمنة الداخل من باب الحفاة ، وقد تولى التدريس بهذا الموضع جماعة وهم :

أ ـ محمد بن حمدون الشديد الاندلسي ثم الفاسي المتوفى في ربيع الثاني 1110 هـ 1698 ـ 1699 م «15» .

ب ـ ولده احمد المتوفى في العشرة السابعة من المائة 12 «16» .

ج ـ حفيده حمدون الذي لم يحدد تاريخ وفاته «17» .

د ـ عبد الكريم بن علي الزهني اليازغي المتوفى في 27 قعدة عام 1199 هـ 1785 م ، نفذه له السلطان محمد الثالث لما اهمل سابقه التدريس بهذا الموضع «18» .

## في جامع الاندلس :

### 8) سارية الاستاذ سيدي محمد الصغير :

هكذا سميت في « الحوالة السليمانية » «19» دون ان يحدد موقعها ، وظاهر انه يعني باستاذها : ابو عبد الله محمد بن الحسين بن محمد بن حمامة الاوربي النيجي ثم الفاسي الشهير بالصغير ، والمتوفى ليلة الجمعة 6 شعبان عام 887هـ 1482 م «20» ، وقد جاء في ترجمة هذا الاستاذ انه ختم عليه القرآن بالقراءات السبع 300 طالب «21» ، ولا شك ان هؤلاء او بعضهم على الاقل قراوا عليه بهذه السارية .

**الرباط ـ محمد المنوني**

---

12 فهرسة تنوير الزمان التي حددت تاريخ وفاته وله ترجمة في سلوة الانفاس ج 3 ص 280ـ281.

«13» فهرسة تنوير الزمان .

«14» النسخة السالفة الذكر ورقة 242 ا

«15» النشر المخطوط : نفس النسخة والورقة .

«16» نفس المصدر ورقة 342 ا

«17» نفس المصدر ورقة 342ب

«18» نفس المصدر والورقة ، اما ترجمة هذا الاستاذ فهي في سلوة الانفاس 2ص 115 .

«19» الفيلم السابق الذكر ص 269 .

«20» ترجمته في « سلوة الانفاس » ج 2 ص 65 ـ 67 .

«21» هذا في « فهرسة المنجور » ونقله عنها في «سلوة الانفاس » ج 2 ص 65 .

# الأدب النسوي في الأندلس

للأستاذ: محمد المنتصر الريسوني

- 6 -

**عصر الامارة :**

عصر الامارة والاستقرار السياسي على الخصوص يبدا فى عهد الامير عبد الرحمن الداخل ثم ابنه هشام وحفيده الحكم ، هذه الفترة هي عبارة عن تشييد وبناء وتعبيد الطرق لارساء الحكم الاموي واصلاح ما عفن من الاوضاع . فقد وجد عبد الرحمن عند دخوله الاندلس الاجواء تعج بالفتن والفوضى ، بربر ساخطون على العرب لاستبدادهم بالامر ، قبائل عربية تتطاحن ، مسيحيون بمناطق شمالية من شبه الجزيرة يتربصون الدوائر ، فرنج فيما وراء البرانس ينتظرون الفرصة للهجوم ، ومن اجل ذلك كله عمل عبد الرحمن على نشر الوية السلم والامن فى البلاد وعني بالمشاكل المعقدة التي نشأت عن العصبيات والضغائن واختلاف الاديان، واستطاع ان يخضد شوكة الارستقراطية العربية بما شن من حملات وما ارسل من جيوش لضبط الامر .

وقد ترسم هشام خطى ابيه كما ترسم الحكم الربضي سياسة الاب والجد فقضى على ثورة الربض(1) التي اوقد نارها قطان الضاحية القرطبية التي تسمى بذلك الاسم وثابر مثابرة القوي الحازم على تثبيت النظام وتدعيم الحكم الاموي

والمجتمع الاندلسي فى هذا العهد اصبح يعيش فى وحدة وحضارة نسبية من انشاء وتعمير ، اذ انشأ عبد الرحمن مسجد قرطبة الجامع والرصافة التي كانت مقر الامارة كما انشىء فى عهد بنيه كثير من المساجد فى اماكن اندلسية مختلفةوغير ذلكمن الدلائل الحضارية والمظاهر التقدمية .

وان اهم ما يسترعي النظر فى مظاهر المجتمع الاندلسي بروز الشخصية النسوية فى الميدان الفني، وذلك عندما استقدم عبد الرحمن الداخل فنانات شرقيات (2) وخصص لهن دارا بالقصر عرفت بدار المدنيات لان اكثرهن من المدينة التي اشتهرت اوانئذ بالفن الموسيقي والغنائي (3) .

اما مميزات الشعر فى هذا العصر فقد تحدثنا عنها فيما سلف عند كلامنا عن نشأة الشعر الاندلسي وقلنا : (فالشعر الاندلسي سار فترئذ فى التيار المحافظ المتمثل فى الاحتفال بالموضوعات التقليدية من مدح وهجاء ، وفخر كما سار على منهج الاقدمين فى بناء الهيكل القصيدي .

وبعد ذلك نجد الشعر الاندلسي يتسم بسمات خاصة كالتجديد الموضوعي الذي يتجلى فى طرق موضوعات جديدة او معالجة مضامين لم تكن تعالج من قبل ، ثم التجويد الفني والتركيز العاطفي ، وذلك فى عهد تاسيس الامارة ) (4) .

---

1) راجع ثورة الربض فى : البيان المغرب لابن عذارى ج 2 ص 113 وما بعدها ونفح الطيب للمقري ج 1 ص 159 : والمعجب لعبد الواحد المراكشي ص 19 وما بعدها .

2) من بين هؤلاء الفنانات المدنيات فضل وعلم والعجفاء .

3) مر حديثنا عن ذلك عند تعرضنا للكلام عن نشأة الشعر الاندلسي .

4) راجع القسم الرابع من البحث فى العدد الثاني السنة التاسعة من مجلة دعوة الحق ص 105 .

**حسانــة التميميــة :**

ابوها ابو الحسين شاعر عاش في القرن الثانـي الهجري من اهل البيرة (5) ، درست عليه كثيرا مـن فنون العلم والثقافة ، نشأت نشأة الطهر والعفاف ، لم يؤثر عنها مايخدش كرامتها وقداستها ، الشيء الـذي جعلها تستنكف عن الرذائل والتوافه ، وتدافع عن حقها اذا ما لحقها ظلم الظالمين ؛ توفي ابوها فتركها في رعاية الاقدار لا تجد من تلتجيء به الا الامير الحكم بن هشام الذي بعثت اليه قطعة شعرية تستعطفه وتنبئـه بان والدها قد استأثرت به رحمة الله بعد ان كانت ترتع في نعماه ، وتميس زهوا تحت ظـلال رعايته وحمايتـه ، واليوم لا ناصر لها في الحياة الا هو :

انـي اليك ابـا العاصـي موجعـة (6)
ابـا الحسيـن سقتـه الواكف الديـم

قـد كنت ارتـع في نعمـاه عـاكفـة
فاليـوم آوي الـى نعمـاك يـا حكـم

انت الامـام الذي انقـاد الانـام لـه
وملكتـه مقـاليـد النهـى الامـم

لا شيء اخشـى اذا ما كنت لـي كنفـا
آوي اليـه ولا يعـرولـي العـدم

لا زلت بالعـزة القعسـاء (7) مرتديـا
حتـى تذل اليـك العـرب والعجـم

وما كان من الامير بعد ان استحسن شعرها الا ان امر لها باجراء راتب وكتب الى عامله بالبيرة فجهزهـا بجهـاز حسن .

وتمر ايام وينتقل الامير الى جوار ربه فينكث عامل البيرة جابر بن لبيد العهد ولم يحرر املاكها ولم ينفـذ ما خطته انامل الحكم ، وعلى اثر ذلك اتجهت الشاعـرة الى القصر حيث الامير الجديد عبد الرحمـن الاوسط وانشدته من شعرها ما يهز القلوب ويليـن الصخور :

الى ذي الندى والمجـد سارت ركائبـي
على شحط (8) تصلى بنـار الهواجـر

ليجبـر صـدعـي انـه خيـر جابـر
ويمنعنـي مـن ذي الظلامـة جابـر

فانـي وايتـامـي بقبضـة كفـه
كـذي ريش اضحـى في مخالب كاسـر

جديـر لمثلـي ان يقـال (9) مـروءة
لمـوت ابـي العاصي الذي كان ناصـري

سقاه الحيا لـو كـان حيا لمـا اعتـدى
علي زمـان باطـش بطـش قـادر

ايمحـو الذي خطتـه يمنـاه جابـر
لقـد سـام بالامـلاك احدى الكبائـر

وعندما انتهت من انشادها سلمت لعبد الرحمن خط والده وافضت اليه بعجرها وبجرها ثم اخذ الامير خط ابيه فقبله ووضعه على عينيه ثم استشاط غضبـا وقال : انصرف يا حسانة ، فقد عزلته لك ، وحسبنا ان تسلك مسلك ابي واحفظ عهده وقع لها بمثل توقيـع ابيه وامر لها بجائزة ، فذهبت الى حال سبيلها .

وبعد هذا ارسلت له قصيدة مدح تعبر خير تعبير عن شفافية عاطفتها نحو الممدوح الذي اسدى اليهـا المعروف فحماها من الجور ، تقول في ابيات منهـا :

ابـن الهشاميـن خيـر الناس مأثـرة
وخيـر منتجـع يـومـا لـلـرواد

ان هـز يوم الوغى اثنـاء صعدتـه (10)
روى انابيبها مـن صرف فرصـاد (11)

---

5) البيرة الالف فيه الف قطع وليس بالف وصل فهو بوزن اخريطة وان شئت بوزن كبريتة وهي كورة كبيرة من الاندلس ، ومدينة متصلة باراضي كورة قبـرة بين القبلة والشرق من قرطبة ، بينها وبين قرطبـة تسعون ميلا ، راجع ذلك بتفصيل في معجم البلدان ج 1 ص 322 .
6) موجعـة : ناعيـة .
7) القعسـاء : الثابتـة
8) الشحـط : البعـد
9) يقـال : من اقـال عثرتـه
10) الصعـدة : القنـاة المستويـة .
11) الفرصـاد : صبغ احمر ومعناه الدم .

قل للامــام : ابـا خيــر الورى نسبــا
مقابــلا بيــن آبـــاء واجــــداد

جودت طبعـي ولم ترض الظلامــة لـي
فهــاك فضــل ثنـاء رائــح غــاد

فـان اقمــت ففـي نعمــاك عـاطفــة
وان رحلــت فقـــد زودتنـــي زاد

تلك هي حسانـــة اولى الشاعـرات الاندلسيات ـ على ما نعرف ـ شعرها كما راينا سابقــا خليط من الرثاء والشكـوى الحارة الملتهبة ، والمـدح المعبـر والاستصراخ القوي ، وهو على قدر لايستهان بـه من النضج الفني والاصالة الشعرية المرتكزة على الثقافـة المتينة ، وهو ايضا يتسم بمميزات تحدثنا عنها آنفـا، فالتركيز العاطفي والتجويد الفني كلاهما يلفان شعرها ويتخلل كلماتها اذ برجوعنا الى ابياتها المتقدمة التـي اولهـا .

انـي اليـك ابـا العاصـي موجعـة
ابـا الحسيــن سقتـه الواكف الديــم

نجدها تفيض بذوبان العاطفة الصادقة المعبـرة ، ونجد كلماتها موحية منبثة عن الحرارة الشعورية فلفظة ( موجعة ) في الشطر الاول من البيت مشددة الجيـم توحي تئن نفسها منه ، وتشي بما تنطوي حناياها عليه.

ولنتدبر بعد هذا بيتا واحدا نلتقط مـن ابياتهــا التي انشدتها بين يدي عبد الرحمن الاوسط والتـي يترقرق فيها التجويـد الفنـي :

فانـي وايتامــي بقبضـة كفـه
كذي ريش اضحى (12) في مخالب كاسـر

تامل البيت فهو عبارة عن لوحة زيتية فنية تمثـل الايتام الضعاف بقبضة كف ظالمة باطشة كذي ريش لين اصبح تحت رحمة مخالب كاسر مفترس .

تامل البيت ، تجده صورة ناطقة للتفجع والحزن والمرارة اطلقته لهاة مكلومة يعبر عن الواقـع الصارخ الصغار الذين ليس لهم من يحميهم من صولة الدهـر وعدوان المعتدين غير هذه المراة التي ترعاهم وتمنحهـم من عطفها الشيء الكثير .. ولكن ، ماذا ستفعل المـراة وهي نفسها في امس الحاجة الى من يقيها ظلم الظالميـن، لذلك بحثت عن الناصر فلم تجد .. بحثت وبحثت من غير جدوى ، واخيرا عثرت عليه .. انه شعرها الـذي اتخذته سلاحا مدافعا سكبت فيه خطراتهـا المحملـة بالبوح الشجي والفزع المبرح فكان شفيعا لها عنـد الاميـر ، لان للكلمة المجنحة تاثيرها ، وللحرف المرونق سحــره .

ذلك هو حديثنا عن حسانة الشاعرة التي تمثـل هذه الفترة بالذات ، والتي لانعلم شاعرة غيرها عاصرتها على الرغم من انني لا اشك ان عصر الامـارة لم يكـن ـ منطقيا ـ خلوا من بعض الشواعر .

اما فيما يتعلق بمعاصرة حسانة للبنى كاتبة الحكم المستنصر كما قرر الاستاذ مصطفى صادق الرافعـي رحمه الله (13) فذلك لم تثبته المصادر المعتمدة ولـم يوافق عليه الفرق الزمني ، وآية ذلك أن حسانة عاشت في عهد الحكم بن هشام وابنه عبد الرحمن الاوسط (14) كما المعنا سابقا ، ويجوز لنا ان نفرض انها ولدت عـام 154 هـ وهو عام ولادة الحكم الممدوح من طرفها ، ثـم توفيت، ولها مائة سنة ، فتكون سنة وفاتها حينذاك هي 254هـ على حين ان«لبنى» توفيت سنة 374هـ كما ذكر اصحاب الاخبار ، ولنفرض استنـادا على سنة وفاتها انها ماتت ولها مائة سنة فتكون عند ذلك ولادتها سنـة 274 هـ فالفرق الزمني واضح جلي يتمثل ـ على ابعـد الفروض ـ في ان ولادة «لبنى» وقعتبعد عشرين سنة من وفـــاة حسانـــة .

---

12) فعل اضحى في البيت يقرأ بهمزة الوصل مع كسر النون الساكنة المولدة عن تنوين كلمة ( ريش ) لالتقـاء الساكنين ، وبذلك يستقيم الوزن ، والبيت كما لا يخفى مـن الطويـل .

13) انظـر تاريــخ آداب العــرب ج 3 ص 317 .

14) سمي اوسط لتوسط عهده بين عبد الرحمن الاول وعبد الرحمــن الثالث .

ومن هذا نستنتج ان «لبنى» عاشت في فترة الخلافة، ولعل الالتباس الذي وقع فيه الرافعي ، انما هو الخلط بين الامير الحكم بن هشام ، والخليفة الحكم الثاني الملقب بالمستنصر بن عبد الرحمن الثالث الخليفة العظيم الملقب بالناصر .

ومما يؤكد عدم معاصرة حسانة «للبنى» تأكيدا لا مجال للشك فيه ان عدد الافراد الذين جاءوا بعد الحكم ابن هشام خمسة وهم على التوالي : عبد الرحمن الثاني وهو الاوسط ( 206 / 238 هـ ) ، محمد بن عبد الرحمن ( 238 / 273 هـ ) ، المنذر بن محمد ( 273 / 275 هـ )، عبد الله بن محمد ( 275 / 300 هـ ) ، عبد الرحمن الناصر ( 300 / 350 هـ ) ثم بعد ذلك يأتي الحكم المستنصر (350\366هـ) الذي كانت «لبنى» كاتبة له.

اذن فقضية المعاصرة هذه في غنى عن مزيد من التبيان والتعليق ويكفينا هذا القدر من الايضاح .

**تطوان : محمد المنتصر الريسوني**

**دنسوا محياه بالاطماع**

ولو ان أهل العلم صانوه ، صانهم
ولو عظموه في النفوس لعظما

ولكن اهانوه ، فهانوا ، ودنسوا
محياه بالاطماع ، حتى تجهما

**عبد العزيز الجرجاني**

التوسع العلمي وعوائقه القانونية

# الارتياد الفضائي من وجهة نظر القانون الدولي العام

للأستاذ : [illegible] البرجالي

**اهتمامات تقنية واهتمامات قانونية بامر الفضاء ـ مدخل القانون الدولي في قضية الارتياد الفضائي ـ نحو نشوء فرع جديد ومهم من فروع القانون الدولي العام ـ الحقوق الدولية التي اقرتها الامم المتحدة سنة 1963 : هل يمكن ان تصبح نواة قانون فضائي ايجابي ومتحرر .**

في اوائل خريف سنة 1957 ( 4 اكتوبر ) وبينما كانت السنة الجيوفيزيائية الدولية في اوج نشاطها الدراسي الاستكشافي ، حول طبيعة الارض وعلاقتها بالفضاء ، اطلق الروس اول قمر صناعي لهم الى الفضاء حصلوا بواسطته على معلومات وحقائق مهمة ، حول طبقات الجو العليا ، لم تستطعها المناطيد التقليدية التي كانت ترسل من قبل لهذا الغرض ، وانطلقت بعد هذا القمر مجموعات من الاقمار الروسية، كان من بين اهمها السبوتنيك الثالث الذي صمم ليعمر طويلا في الاجواء العليا ، وليقوم بدور طويل الامد علقت عليه الاوساط الفضائية اهمية بالغة ، ودخل الامريكيون عمليا الى حلبة السباق الفضائي بعد مدة قصيرة جدا ( اقل من اربعة اشهر ) ففي 31 يناير 1958 اطلق القمر الصناعي الامريكي ( الرائد ) ثم اطلق ( فانكارد ) وكانت بداية امريكية بسيطة ولكنها تطورت فيما بعد ذلك حتى لتكاد النجاحات الروسية والامريكية الان تتساوى من حيث ما يتحقق خلالها من نتائج ، وفي يوم 13 شتنبر 1959 اطلق صاروخ روسي الى القمر ، ولما حل بتابعنا الارضي اهتزت الاوساط العلمية لذلك في شتى افاق العالم ، وشاهدت سنة 1961 اطلاق ( فوستوك 1 ) ويحمل اول انسان الى الفضاء ( كاكارين ) حيث اتم دورة واحدة حول الارض وفي 6 غشت 1961 حلق ( تيتوف ) في العالم الفضائي حيث تمكن على ظهر السفينة ( فوستوك 2 ) من انجاز نحو 17 دورة حول الارض ، وضرب رقما قياسيا ـ حينذاك ـ في بقاء الجسم الحي خارج نطاق الجاذبية الارضية ( 25 ساعة ) وبعثت وكالة الفضاء الامريكية في خلال السنوات الاخيرة بتوابع وسفن عدة كان من بينها السفن التي اطلقت ضمن برنامج ( جيميني ) وحققت نجاحات مرموقة ، ومن هذه السفن ( جيميني ) الرابعة التي اطلقت في اوائل يونيه 1965 مقلة على متنها رجلين ارتادا الفضاء خلال 62 دورة في مدى نحو 97 ساعة و 58 دقيقة وقد حققت ( جيميني ) السادسة التي اطلقت بعد ذلك مائرات اعظم ، وعند وصول برنامج ( جيميني ) الى نهايته ، ينفتح المجال امام التقنيين الامريكيين لتنفيذ برنامج ( ابولو ) الفضائي الذي يتضمن مشاريع قوية جدا في موضوع ارتياد الفضاء والكواكب الاخرى .

والان وقد تمكنت وكالة الفضاء الامريكية من تحطيم جميع الارقام القياسية في مجال بقاء الجسم الحي في الفضاء ، واستطاع السوفييت ان يضعوا ـ بنجاح ـ تابعا صناعيا في مداره حول القمر بعد ان زود بأدق الاجهزة التي تمكنه من نقل المعلومات الى الارض في

نطاق المهام الاستطلاعية المنوطة به بعد كل هذا وذاك، فقد تزايد الامل عند المتسابقين في امكانية القيام بعملية ناجحة للنزول على سطح تابعنا الارضي عند متم العقد الحالي ، ويبدي الامريكيون تفاؤلا كبيرا في مدى قدرتهم على تحقيق السبق الحاسم بشأن النزول على القمر ، وذلك لما دل عليه برنامج ( جيميني الضخم ) من نجاحات فضائية ، تحققت لهم خلال السنة المولية ، وساعدت على اختزال مسافة التخلف ، التي كانت تفصل بينهم وبين السوفييت في موضوع الارتياد الفضائي ، بيد ان المأثرات القيمة التي انجزها السوفييت ضمن برنامجهم الفضائي الواسع خلال السنة الحالية ، والتي قبلها ـ من شأن ذلك كله ان يبيح للتقنيين السوفييت قدرا اكبر من الامل في امكانية توصلهم الى تحقيق السبق المنشود ، على ان المثير في امر التسابق الفضائي ليس فقط ، وجود هذا التسابق نفسه ، والتقنيات الباهرة التي تستعمل في مضماره، بل ايضا ما يحدثه من تأثيرات سيكولوجية وفكرية لا حد لها ، جعلت اذهان الناس هنا وهناك مركزة نحو الدولتين المتسابقتين بشكل يذكر ـ في نطاق مصغر ـ بحالة المتفرجين على اي سباق عنيف ومثير ، في مضمار الرياضة او غيرها ، ان الفتوح العلمية التي يعرفها عصرنا الحاضر ، تتناول شتى الآفاق من نظرية وتجريبية وغيرها ، ومنها ما هو مثير الى ابعد حدود الاثارة ، غريب في نتائجه اقصى ما تكون الغرابة ، ولكن ليس كالارتياد الفضائي مما يخلق حالة اهتمام شديد بين الناس العاديين وغير العاديين في جميع انحاء العالم ، وبديهي ان المشاكل والقضايا ذات الطابع الفلسفي ، التي يطرحها على حضارتنا الراهنة امر ارتياد الفضاء ، مثل هذه المشاكل والقضايا لا تلفت عادة نظر السواد الاعظم من الناس في مختلف الاقطار، بقدر ما تلفت انظارهم الاخبار المثيرة حول انطلاقات الصواريخ ، ومغامرات الفضائيين ، وما يحكيه هؤلاء عن مرائيهم وانطباعاتهم الفضائية ، وما تقصه الاشارات الالكترونية التي تبعثها الاجهزة والآلات المزودة بها السفن المرسلة الى الفضاء ، ثم ما يبديه هذا الجانب او الآخر من الجانبين المتسابقين من استعدادات في هذا المضمار لتحقيق مأثرات اضخم ، وتسجيل ارقام قياسية اعلى ، وقد تجد من بين العلماء الفضائيين انفسهم وحتى بعض اولئك الذين يشرفون على تنفيذ البرامج الفضائية ـ من لا يابه كثيرا للقضايا الفكرية والقانونية وما في معناها التي تخلقها حالة التسابق نحو الفضاء ، وانما يأخذ بمراكز اهتمامهم فقط ، ما يتعلق بالنجاح التقني الكافي لتمكين ملاحين فضائيين من القيام بعملية ( تأرض ) او ( تمرخ ) او ( تزهر (1) ) وفتح الآفاق امامهم للانطلاق فيما هو ابعد من ذلك من اجواز الفضاء التي لا تحد ، والمزاج العلمي الصرف عند هذا الصنف من الناس ، يحملهم ـ عادة ـ على النظر الى الامر من هذه الزاوية المجردة التي لا تحفل الا بالوصول الى الحقيقة ، والتوصل الى تحقيق الانجاز دون اهتمام بالملابسات غير التقنية التي قد يحدثها المجتمع الانساني ، بما يتحكم فيه من عقد ومصالح متضاربة ، وما يسوده من مواضعات متشعبة فرضتها عليه مجتمعيته ووجهة تفكيره في الحياة ونظرته اليها ، غير ان هناك قطاعا آخر من الراي العام العالمي لا بد انه ينظر الى الموضوع من زاوية اخرى ، غير الزاوية التقنية ، وان كانت التقنية هنا هي حجر الزاوية وقطب الرحى، والمراد بهذا القطاع اوساط القانونيين والمشرعين والاجتماعيين وكذلك السياسيين ورجال التوجيه والتسيير في مختلف انحاء العالم، فهؤلاء جميعا وغيرهم ممن تعنيهم الشؤون العامة في العالم ، من اللازم ان تكون لهم عناية بالموضوع من الزاوية التي تمس اهتماماتهم مباشرة وهي الزاوية القانونية بما يلابسها من اعتبارات سياسية وعسكرية واقتصادية وغيرها ، واذا كانت التقنية ذات مقام اول في مضمار الارتياد الفضائي من اساسه ، فان الاعتبارات التي اشرنا اليها هي ايضا ذات اهمية قصوى لانها الصق بواقع الحياة الدولية هنا على سطح الارض ، واكثر اتصالا بمشاكل الناس ( الدول ) ونزعاتهم ومخاوفهم واهتماماتهم المباشرة في عالمهم الارضي هذا ، ان حالة من الحذر والحرص الشديد تسود روح حضارتنا العالمية الراهنة ويزداد تأثير هذه الروح بقدر ما يزداد التوسع التقني وما يولده من احتكاكات بل ومن مصادمات احيانا بين المصالح الدولية المختلفة ، ومن شان هذا كله ان يأخذ من



---

1 ) نزول بالارض او بالمريخ او بالزهرة .

اهتمام القانونيين والمفكرين امام الحالة الناشئة عن التوسع الانساني في الفضاء الكوني ، فهذا التوسع باب واسع عريض من شانه ان يضع على حضارتنا الفكرية قبل المادية اعباء ثقيلة يعسر تحديدها الان

* * *

تثير النفقات الضخمة التي يتطلبها ارسال السفن والكواكب الاصطناعية الى الفضاء - تثير عدة ءاراء انتقادية هنا وهناك في مختلف انحاء العالم ، تنكر لا طريقة صرف هذه النفقات فقط بل تضاد - اكثر من ذلك مبدا الارتياد الفضائي من اساسه ، ولا تجد له مبررا كافيا يسنده في الوقت الحاضر ، وتذهب مثل هذه الاراء الى القول بان المشاكل التي نعيشها هنا على سطح الارض هي اشد الحاحا على الانسان اكثر من اي وقت مضى ومن مجاوزة المنطق ان تصرف ملايين الدولارات والروبلات لخلق ملاحين فضائيين،وتمكينهم من النزول على الكواكب والتوابع فيما توجد الصحاري الشاسعة زاخرة بها الارض والمحيطات الهائلة تعمر نحو ثلثي الكرة ، ومن الجائز استغلالها وهي لا تستغل كما يجب ان يكون الاستغلال ، ومناطق القطبين فيها الكثير مما هو مجهول لدينا ، لانلم بالحقائق عنه الا بقدر بسيط جدا لا يمكن من شيء ولا يؤدي الى شيء ، وبطبيعة الحال فان مثل هذه الاراء الانتقادية لا تلاقي اي صدى مهم في المحيط الدولي ، فالدول الفضائية تسير قدما في سبيل تنفيذ برامجها لارتياد الفضاء ، ومن المنتظر ان يتسع نطاق الانفاق على هذه البرامج ، وبالاخص اذا نجحت الدول الكبرى في التوصل الى اتفاق دولي حول التخفيض من نفقاتها الحربية ، ففي حالة من هذا القبيل يرجح ان يحول قسط من الفائض الذي قد ينتج عن ذلك الى الشؤون الفضائية التي لا بد ان تصبح ذات علاقة شديدة بحالة التوازن بين الدول الكبرى في المستقبل ، لكن لما ذا تتحمل الدول الفضائية كل هذه المصاريف الباهظة ؟ هل من اجل الاغراض العلمية يقع ذلك ؟ هل الحرص على الا يختل التوازن هو الدافع الجوهري في التسابق الفضائي الحاصل ؟ هل الرغبة في الحصول على منافع اقتصادية وطاقية ذو اهمية في الامر اكثر من غيره ؟ الواقع ان هذه الدوافع مجتمعة، وغيرها كذلك من شانها ان تبرر الميزانيات المصروفة سواء في نظر الستراتيجيين او رجال التخطيط وغيرهم،

والمقدر ان الستراتيجية العسكرية لا بد ان تعرف تطورات جوهرية نتيجة لتطور الصواريخ والسفن الفضائية والانطلاقات بعيدة المدى التي يتيحها ذلك على مستوى الكوكب كله ، فهل يمكن ان تتحول الستراتيجية الحالية القائمة على استخدام الاسلحة التكتيكية داخل نطاق الجاذبية الارضية - الى استراتيجية خارج ارضية EKTMATEMMESTRE يقوم فيها الفضاء كمجال رئيسي ؟ قد يبدو ذلك مؤكدا من خلال الاعتبارات التقنية ، غير ان المعنيين في الدول الفضائية يجتنبون في كثير من الحالات الاشارة الى مثل هذه الامور ويكاد المرء يتبين من خلال المواقف المتخذة ان التقلبات الستراتيجية المنتظرة من وراء الارتياد الفضائي لا تزال بعيدة نوعا ما الامر الذي قد لا يبرر الاهتمام بها مثل ما تفرضه من اهتمامات الان مشاكل الارتياد نفسه والصعوبات التي تعترض نجاحه على جميع المستويات ، ويتحدث العلماء من جهتهم عن الفتوح العلمية التي لا بد ان تقع نتيجة الاتصال الانساني بالفضاء ، وعما يؤدي اليه هذا الاتصال من مساعدة على حل كثير من الالغاز الطبيعية والكيميائية والبيولوجية والفلكية وغيرها ، التي بقيت ردحا من الدهر مستعصية على البحث والادراك العلمي ، فعلماء الطبيعة - مثلا - يهفون الى اليوم الذي يستطيعون فيه الانطلاق الى الفضاء حيث يتهيأ لهم حينئذ الجو الملائم جدا لدراسة الاشعاع الكوني والاشعة فوق البنفسجية ، والحقول المغناطيسية وغير ذلك ، والفلكيون - من جهتهم - امامهم في الفضاء اضخم مجال لاستقصاء الحقائق والظواهر التي كانوا يرقبونها من الارض ويستفسرون عنها الاطياف الواردة ، ولا ما ينقع غلتهم بالقدر الذي يبتغون ، وترسل اليوم الى الفضاء اجسام حية لمعرفة تاثرها بالبيئة الفضائية ، وكم يتحرق البيولوجيون شوقا الى التمكن من القيام بدراسات على هذا النحو في عالم الفضاء نفسه ، وللكيميائيين وغيرهم مارب في الفضاء لا تكاد تنتهي ويتجه الاجتماعيون من جهتهم الى التفكير فيما اذا كان سيصبح من الممكن ان يساعد الفضاء على مواجهة المشكلة الديموغرافية في الارض وايجاد حلول لها ، على الرغم مما يكاد يتاكد الان من صعوبة الحياة في الكواكب المعروفة واستحالتها في اكثرية الحالات ، وللباحثين عن العناصر الطبيعية مطامح

تستحثها ـ ولا شك ـ افاق النزول على الكواكب الاخرى في نظامنا الشمسي ، ولا بد ان يكون للسينمائيين والصحفيين واضرابهم ، افكار حول امكانيات نشاط تتفتح لهم ميادينه على سطح القمر او المريخ او غيرهما من كواكب وتوابع ، اما هواة المغامرات السياحية والمجازفات المثيرة فلهم هم الاخرون ما يفتح شهيتهم للفضاء ، وما يعوض لهم عن الضيق الذي يجدونه في جنبات الارض بعد ان اصبح الطواف حول استدارتها يستغرق ساعات معدودة ، وهناك غير هؤلاء واولئك ممن يثير عنايتهم امر ارتياد الفضاء على اختلاف المشارب عندهم والغايات والمصالح ، اما القاسم المشترك بين الجميع فهو نظرتهم الى نتائج هذا الارتياد نظرة طامحة جدا ، واعتقادهم انه لا بد ان يفتح من الافاق العلمية والحياتية ما يبرر التسابق نحوه بهذه الصور المحمومة، التي تستنزف الجهود والموارد وتاخذ بالاهتمامات على اوسع نطاق موجود .

والسؤال الذي لا مناص منه ان يثار بهذا الصدد هو : اذا كان امر الفضاء بهذه الدرجة من الاهمية لمستقبل البشرية وتطور المدنية وتوسع افاق الحياة امام البشر ـ فهل هو امر بسيط ـ باعتبار القانون ـ ان يصبح لدولة ما حق امتلاك مجالات حيوية في الاجرام الكونية او احتكار منافع وامكانيات لها على سطح كوكب من الكواكب او تابع من التوابع ، او ضمن المجال الفضائي الكوني عموما ؟ واذا كان لدولة من الدول الغنية سعة في المورد والطاقة تمكنها من التوصل الى القمر او بعض الكواكب فهل يخولها ذلك صلاحية السيطرة على الاجرام السماوية هذه طبقا لما يجري به العمل عندنا في الكوكب الارضي حيث حالة السبق في هذا المجال تعطي احقيات وصلاحيات يقع بها التملك احيانا بصورة قانونية ؟ واذا كان للسبق هكذا كل هذه القوة القانونية فهل تعتمد الدول الكبرى في المستقبل على هذا المبدا لتنتحل لنفسها الحقوق المختلفة وعلى هذا ترتكز ستراتيجية التسابق الفضائي الراهن ، حيث تقوم هذه الستراتيجية على قاعدة تحقيق السبق باي ثمن كان ؟ وفي حالة ما اذا صارت الامور على هذا النحو من القانون المعمول بها في التملك الدولي للارض ، فهل يعني هذا ان الاجرام الفضائية قد تصبح ـ في الدرجة الاولى ـ حكرا لدولتين من دول الارض تتلوهما في ذلك بعض الدول الاخرى ، معدودة على رؤوس الاصابع ؟

هذه الاسئلة وكثير غيرها ، تتردد اليوم في اوساط المشرعين ورجال القانون الدولي سواء داخل الامم المتحدة او خارجها ، وبقدر ما تزداد نجاحا الخطوات التقنية المؤدية الى الفضاء الكوني بقدر ما تتزايد التساؤلات القانونية والفكرية التي تطرحها هذه الحالة ملحة على مبدا مراعاة حقوق الجماعة الدولية والحفاظ على روح المشروعية التي يقوم عليها القانون الدولي من اساسه . والقضايا الحقوقية التي يثيرها اليوم امر ارتياد الفضاء ليست ـ من حيث الجوهر ـ جديدة على القانون الدولي العام ـ فقد خلقت من قبل حالة التوسع البحري عند بعض الدول قضايا تقرب من هذه من بعض الوجوه ، واثارت حركة الاكتشافات الارضية وارتياد المناطق البكر في العالم التي ادت بالاوربيين الى وضع اليد على عدد من المناطق المجهولة في الشرق الاقصى والقارة القطبية الشمالية وغيرها ـ ادت هذه الحركة الى اثارة عدد من القضايا السياسية والقانونية التي عقدت لحلها المؤتمرات الدولية كموتمر برلين ( 1885 ) وكان الحال يدعو احيانا الى ان يتدخل فيها البابا فيصدر احكاما للتسوية في هذا المعنى وغداة ان اصبح الطيران امرا واقعيا في مضمار المواصلات الدولية كان من شانه ان يخلق عدة مشكلات ناتجة عن تشابك خطوط المرور عبر الاجواء الدولية ، وصلة ذلك بسيادة الدول وسلامتها (1) وقد تدخل القانون الدولي

1 ) تضاربت اراء فقهاء القانون الدولي حول موضوع الجو وصلته بالسيادة ، فمنهم من اعطى للدولة كامل الحق في هذا المضمار بحيث ان لها ان تمنع اي مرور في اجوائها ، ومنهم من قال بالعكس ، والرأي السائد الان هو الراي المتوسط الذي يذهب الى اقرار الدول على مالها من سيادة على اجوائها مع وجوب التعاون الدولي في تنظيم الملاحة الجوية عبر العالم ، وقد اقرت اتفاقية باريس الدولية (1919) حقوق السيادة في الاجواء مع حق الدول في المرور ، وفي غضون الحرب العالمية الاخيرة (1944) تم الاتفاق الدولي بشيكاغو حول معاهدة الطيران المدني ، واتفاقية النقل الجوي ، التي جرى بها العمل على العموم في انحاء العالم .

ـ بطبيعة الحال ـ في هذا الموضوع واستقر على مجموعة من المباديء والتقنينات تهدف الى تنظيم الملاحة الجوية على الصعيد الدولي مع التوفيق بين مقتضيات السيادة الاقليمية لكل دولة ، وبين ضرورة العمل على ازدهار حركة النقل الجوي في العالم ، واعطائها منطلقات توسع غير محدود . اما الان ، وبدخول العالم في عصر الفضاء ـ فان القانون الدولي يجد نفسه مدعواً ـ من جديد الى التدخل ، مثل ما كان عليه دائما ان يتدخل في تنظيم كل حالة توسع مادي او معنوي يوجب قيام مماحكة بين الامم ، وتضارب في المصالح بين اعضاء المجتمع الدولي ، ومن غير شك ، فان الحالة القائمة الان في نطاق التوسع الفضائي ـ هي ادق بكثير من الاحوال المشابهة لها في الارض ، ولعل الحالة الفضائية من التعقيد بحيث قد تستدعي كثيرا من الاخذ والرد القانوني والسياسي كذلك ، قبل ان يتوصل الملا الدولي في شانها الى اقرار مباديء واحوال ثابتة ، واهم من ذلك قبل ان تعتاد الدول المعنية بالامر التقيد بهذه المباديء والاحوال اذا تقررت مثل ما تتقيد الان بالمباديء المعمول بها في ميادين الملاحة البحرية والجوية وما يتصل بها ، واذا كان للمرء ان يصف بالتعقيد صلة القانون الدولي بالفضاء فلان لذلك موجبات عديدة سياسية وعسكرية واقتصادية وغيرها ، ومن هذه الموجبات:

1 ) الاختلال الكبير ، الواقع بين وجود مبدا التمتع بالحق ، وبين ضعف القدرة على ممارسة الحق او انعدام هذه القدرة اطلاقا ، ذلك انه حتى اذا ما تقرر في موضوع الفضاء حق ثابت وشامل لاعضاء المجتمع الدولي من ناحية مبدئية ، فان الاغلبية الساحقة من الدول لا تستطيع ـ في واقع الامر ـ تحمل الاعباء المالية وتوفير الترتيبات التقنية التي يتطلبها تحقيق سياسة فضائية من نفس المستوى الذي يطمح بمقتضاه الى النزول في الكواكب واستغلالها من ناحية او اخرى ، ووجود هذا القصور العالمي عن ممارسة الحق المكتسب مبدئيا من شانه ان يقوي النزعة الى الاحتكار الفضائي عند الدول الفضائية الكبرى ، وقد يخلق في الامد البعيد حالة دائمة من عدم التوازن العالمي لعلها اخطر من كل ما سبق من حالات من هذا القبيل .

2 ) عمق النتائج التي ترتبط حتميا بالقدرة على اتخاذ مواطيء القدم في الفضاء واكتساب مجالات النفوذ في رحابه، فهذه النتائج والاوضاع المنبثقة عنها لا يمكن ان تقاس بتاتا باية نتائج او اوضاع اسفرت عنها حركات التوسع وتكوين مناطق النفوذ على سطح الارض فنجاح دولة في بسط سلطانها على منطقة او مناطق متعددة في الارض كان يخلق ـ في العادة ـ حالة من التفوق الارضي لقطر على حساب اقطار اخرى من اقطار الكوكب هذا ، وحالة التفوق هذه ـ بما انها واقعة على صعيد مشترك هو الصعيد الارضي كان من الجائز ـ دائما ـ مطاولتها وتقليصها كما وقع فعلا حيث توشك ان تتم الان تصفية مناطق النفوذ التوسعي على سطح الارض ، اما ما يمكن ان يتاتى عن طريق اكتساب نفوذ واسع خارج نطاق الجاذبية الارضية ، فمن شانه ان يخلق حالة من التفوق لا تجارى لان مستوى النفوذ في هذه الحالة يصبح غير محلي ، والنتيجة الحتمية لذلك ان مطاولته تصبح غير متيسرة في النطاق التاريخي الذي نعيشه الان ومرتكز الاهمية في كل ذلك هو الجانب العسكري ، اذ ان جميع السياسات الدفاعية المعمول بها هنا في الارض تصبح غير ذات جدوى في الاعم الغالب

3 ) الموقف الاخلاقي للانسان امام المغامرة التقنية الجديدة ، فهل يزداد ـ والانسان على عتبة المغامرة الكونية الكبرى ـ هذا التباعد بين مقدرة الانسان التقنية وتهافته الخلقي رغم ضخامة رصيده من النظريات الفلسفية والقيم الفكرية واذا زاد هذا التباعد فالى اي حد سيذهب في التاثير على عقلية بعض المجتمعات التي الفت التوسع في الارض ، وتتحكم فيها عقدة السيطرة الى حد بعيد .

واجمالا فانه في امكان المرء ان يجد امامه ـ عند امعان النظر ـ كثيرا من الاعتبارات من هذا القبيل من شانها ان تضفي على قضية تملك المناطق خارج الارض اهمية خاصة ، اذ يتوقف عليها مستقبل التوازن العالمي بصورة شاملة ، على انه اذا كان للتملك خارج الارض كل هذه الاهمية البالغة فهل يكفي ـ كما تقدم ـ ان تتوصل بعض الدول بوسائلها الخاصة الى سطح كوكب ما ، قبل غيرها ، لتكتسب بذلك حقوق المالك الذي لا ينازع ؟ اما على مستوى الكوكب كله او على بعض المناطق منه بالاقل ؟ وقد اطلقت بعض الشعارات لتنزل على سطح القمر ، فهل يعني ذلك شيئا ما ام انه مجرد رمز لتطلع الانسان الى الفضاء ، وطموحه الى الكواكب

الاخرى ؟ على اي حال ، فان وسيلة التملك الدولي في الارض لا يمكن ان تصبح تقليدا متبعا قيما وراء نطاق الجاذبية الارضية نظرا لخطورة النتيجة التي تتاتى عن سيطرة بعض الدول القليلة عن الفضاء دون غيرها من دول الارض . ان القانون الدولي يستمد قدرا كبيرا من مادته ، من مجموعة اعراف وتقاليد دولية يمكن ان تكون في بدايتها بدعا غريبة ، ولكن بتكررها وانتشار العمل بها وتقبل المجتمع الدولي لذلك تصبح هذه البدع اعرافا مقبولة بل مصدرا من مصادر القانون الدولي يحتذى حذوه ، الا ان ترفضه الجماعة الدولية بعد ذلك لسبب من الاسباب ، وقد طبعت الدول الكبرى ـ في القرن الماضي وما قبله ـ طبعت بعض مواد القانون الدولي بطابع تصرفاتها ووجهتها في النظر والتدبير ، فاعتبر ـ مثلا ـ الاستيلاء على منطقة مهجورة وممارسة السلطة الفعلية فيها وسيلة قانونية من وسائل التملك الدولي ، واعتبر الالحاق ، اي اقدام دولة ما على الحاق بعض الاراضي المتصلة بها على ـ نحو ما ـ وسيلة كذلك من وسائل التملك ، ونظر الى التنازل ، تنازل دولة لاخرى عن اقليم من الاقاليم ببيع او بدونه، على انه ايضا طريقة من طرق التملك ، وعد الاستيلاء بالقوة او وضع اليد لمدة طويلة جدا على الارض بمثابة سبيل من سبل التملك ، وهكذا ، وعلى الرغم مما كانت تثيره هذه الاعراف من اختلاف في الاراء بين فقهاء القانون الدولي الذين كان منهم من يسلك في الحكم على الاشياء هذا المسلك نفسه ، ومنهم من كان يرى رأيا متوسطا ومن يعارض اطلاقا ـ على الرغم من الاختلافات الفقهية ذات الصبغة الاكاديمية ، فان العلائق الدولية كانت تسير في معظم الحالات على نهج لا يختلف عن مصالح الدول الكبرى في اكثر الاحيان ، ويرتبط بمصالح الدول الكبرى حركات التوسع والارتياد الارضي كان يترتب عن هذه الحركات من تملك بواسطة الاستيلاء او الالحاق او الفتح او الاحتجاج بوضع اليد لمدة طويلة وغير ذلك كثير وبنهاية الحرب العالمية الاخيرة ، عرفت الحياة الدولية تقلبات جذرية في مختلف الميادين تمس سواء النظريات السائدة في المجتمع الدولي او طريقة التعامل بين الدول فاصبح العهد الاستعماري التقليدي وشيك الانتهاء ونزعت الى الاضمحلال سياسات مناطق النفوذ والمجالات الحيوية في شكلها القديم المالوف ، ومع ظهور القوى الدولية الجديدة في الميدان برزت افكار جديدة وقيم جديدة وتبلورت احوال عالمية متطورة تتميز بضيق الافق امام اعمال الغزو السافر والسيطرة عنوة ، ونزوع المجتمعات الصغيرة الى الاستقلال بشؤونها الخاصة ، كل هذا كان لا بد ان يؤدي الى عدم الابقاء على مقاييس القانون الدولي التقليدي في موضوع التملك الارضي ـ هذه المقاييس التي يستوحي بعضها وجوده من ظروف دولية لم يعد لها وجود في الوقت الحاضر .

لكن ماذا عن الارتياد الفضائي ـ في ظل هذه الظروف العالمية الجديدة ـ ان الارض اصبحت مكشوفة تماما لا منطقة فيها ، مجهولة الا ما كان من القطب الجنوبي الذي يتعاون العلماء في جميع العالم الان على استكمال التعرف عليه ، فلم يبق اذن مجال كبير للعمل بمقتضى الوسائل المتبعة في تملك المناطق الارضية ( نتيجة لتطور الاوضاع العالمية كما قدمنا واكتشاف كل اجزاء الارض ) فهل يفكر في اعادة التجربة الارضية على سطح الكواكب الاخرى وتطبيق الاعراف التقليدية للتملك الدولي في تلك الاجرام اذا وطئتها اقدام الانسان ؟ ان زمام المبادرة موجود فعلا في ايدي الدول الفضائية الحاضرة ، لكن هل تستطيع هذه الدول ، ان تتجاهل منطق العصر الذي لم يعد فيه مجال للتشريعات الناتجة عن الاعراف والسوابق التي كانت تخلقها الدول الكبرى في الغالب ، وتؤثر في جعلها مقياسا للتعامل الدولي في عدد من الميادين ، واساسا لتقييم كثير من الاشياء ، وتحديد صبغتها العامة ، لقد اسفرت الحرب العالمية الاولى عن قيام عصبة الامم ، وقد قامت هذه المنظمة بدور مهم في ميدان التشريع الدولي الا ان السيطرة التي كانت للدول الكبرى على العالم ، كان لها في عدة حالات تاثيرات ولو غير مباشرة على روح التشريعات التي كانت تصدر ، وقامت في اعقاب الحرب العالمية الاخيرة هيئة الامم المتحدة التي يتطور نشاطها الان ليشمل مختلف افاق النشاط الدولي في ميادين الاقتصاد والثقافة والاجتماع وغير هذه الاشياء ، والمهم في الامر ، ان الامم المتحدة ـ وان كانت الدول الكبرى تتمتع في حظيرتها ببعض الامتيازات الدالة على التفوق (راجع نظام مجلس الامن مثلا ) الا ان المبادرات التنظيمية والتشريعية التي

تتخذها المنظمة الدولية اصبحت تحمل في طياتها بذور وجهة جديدة في تقييم الحقائق الدولية والعالمية ، وتقوم على مراعاة وجود الشعوب الصغيرة والقوى الناشئة في العالم ، وتقدير المصالح العالمية ككل متجانس لا يقبل التجزئة الا بقدر محدود جدا ، ومما لا ريب فيه ان تدخل الامم المتحدة في قضية الارتياد الفضائي من الوجهة القانونية والعلمية ـ يدخل بالضرورة في هذا المعنى ، ويدل على مدى اهمية التحول الذي حصل في مضمار الحياة الدولية ، وما لهذا التحول من ءاثار على تطوير المفاهيم التي كان يعتمد عليها القانون الدولي التقليدي في كثير من الميادين .

* * *

جرت في حظيرة الامم المتحدة ـ خلال السنوات الاخيرة ـ مناقشات مهمة حول شؤون الارتياد الفضائي والمشاكل القانونية التي يثيرها هذا الارتياد سواء بالنسبة لكل دولة على حدة او بالنسبة للمجتمع الدولي عموما، والنقط التي اثيرت خلال المناقشات هذه تعبر عن شعور مختلف الدول ، بان امر الارتياد يمس مصالحها، بل وسلامتها ايضا من بعض الجوانب اذا لم توضع في شان هذا الارتياد ترتيبات قانونية على مستوى دولي تحدد المشاكل وتعين لها مبادىء ومقاييس مقبولة عموما ومن هذه النقط المثارة : 1) احتمالات استخدام الفضاء الخارجي لاغراض عسكرية او شبه عسكرية وما ينجز عن ذلك من امكانية استخدامه لنشر مواد سامة تفسده ، او تتسرب منه الى جونا الارضي المباشر ثم كذلك امكانية اتخاذه مرتكزا للقيام باعمال تجسسية او ما في معناها . 2) احتمال مراقبة الاذاعات الصوتية او المرئية والتدخل فيها على وجه من الوجوه . 3) ضرورة وضع ميثاق دولي يحدد المسؤولية فيما يمكن ان يقع من خسائر او ضرار تحدثها سفن او اقمار اصطناعية اما قصدا او عن غير قصد كذلك . 4) ضرورة اتخاذ الوسائل الكفيلة بمقاومة التدخل غير المشروع من جانب دولة ضد النشاط الفضائي لدولة اخرى . 5) ما يلزم القيام به من احتياطات دولية لمساعدة الملاحين الفضائيين في حالة تعرضهم للاخطار ، واعادة هؤلاء الملاحين الى ذويهم في حالة وقوع نزول قسري غير مرتقب لهم ، واعادة السفن الفضائية كذلك اذا وقع لها نفس الشيء.

6) وفي طليعة ذلك كله ، وجوب العمل على اقرار خط متفق عليه دوليا يكون كحد فاصل بين المجال الجوي للارض ، والمجال الفضائي خارج الارض على غرار ما هو معمول به دوليا بالنسبة للحدود البحرية والترابية والارتفاعية وما يتعلق بها وكما تقدم فان المناقشات حول هذه المسائل ليست بنت اليوم ، بل انها ما فتئت تدور منذ بضع سنوات ، كما تدور كذلك الاتصالات الطويلة في جنيف حول نزع السلاح ، ومن بين المناقشات المهمة حول الفضاء داخل الامم المتحدة تلك التي جرت في اواسط سنة 1962 (28 مايو / 20 يونيه) وفي خلالها وقع تقابل مهم ـ رغم انه لم يؤد الى نتيجة عملية ـ بين وجهات النظر الدولية ـ بما فيها وجهة نظر الدول الفضائية ـ حول جملة المشاكل القانونية التي تمس موضوع الارتياد الفضائي ، على اساس ان يؤدي ذلك الى بلورة موقف دولي حول بعض المبادىء تكون نواة لفرع جديد من فروع القانون وهو ما يمكن ان يطلق عليه القانون الفضائي ، ولم يزدد الاهتمام بالموضوع ـ بعد هذا التاريخ ـ الا توسعا ، ولكن التوصل في هذا المضمار الى اتفاق حاسم يضمن قيام تعاون دولي فضائي على النحو المرغوب فيه مبدئيا ـ مثل هذا الاتفاق، ليس امرا سهلا ، يمكن تحقيقه بسرعة ، نظرا للمداخلات الدقيقة بين هذا الموضوع ، وبين الاعتبارات الستراتيجية للدول الكبرى ، ونظرا ايضا لعجز اغلبية دول الارض عن مسايرة حركة الارتياد الفضائي عمليا ، ثم اهم من ذلك كله ، نظرا لان حركة ارتياد الانسان للفضاء لا تزال في خطواتها التمهيدية ، وبالنتيجة لذلك فان مبادىء قانون فضائي لا تزال عبارة عن نظريات عامة، لم تنبثق عن واقع ملموس الا بقدر محصور النطاق جدا ، ولم تصدر عن اعراف وتقاليد قوية الاصالة ، ومتجذرة في مضمار الحياة الدولية ، مثل ما هو عليه الامر بالنسبة لمعظم الاحكام التي يتعرض اليها القانون الدولي العام .

والملاحظ بهذا الشان انه حتى بصدد القوانين التي تسندها اعراف دولية مر عليها حين من الدهر ، فان القانون الدولي لم يستقر في بعضها على اساس نهائي ، وتوجد موضوع اخذ ورد بين فقهاء القانون والسياسيين على السواء ، ومن ذلك مثلا قضية تحديد

امتداد المياه الاقليمية لكل دولة (1) وهذه القضية تتشابه من بعض الوجوه مسألة تعيين الحدود الفاصلة بين المجال الجوي والمجال الفضائي خارج الارض وهي القضية المثارة الان ضمن ما يثار من قضايا في ميدان القانون الفضائي الناشيء ، وهناك عدة مسائل تتعلق بالقانون الدولي من هذا القبيل لم يستقر فيها هذا القانون على رأي حاسم الا بعد صعوبات بالغة واختلافات عريضة تتجدد بين الاونة والاخرى

وبديهي ان تعثر المحادثات الدولية حول نزع السلاح النووي وضآلة امكانيات التوصل الى نتائج قريبة بهذا الشأن ، كل هذا لا بد ان يجثم بظله على احتمالات الاتفاق حول التنظيمات الفضائية المختلفة التي طرحت اقتراحاتها على الامم المتحدة خلال السنوات الاخيرة ، ولم يقع التوصل في شأنها الى شيء عملي لحد الان ، فاقتراح حظر اي نشاط غير علمي في الفضاء ، ومنع اعمال التجسس بواسطة السفن الاصطناعية الفضائية ، والزام الدول بعدم التدخل في النشاط الفضائي لدول اخرى ووضع ميثاق دولي لتحديد المسؤولية فيما عسى ان يحدثه النشاط الفضائي من اضرار ، كل هذه نقط وجيهة وذات اهمية حيوية لتنظيم النشاط الفضائي على اساس دولي مقبول ، لكن الملابسات العالمية الراهنة تفرض نوعا من الارتباط بين هذه النقط وبين مجموع الاعتبارات الستراتيجية المعقدة في عالم اليوم وهذا الارتباط قد يصبح عقدة مستحكمة كجميع العقد المزمنة التي تحول الان دون اقرار خطة دولية عملية لنزع السلاح النووي في العالم ولا شك ان الضغط الذي تمارسه الدول الصغرى والمحايدة هو ذو قيمة مهمة في مثل هذه الاحوال وهذا الضغط ، وان لم يعجل بحصول اتفاق دولي حول السلاح النووي وبلورة اساس صحيح وشامل لتنظيم النشاط الفضائي الدولي في المستقبل ، فانه يساهم على الاقل في التخفيف من نزعة اللامبالاة التي قد تسود بعض الجهات الدولية بهذا الشأن ، ولاقرار المبادىء عليا ، وعلى مستوى دولي عال ، اهمية لا تخفى في مثل هذه الامور ، وقد حققت الامم المتحدة في هذا المعنى ، تدخلات ناجحة ، كان من اهمها الاعلانان اللذان صدرا في غضون سنة 1962 والقاضي احدهما بان القانون الدولي يشمل باحكامه العالم الفضائي والاجرام الكونية مثل ما يشمل كوكبا الارضي هذا ، ومختلف اوجه العلاقات والحقوق الدولية فيه بينما ينص الاعلان الثاني على ان الحق هو مشاع لكل دول الارض في ارتياد الفضاء ، والكواكب الاخرى ، والانتفاع من ذلك اذا امكن ، ومهم كذلك — ولعله اكثر اهمية من غيره — ما ورد في هذا الاعلان من ان الاحتكارات الخاصة في ميدان الفضاء ، هي محظورة بتاتا وباي شكل كانت ، وندرك جميعا ان التسابق الدولي لاحتكار النفوذ والمنفعة في مناطق الارض المكتشفة كان من الاسباب الهامة في قيام الحروب الاستعمارية التي عرفها العالم خلال القرن الماضي ، والنصف الاول من قرننا الحالي ، ومن ثم فان الموافقة الدولية على هذه النقطة بالذات ، قد اثارت انطباعا حسنا في الاوساط الدولية التي تعنى بهذه القضايا ، واعتبر ذلك كسبا لقضية القانون والمشروعية الدولية ، ومما لا شك فيه ان اقرار المبدأين هذين هو اقرار لمجموعة من الحقوق الدولية التي لا بد ان تقوم كنواة للقانون الفضائي الناشيء ، ثم هناك مجال لتوسع هذا القانون كنتيجة لتوسع الارتياد الفضائي حيث لا مناص من ان تحدث احوال وتقوم قضايا تتطلب وضع قوانين فرعية تغذي القانون الدولي حول الفضاء وتوسع من

---

1 ) اقر مؤتمر ( لاهاي ) سنة 1930 لكل دولة بحرية حقوقها في المنطقة المجاورة لها من البحر ، والتي تدعى عادة بالبحر الاقليمي ، على ان مبدا سيادة الدولة على بحرها الاقليمي اذا كان مقبولا ومتفقا عليه، فان تعيين حدود للبحار الاقليمية ، شيء اختلفت فيه اراء القانونيين ورجال السياسة اختلافا كبيرا ومزمنا لحد الان ، فالراي السائد عموما ان الحد الادنى لامتداد البحر الاقليمي هو ثلاثة اميال ، لكن عددا من الدول لا تتقيد بهذا التحديد ، وتمد حدودها البحرية اوسع من ذلك بكثير ، وفي احيان عدة بسبب نزعات دولية ، تنشأ عن خلاف حول حقوق الصيد او غير ذلك ، وقد عقد منذ سنوات مؤتمر دولي للاتفاق على تحديد نهائي للبحار الاقليمية ولكن يبدو ان المشكلة لا تزال قائمة بكل ملابساتها المختلفة .

نطاقه ، وفي حظيرة الامم المتحدة وجهتا نظر متقابلتان بهذا الشان تقول احداهما بضرورة العناية بتسوية المشاكل الواقعية التي يحدثها ارتياد الفضاء ، وعن طريق حل هذه المشاكل يقع التوصل الى تقرير مبادىء اساسية تدخل في صلب القانون الدولي وتشكل مادته ، وتقول النظرية الاخرى يجب الاتفاق – قبل كل شيء – على مبادىء عامة واقرارها طبقا للنصوص المتخذة من طرف الامم المتحدة بهذا الشأن ، فذلك يمهد السبيل لالتزام سلوك دولي واضح وسليم في موضوع الفضاء في المستقبل ، وسواء كانت الطريقة المثلى هذه او الاخرى فان المهم في الامر هو ان تتعظ الجماعة الدولية بخطورة التعقيدات التي خلقتها هنا على سطح الارض فيكون ذلك حافزا لها على افتتاح ءافاق جديدة في الفضاء ، تجتنب فيها المشاكل الارضية المزمنة كلما امكن .

**سلا – المهدي البرجالي**






# مقدمة ابن خلدون في طبعتها الجديدة

تقديم وتعليق للأستاذ :
عبد القادر زمامة

لعل ابن خلدون من الشخصيات العالمية الجديرة بقول الشاعر العربي :

هل غادر الشعراء من متردم ..؟

فهل غادر الكتاب والباحثون والدارسون من متردم في شان ابن خلدون وتراثه الفكري الخالد ..؟ وهل اصبح الكلام في هذا الموضوع من الحديث المعاد والكلام المكرر الذي يمله الكاتب والقارىء والسامع .؟ اظن . لا

فتراث ابن خلدون عرف معرفة سطحية .. ولنا على ذلك دليل بسيط وهو ان هذا التراث ما يزال لم يتم اخراجه في طبعات علمية متقنة تعطينا صورة حقيقية عما خطته اصابع ذلك العبقري الطموح ..

فكتاب العبر رغم اهميته التاريخية طبع مرات وفي كل طبعة نجد عيوبا لا تحصى .. وفي كل طبعة نجد نقصا وتشويها مختلف الاسباب والانواع ..

والمقدمة رغم اهميتها الفلسفية والاجتماعية والادبية طبعت عدة مرات في اوربا والشرق .. وفي كل طبعة نجد من النقص والتحريف والتشويه والحذف ما يشوه كلام ابن خلدون ويبعثر افكاره ويضفي عليه سجوفا من الغموض والركاكة والابهام .. وهناك آثار اخرى لابن خلدون نالت حظها من التخريج العلمي وهي تلك الاثار التي كان من حسن حظها ان تناولتها اياد مغربية كان لها الفضل الذي لا يجحد .. ونعني بذلك آثار ابن خلدون التي اخرجها الاستاذ محمد ابن تاويت الطنجي في كل من تركيا .. ومصر .. منذ سنوات خلت .

ونعود الى المقدمة .. ومن منا لم يصادق المقدمة .؟ ومن منا لم يرجع اليها عدة مرات ..؟ ومن منا يستطيع ان يبحث في موضوع من موضوعات الحضارة او الثقافة في الفكر الاسلامي .. ولا تكون المقدمة هي دليله ورائده ومرشده ومزوده بالملاحظة الصائبة والمعلومات العميقة . والفكرة الناضجة ..؟

ولكن المقدمة منذ طبعت في باريز منذ ما يقرب من قرن من الزمن .. ظلت تطبع طبعات تجارية تتفق على الخطا وتتفق على النقص .. وتتفق على التشويه ..

ويأتي الباحثون فينقلون نصوص ابن خلدون على ما هي عليه في هذه الطبعات وبذلك تكون المشكلة خطيرة ومعقدة .. فتارة نتهم هؤلاء الباحثين بالجهل .. وتارة نتهم ابن خلدون .. والحقيقة ان المتهم الرئيسي هو من طبع هذا الكتاب من غير تحقيق ولا تمحيص ولا تخريج علمي يليق به باعتباره من النصوص الممتازة في الفكر الاسلامي .

كل هذا كان يدور بخلدي كلما كنت مضطرا الى مراجعة فصل من فصول مقدمة ابن خلدون في احدى طبعاتها السقيمة التي لا اجد غيرها .. وحتى اذا وجدته كان لا يقل عما بين يدي في التحريف والتشويه ..

واليوم تحقق المطبعة العربية كما يحقق البحث العلمي نصرا جديدا واملا طالما تمنيناه بفارغ الصبر .. حيث يعمد الدكتور «علي عبد الواحد وافي» الى اخراج مقدمة ابن خلدون اخراجا علميا دقيقا ويأخذ على عاتقه القيام بهذا العمل في صبر واناة واخلاص ..

والدكتور علي وافي رجل جامعي يحمل شهادات والقابا .. وهو بذلك رجل موسوعي له ابحاث اجتماعية ناضجة، وله ابحاث لغوية صارت مادة لدراسة فقه اللغة في كثير من الجامعات الشرقية .. والى جانب هذا صاحب ابن خلدون في مقدمته سنوات طويلة وجمع نصوصها من عدة طبعات ومن عدة مخطوطات موزعة بين مكاتب اوربا وتركيا والبلاد العربية .. فاجتمع له من ذلك ما يزيد على مائة صفحة كانت محذوفة من الطبعات الشرقية وكان بعض هذه الصفحات موجودا في طبعة باريز ..

وقبل ان يقدم لنا المخرج نصوص المقدمة قام بدراسة منهجية شاملة للمقدمة ونسخها المطبوعة والمخطوطة .. وقد استغرقت هذه الدراسة اكثر من مائتي صفحة احاط فيها الدكتور علي وافي بكل شاذة وفاذة عن هذا التراث النفيس .. وذكر محاسن ومساوي كل من تناول هذا الكتاب من قريب او بعيد من الباحثين شرقا وغربا بالعربية او باحدى اللغات الاوربية الشهيرة .. كما فضح تلاعب الناشرين من تجار الثقافة بهذا الكتاب وكيف شوهوه بجهلهم وعبثهم ..!

ثم تناول في نحو مائة صفحة اخرى مناقشة آراء ابن خلدون وبيان مقاصده من بعض الكلمات التي تعرض بسببها الى النقد والتجريح .. وهذه الصفحات التي استغرقت معظم الجزء الاول هي وحدها دليل على اهمية الطبعة العلمية الجديدة التي اخترنا تقديمها كنموذج للبحث العلمي السامي في التعبير والتفكير والمضمون ..

واهم ما تمتاز به آراء الدكتور وافي على العموم هو الاسلوب العلمي والنقاش المنطقي والتجرد امام صراع المبادىء والاراء والافكار .. فابن خلدون انسان يخطىء ويصيب .. وآراؤه لها مقاييس واعتبارات يدخل فيها عامل الزمان والمكان والبيئة والمزاج ..

ثم ان آراء ابن خلدون منها ما هو وليد مشاهدة وتجربة ومنها ما هو وليد الحكم العقلي والاجتماعي الشخصي وكلا النوعين قابل للخطا والصواب فمن جهة كان ابن خلدون يؤسس علما جديدا هو علم الاجتماع البشري .. وتاسيس العلوم لا يخلو من اخطاء غير مقصودة ولكنها وليدة التجربة الناقصة والاستقراء الناقص .. ومن جهة اخرى .. كان ابن خلدون يهدم افكار السذج والبسطاء .. والهدم لا يخلو من نشوة تخامر الهادم فيظن انه طمس المعالم واتى على الآثار .. ولكنه لا يلبث ان يكتشف هو بنفسه او يكتشف الناس ان القضية اعمق واعقد .

والقيمة الحقيقية لاراء ابن خلدون هي انه استطاع ان يكون فكرة شخصية لها الوان علمية واصول فكرية وحجج منطقية .. وان يتخطى الجزئيات الى الكليات والبسائط الى المركبات .. ويربط بين الحضارات والثقافات والدول برباط من المنطق التاريخي – ان صح هذا التعبير – وان يقدم دراسة شاملة عن الفكر العلمي والسياسي والاجتماعي .. وعن طرق الحكم ومحاسنها ومساويها . وعن طبيعة الغرائز الانسانية بين القوي والضعيف والغالب والمغلوب ..

كما ان عبقرية ابن خلدون تتجلى في كونه جعل للحضارة دولابا يتحرك حركات امامية وخلفية وجانبية وهو في حركاته لا ينفك يرفع ويضع ويعطي ويمنع بتاثير قانون القوة والغلبة والعصبية ..

فالحضارة لها عمر .. والدولة لها عمر .. والافكار لهم عمر – وهذا العمر يطول ويقصر طبقا لعدة نواميس اكتشف بعضها ابن خلدون .. ونادى الناس بمحاولة اكتشاف بعضها الاخر حتى لا تصدمهم الاحداث التاريخية فيحارون في التعليل ورد الاسباب الى مسبباتها ..

ولا يملك الانسان نفسه حينما يجد هذه الاراء قد كونها ابن خلدون من خلال الحوادث التاريخية التي عاشها في فاس وتلمسان وبجاية وتونس وغرناطة ودمشق والقاهرة .. فيتعجب من هضم هذا المفكر احداث عصره بخيرها وشرها .. لا ليعتبر فحسب بل يقدم عنها فلسفة عملية وخبرة اجتماعية وسياسية واقتصادية متشعبة المسالك والالوان والصور معقدة الاسباب والمسببات ..

هذه بعض ارتسامات عن مقدمة ابن خلدون في طبعتها الجدية لكن مخرج هذه الطبعة لا يريد من قارئها ان ياخذ ارتسامات او صورا .. ولكنه يريد منه ان يعي سلسلة من الافكار هي قبل كل شيء ترجع الى :

1 ـ منطق التاريخ .

2 ـ منطق السياسة .

3 ـ دولاب الحضارة

4 ـ دولاب الثقافة .

5 ـ النقد بسائر مقاييسه .

وهاته الاشياء ليست سبلا ممهدة ولكنها مسالك وعرة زلق فيها ابن خلدون نفسه واخطا اخطاء كان هو المسؤول عنها قبل غيره من الناس وقد اخذ الدكتور وافي يناقش ابن خلدون في هذه الاشياء مناقشة هادئة ولكنها محرجة للغاية والغريب ان ابن خلدون كثيرا ما يغالط نفسه ويخالف القواعد التي قعدها .. وينسى الملاحظات التي سجلها ..

وكثيرا ما يرد الدكتور وافي على ابن خلدون بمنطق ابن خلدون .. وتفكير ابن خلدون .. ونقد ابن خلدون .. ولكن رغم ذلك فاخطاؤه ليست اخطاء ساذجة ولكنها اخطاء تعليل وتدعيم لاشياء تختلف فيها وجهات النظر باختلاف المقاييس والعصور .

قدر الدكتور وافي ان يخرج بالمقدمة في خمسة اجزاء وفعلا اخرج الاجزاء الاربعة الاولى وما زلنا ننتظر الجزء الخامس وهو خاص بالفهارس المتنوعة لفصول المقدمة ومحتوياتها من اعلام واصطلاحات وكلمات واسماء البقاع وغير ذلك ..

فماذا افادتنا هذه الطبعة ؟ وما هي الميزات التي اكتسبتها بهذا الاخراج العلمي ؟ ان عمل المخرج كان متسما بحيث يمكننا ان نرسم له خطوطا عريضة اولية مع الاشارة الى ما اغفلناه مما لا يتسع له هذا العرض .

فالعمل الاول : هو تحرير النص من التحريف وتقديمه في صيغته التي يغلب على الظن انها هي صيغة المؤلف الحقيقية .. وهذا العمل استغرق جهودا في المقارنة والمقابلة والتصحيح والترجيح .. بحيث يمكننا ان نقول مطمئنين ان النص الذي بين ايدينا نص علمي صحيح المتن مبني على تخريج له قواعده وحيثياته ..

ولا ننسى ان المخرج يتعمد ان يجعل في الهامش نصوص الطبعات الاخرى والمخطوطات ويعلل لك سبب اختياره وتصحيحه بما لا يدع امام الباحث اي شك ان ما يقرا هو كلام ابن خلدون في صورة مقبولة مفهومة سواء كان ابن خلدون مصيبا او مخطئا لان المهم ان نقرا نصه الحقيقي .. والبون شاسع بين نصوص هذه الطبعة ونصوص الطبعات الاخرى في الكم والكيف والاخراج والتبويب والتنظيم والترتيب ..

والعمل الثاني : هو التعليق على كلام المؤلف وشرح ما فيه من غموض او تعارض سابق او لاحق بنصوص اخرى في نفس المقدمة ولنفس المؤلف .

وهذا يعني ان المخرج لم يقدم لنا نصوص صماء ولكنها حية نابضة طافحة بالمقارنات والمقاييس والنقد احيانا والتصويب اخرى .. وكان هناك ما ينتقد على الدكتور وافي فهو انه اسرف على نفسه كما اسرف على القراء في تتبع ءاراء ابن خلدون بالنقد والمقارنة بينها وبين الاراء الجديدة في الموضوع .. ومع فارق الزمان والمكان فان الدكتور يابى الا ان يقول : الصواب كذا .. والواقع كذا .. ولعل الانسب ان يقول المخرج : ان الفكر تطور من عهد ابن خلون الى الان ـ وجدت ءاراء ونظريات اخرى ..

والعمل الثالث : هو تكميل الاجزاء الناقصة في الطبعات الاخرى وهو عمل لا شك في فائدته العلمية بالنسبة للباحثين وفي انتظار الجزء الخامس من المقدمة .. نرجو ان نكون قد اعطينا هذا التراث بعض ما يستحق من اهتمام وتقدير .. كما نرجو ان تجد الاثار العلمية الهادفة مكانتها وتملا الفراغ الفكري الذي اصبح يملا بالكتب السخيفة الفارغة .. والعابثة ايضا ..




كان بشار بن برد جسرا ادبيا عبرت عليه اجيال من الشعر من عصر الى عصر . ومن اتجاه شعري الى اتجاه آخر.. وكان الى جانب ذلك شخصية شقي بالناس وشقوا به .. وشغل بالناس وشغلوا به.

فهو الى جانب عاهة العمى التي جعلته سيء الظن بالحياة والاحياء .. ينتمي الى اصول فارسية كان لها مجد وعصبية ونفوذ في خراسان .. وهو الى جانب ذلك ينتسب الى بعض القبائل العربية بالولاء المعروف في عصره .. وكل ذلك عرضه لمتاعب محرجة .. زيادة على ما كان يتصف به من تهالك على متع الحياة واقبال على اللذات ومزاحمة الاخرين في فنون اللهو والمجون .

فاذا افتخر العرب باصولهم العربية .. افتخر بشار باصوله الفارسية .. واذا اظهر بعض الشعراء العرب العصبية لقبيلة ما قام بشار ليظهر عصبيته للقبيلة العربية التي ينتمي اليها بالولاء .. واذا عيره الشعراء بعاهة العمى .. عيرهم بالبلادة والجبن والخضوع والذل والتملق ..

ولا يكتفي بشار بذلك بل انه يهجم على اهل عصره يهجو ويفتخر ولا تعوزه الحجة ولا يعدم الدليل .. ولا سيما وهو يعتقد انه من قريش العجم حيث يقول :

نمت في الكرام بني عامر     فروعي واصلي قريش العجم

كما انه يعتقد ان امه رومية حيث يقول :

وقيصر خالي اذا     عددت يوما نسبي

وعاش بشار في عصر خرج فيه مارد الحرية من محبسه فظهرت الوان من الجد والهزل وفنون من العادات والاخلاق والسلوك الشخصي والاجتماعي وكانت البصرة ـ وهي مسقط رأسه ـ تعج بصنوف من الرجال ذوي الرغبات والاخلاق المتناقضة فالى جانب اهل التصوف والدين هناك اهل البطالة والدعارة والمجون ..

وبشار اخذ حظه من كل شيء ، فجد مع الجادين وعبث مع العابثين وملا حياته بصخب وضوضاء وبلغ الستين من عمره وهو يقول ..

وحسبك اني منذ ستين حجة * اكيد عفاريت العدا واكاد

فهو يكيد ويكاد .. ويشقى بالمعاصرين .. ويشقون به .. وقد عاش ثلث حياته في عصر الامويين ... كما عاش ثلثيه في عصر العباسيين .. وفي كل عصر كانت له معارك صاخبة خرج منها منتصرا قويا وبذلك اكتسب شهرة ونبوغا ضرب بهما المثل

وكان بشار يخشى هجو امثاله من اهل الدعارة والمجون .. ولا يخشى هجو اهل التصوف والعفة .. فقد روى الرواة ان بشارا كان يعطي الشاعر الماجن المعروف بابي الشمقمق مائتي درهم كل سنة لئلا يهجوه ولئلا ينشر في الناس مساوئه .

كما انه كان يحضر مجلسا يجتمع فيه جماعة من الشعراء يتهارشون ويتماجنون حتى اذا اعياهم هجو الناس هجا بعضهم بعضا وسخر بعضهم من بعض وكان العبث فكاهتهم والمجون لذتهم ..

وكان ذلك سببا في اشتهاره بالمجون مع عصابته .. لكن العصر العباسي كانت لساسته اتجاهات في الدعاية غريبة .. فقد استغلوا مجون بشار ليزجوا به في حماة الانتقام ..!

نعم في حماة الانتقام السياسي ..!

كان بشار امويا في اعماق نفسه وقد نال عزا ومجدا ومالا في عصر بني امية .. وكان على صلة بولاتهم يمدحهم وينشر دعوتهم .. وقد حفظ الناس شعرهم فيهم ..

فلما ظهر العباسيون جامل ونافق ومدح الخلفاء العباسيين .. لكنهم كانوا ينظرون اليه نظرة احتقار وحقد وصغار ..!

ولما ثار الطالبيون عليهم كان من جملة الشعراء الذين مدحوا اهل البيت وحثوهم على اخذ الخلافة بدلا من العباسيين ..

تم كل هذا وبشار يظن انه يلعب على الحبلين ولكن العباسيين نصبوا له فخ الزندقة والالحاد .. فاشاعوا انه زنديق ، ومعنى الزندقة عندهم هو انه يظهر الاسلام ويخفي المجوسية .. وبذلك البوا عليه الناس عامتهم وخاصتهم وقتلوه .. سنة 167 هـ ..!! بتهمة الزندقة ..

هذا بشار في شخصيته .. اما بشار في ديوانه الذي تقدم اليوم طبعته الجديدة التي اخرجها « الشيخ

محمد الطاهر ابن عاشور » شيخ جامع الزيتونة .. فهو شيء آخر ..

ظل ديوان بشار مجهولا ومقبورا طيلة قرون وظل شعره موزعا مبعثرا هنا وهناك .. واول مجموعة شعرية ظهرت لهذا الشاعر هي كتاب « المختار من شعر بشار » وهي من تاليف مؤلف عاش في القرن الرابع الهجري ولكن هذه المجموعة كانت لا تضم الا نسبة ضئيلة من شعر هذا الشاعر الكبير.

وقد ظفر الشيخ ابن عاشور بجزء من هذا الديوان مرتب على الحروف من الهمزة الى الدال . فشرحه شرحا علميا مفيدا وقدم له بمقدمة علمية حلل فيها عناصر شعر بشار وترجمته ثم طبعه طبعة مثالية في الدقة والاهتمام ويصح لنا ان نقول ان هذا الديوان بهذه الصورة يمكن ان يكون نموذجا للاخراج العلمي في المغرب العربي .

فالشاعر يبدو من خلال قصائد الديوان شاعرا رصين الاسلوب قوي العارضة طويل النفس متين اللغة .. يذكرنا بزهير ابن ابي سلمى وطرفة والنابغة .. وتبلغ قصائد بشار في الديوان احيانا اكثر من مائتي بيت.. لا تجد منها الا الرصين الجزل القوي الاسلوب البليغ المعنى .. الصحيح اللغة والعروض ..

اما موضوعات الديوان او بالحرى هذا الجزء المنشور من الديوان فهي موضوعات متنوعة فيها الغزل بنوعيه العفيف والماجن .. وان كان النقاد يقولون ان بشارا لم يكن عفيفا ونحن هنا نعني عفة الشعر لا عفة الشاعر ..! كما ان في موضوعاته المدح والهجو والوصف والفخر والحماسة ..

اما ما يسمى بالزندقة بمعناها الالحادي فاننا لا نجد لها ظلا في هذا الجزء المنشور من الديوان .

وهناك ناحية لمسناها في قراءة شعر بشار وهي انه يؤرخ عصره تاريخا يكاد يكون كاملا ففي شعره تلمس صدى الاحداث التي مرت بالبصرة وبغداد والحجاز .. كما انك تجد به صدى الشخصيات العلمية والادبية والسياسية ..

ولعل صدور هذا الديوان يجعل نقاد الادب يراجعون ءاراءهم في بشار لا من الناحية الشعرية فقط .. بل ومن الناحية التاريخية ايضا ..

وقبل ان نودع الديوان نشير الى ان الدراسات التي ظهرت عنه من قبل كانت تعتمد على ما احتفظ به ابو الفرج الاصبهاني من شعر بشار في كتاب «الاغاني» وقد استطاع مخرج الديوان ان يميز بين شعر بشار الحقيقي وشعر بشار المتحول ..

لان كل شعر فيه هيام بالخمر والغزل نسب الى ابي نواس ..

وكل شعر فيه هجو ومجون نسب الى بشار .. وكان صاحب الاغاني يجمع كل ما قيل .. فلذلك كانت الدراسات رغم قلتها عن بشار تظهره بمظهر غير حقيقي ..

اما الصورة الحقيقية فهي صورته في شعر الديوان الذي يضم قصائد ما اجدر النقاد بدراستها من جديد وقد ربح الادب العربي من نشر هذا الديوان ربحا آخر وهو ان احد علماء الهند لما راى عمل الشيخ ابن عاشور .. قام يبحث في امهات كتب الادب المخطوطة والمطبوعة واخرج لهذا الديوان ـ ذيلا ـ جميلا انيقا استدرك فيه قصائد ومقطعات اخرى وطبعه في بيروت ..

وبذلك حظي بشار في السنوات الاخيرة بما لم يحظ به من قبل ..









للأستاذ ياسين رفاعية

كان علي ان اتسلل خارج الغرفة ، فان استهتار اخي يغيظني ، وخاصة عندما تكون سوسن بين الحضور ، انها زميلة لاختي ، وهي تزورنا كثيرا مع زميلات اخريات ، واخي محدث لبق كثير النكات والملاحظات الذكية .

وجهها طفولي رائع ، عيناها بنيتان ذكيتان ، ذات اهداب طويلة منثنية ، وشعرها ليل فاحم مرتم على كتفها الايسر في ضفيرة حلوة ، وكان قلبي يخفق بشدة كلما رايتها في البيت ، لم تكن تعيرني اي انتباه ، عكس اخي الذي كانت تناقشه في امور شتى ، وتضحك لنكاته اكثر من المالوف ، وهي تثني عليه بين الفينة والفينة بلهجة محببة كزنابق الربيع :

— رائعة يا مصطفى .. حلوة يا مصطفى .

وكان يزداد تحمسا فيروي احيانا نكاتا لا تستحق الضحك ، ومع ذلك كانت « سوسن » تضحك بحرارة واخلاص .

ولقد تمنيت من كل قلبي ان يتزوجها اخي في المستقبل كي اكون بالقرب منها دائما ، وان ادفن احساساتي العارمة نحوها في صدري ولا ابوح لاحد بما يختلج فيه .

قال اخي :

— تصوري يا سوسن لو انهم يمثلون فيلما عربيا عن احدب نوتردام ، الا ترين ان اخي يصلح لهذا الدور تماما ، انه لن يكلفهم في المكياج شيئا .

والتفتت سوسن واخواتي وبقية الفتيات نحوي ، كنت آنذاك قد فوجئت بملاحظة اخي ، فشعرت ان سكينا ذات نصل مرهف راحت تمزقني اربا اربا ويبدو ان وجهي قد اضحكهن ، فابتسمت خشية ان الفت نظرهن الى غيظي ، فاذا بضحكهن يزداد ضراوة ، كانت عيناي تشربان « سوسن » وهي تضحك وقلبي ينقبض بكآبة مفجعة ، وكنت اتمنى ان افسر ضحكها على انها مسرورة فقط ، ولكن الحقيقة صدمتني بمرارتها ، انها كلما تطلعت الى وجهي اغرقت في الضحك اكثر فاكثر ، بينما كنت اتمزق في الم حاد اكثر فاكثر .

في تلك اللحظة شعرت بعاصفة تجتاحني من الداخل ، فوددت ان اقفز واصفع اخي ثم اطرد الجميع من البيت واقول لسوسن :

— انت حقيرة ، لا تستحقين حبي الكبير .. اخرجي من بيتنا .. اياك ان تعودي اليه .

ولكنني لم استطع ان افعل شيئا ، فلم اجد بدا من ان احاول التسلل من الغرفة ، وانتظرت قليلا ريثما يسود المكان الهدوء .. كان اخي قد بدا يتحدث حديثا جديدا لم اكن اتبين نوعه ، كان همي آنذاك ان اجد طريقة للانسحاب دون ان الفت الانظار الى غيظي والمي .

وفاجأني اخي يسالني : الا ترى ذلك صحيحا يا احدب نوتردام ..؟

فقفزت من فوق المقعد ، ودون ان اتكلم وانظر الى احد خرجت من الغرفة كالقذيفة ، ثم صفقت بابها بشدة ، كانت ضحكاتهم المتواصلة تلاحقني حتى دخلت الغرفة الاخرى .

كنت احترق غيظا ، ان ثورة عارمة تسحق احساسي ، كنت اود ان احطم كل شيء .. وكدت امزق شفتي وانا امضغهما باسناني .

بدات اذرع الغرفة جيئة وذهابا .. بينما كانت قطة اختي الصغيرة ترمقني بنظرات قاسية .. وفجأة خطفتها من فوق الارض ، ورحت اضغط بيدي على عنقها ، كان مواؤها شديدا ، حاولت ان تتخلص مني ، عندما لم تستطع انشبت مخالبها بيدي ، فقذفت بها الى الجدار بشدة ، تكومت لحظات ، ثم هبت تختبيء تحت السرير وهي تموء مواءا حزينا .

كان الدم قد ارتسم كخيوط حمراء على ظهر راحتي ولقد بدت لي الغرفة وانا اذرعها جيئة وذهابا وكانها سجن يكاد يخنقني ، كانت بي رغبة ملحة فى ان اضرب الجدار براسي ، فالضحك ما يزال يصل الى مسامعي من الغرفة المجاورة ، ان نكات اخي لا تنتهي وربما يحدثهن الان عني .

لهيب المدفا ةالمتصاعد ، جو الغرفة الحار ، ودمي الذي يغلي فى عروقي ، هذه الاشياء كلها تجمعت لتجعلني بحالة لا تطاق وانا اتدحرج كاطار ضخم من المطاط .

كنت طفلا لم اتجاوز العاشرة ، وكان الزمن شتاء عندما كنت نائما بالقرب من المدفأة ، التي كان عليها ابريق الشاي ، كانت امي تنتظر الماء ليغلي فتصنع لابي شايا .. وغلى الماء حتى طفح خارج الابريق ، فاسرعت امي لتحمله عن المدفأة ، الا ان يدها لم تتحمل حرارته فانفلت منها وسقط ليندلق الماء المغلى على خدي وعنقي ناحية اليسار .

وصحوت من نومي صارخا ، وانا اتخبط يمنة ويسرة : « خدي .. عنقي .. آه يا ربي .. احترقت .. »

كان لهيب الماء الحار يسلخ جلد وجهي حتى عجزت عن الوقوف ، كنت اصرخ ودموعي تتدفق بغزارة وكلما حاولت ان اقف ، كنت اتهالك على الارض وانا احس بالم قطيع .. حتى لم اعد اعي شيئا .

اخذوني الى المستشفى ، ولما اعادوني الى البيت كان راسي حتى مؤخرة عنقي كتلة من الشاش الابيض ، كنت اتالم كثيرا .. حتى انني لم اعد استطيع النوم ، وبعد مدة لست اذكرها ، خلعوا عني الاربطة ، كنت طفلا ، فلم اهتم للتغيير الذي طرا على وجهي .

ومع مرور الزمن ، اصبحت ادرك الفارق الكبير بيني وبين اي مخلوق وعلى الاخص بيني وبين اخي الاكبر ، فقامتي متكومة على بعضها ككتلة من المطاط المضغوط وبدان قصيرتان منتفختان ، اما وجهي فقد زادته الحروق بشاعة ، فعيني اليمنى بها حول شديد ، اما من ناحية اليسار فقد بدا جلده المسلوخ مشدودا متداخلا فى بعضه ، وشقوقه كالاخاديد ، حتى ان فمي اصبح ملتويا بعض الشيء جهة الحرق القديم ، نتيجة للجلد المشدود حتى مؤخرة عنقي ، فكان الكلام يخرج ممطوطا كانه كلام ابله معتوه ، ان مجرد نظري الى وجهي فى المرآة ليرعبني حقا ، لكنه ابدا لم يكن يثير الضحك بقدر ما يثير الرثاء بل الاشمئزاز .

اما اخي الاكبر ، فانه على العكس مني تماما ، فارع الطول ، ذو جسد رياضي ، شعره مصقول كالحرير ، وقد نال شهادته الثانوية العام الفائت بتفوق كبير ، حتى انه كان فى مقدمة المقبولين فى الجامعة ، اما انا فقد تركت دراستي الثانوية فى سنيها الاولى ، لم اكن استطيع تفهم الدروس جيدا ، وكان الداعي الاكبر الذي دعاني لترك الدراسة ، انه لم يكن لي اصدقاء اقضي اوقات فراغي معهم ، ولولا السجاير التي كنت ادخنها منذ دخلت المدرسة الثانوية لما كان زميلي فى المقعد يجاملني حتى يحصل على سيجارة .

كان يغيظني كثيرا قولهم : ان الابناء يتشابهون ، فانا شاذ عن جميع اشقائي ، ولست ادري سببا لذلك .

انني اشارك اخي غرفته ، مما حدا به لان يجعلني تسليته وكثيراً ما كان يقول لي : الا يخاف منك رفاقك العمال يا احمد ، وكان عندما يلمح بي غيظا يقول : لاتزعل انني أمزح معك .. الا تحب المزاح ؟

كنت اعرف انني لا استطيع ان اتحداه ، فان ضربة واحدة من قبضة يده كافية لتكسر لي فكي .. ولقد بدا لي اخي منذ راح يعاملني معاملة المتفوق علي بغيضا الى نفسي ، وعندما ادرك انني اتالم كثيرا من مزاحه الثقيل ، اصبح يستغل ذلك على مسمع من امي واخواتي البنات اللواتي كن يقضين حاجاته عن حب ويقضين حاجاتي عن شفقة ، او هكذا خيل لي .

وكان هو يامرني كثيرا لقضاء حاجاته ، كنت اتمرد احيانا فاقول : الا تكف عن هذه المعاملة ؟ انني اصبحت كبيرا .. فيضحك كان احدا يدغدغه من

جنبيه .. ثم يقول : انك لن تكبر ابدا ، ستظـل هكذا صغيرا .. ويشير الى ذلك بساقه التي يرفعها قليلا عن الارض .

وجاءت هذه الليلة نهاية لطاقة احتمالي ، فقد جاءتني بتسمية جديدة ليضحك الناس الاخرون ، وقررت ان اضع حدا لهذه المأساة الليلة بالذات ، وليكن بعد ذلك ما يكون .

عندما دسست جسدي المضغوط تحت اللحاف كان الخاطر الرهيب قد تأصل في ذاتي وصار يلح علي الحاحا غريبا ، ولم انم ، كنت اهتز فزعا ، كانت عيناي منفرجتين حتى اعتدت الظلام وصرت ارى كل شيء واضحا ، كان اخي في السرير الاخر يغط في نوم عميق ، والساعة التي يضعها الى جانب سريره تدق دقات رتيبة لكنها في اللحظات الاخيرة ازدادت سرعتها كأنها تريد ان تتسابق مع خلجات قلبي العنيفة .

شددت من عزيمتي ، ثم تركت سريري ويدي الوسادة واقتربت من سريره ، كان نومه عميقا .. عميقا .. وقد تهدلت بعض خصلات من شعره على جبينه ، وعلى ثغره كانت ترتسم ابتسامة هادئة ، وبسرعة تخيلت فيما لو نفذت ما عقدت العزم عليه ، فماذا ستكون النتيجة .. لم يخفني السجن بقدر ما اخافني حزن امي وابي واخواتي ، انهم يحبونه اكثر مني ويبنون عليه آمالهم الكبيرة : سيكون طبيبا .. وستتحسن حالتنا اكثر ، خاصة وان ابي قد بلغ من الكبر عتيا .

تحرك اخي قليلا ، ففزعت ، وعدت الى سريري وانا العن هذا الخاطر الشيطاني الذي انتابني .

لم انم نوما هادئا ، كانت تجتاحني احلام مرعبة هائلة .. وانني لاذكر جيدا الحلم الاخير الذي كنت اصرخ فيه بصوت عال وانا اضغط على عنق اخي :

— سارتاح من احدب نوتردام وانتهي منك .

كانت عينا اخي الجاحظتان ترمقاني بقسوة ، ولقد بدا لي انه عاجز عن الحركة ، كان يحاول ان يخلص رقبته من قبضتي وهو يقول بصوت مخنوق كأنه الهمس : لا .. تقتلني .. يا اخي .. لا تقتلني .. احمد .. انت اخي .. كيف تقتلني ..؟

ولكنني لم استمع اليه ، ظللت اضغط ، حتى بدا يتهالك رويدا رويدا بينما كانت قطة اختي تموء مواءا حزينا متقطعا ، واصطبغ وجهه بلون ازرق باهت ، وبرز الزبد من بين شفتيه ، وبدت لي عيناه ككتلتين من جمر وراحت مقاومته تضمحل شيئا فشيئا .. ثم انهار .. ثم انهار .

عندئذ ، شعرت بفظاعة العمل الذي ارتكبت .. فركعت على ركبتي بالقرب من جثته ورحت اهزه بعنف : « اخي .. اخي .. مصطفى .. استمع الي .. ارفع راسك .. قل لي احدب نوتردام .. قل لي ما تشاء .. اخي .. مصطفى »

لكن مصطفى لم يتحرك ، بل ظل جامدا هامدا لا حياة فيه ! فمددت يدي الى شعره الناعم ، وغرزت اصابعي في حناياه ، ثم رحت ابكي بحرقة ، كنت ابكي، وشيء ما يقبض على قلبي ، ويهصره بعنف ، وصحوت على يد تهزني :

— احمد .. احمد .. قم .. ما بك يا احمد .

رفعت رأسي عن الوسادة واذا بي وجها لوجه امام اخي .. وقد ارتسم على محياه قلق مشوب بحنان عميق ، ثم مد يده وصار يمسح دموعي المنسابة بباطن كفه :

— احمد .. احمد .. هل انت بخير ..؟

**دمشق : ياسين رفاعية**




للاستاذ :
محمد زنيبر

ابتسم المعلم العربي حينما نطق صديقه المعلم مصطفى بهذه الكلمة بالعربية الفصحى : « بحر لا ساحل له » . وهي كلمة تتردد على لسانه كثيرا كلما بدات نشوة « الكيف » تتصاعد الى راسه وتسري الى سائر اعضاء جسمه . ففي ذلك الوقت يصير كل شيء « بحر لا ساحل له » الغناء ، السمك ، العسل ، ام الحسن .

والتفت المعلم العربي الى جهة السقاية العمومية التي هجرها المستقون فى هذه الساعة من الليل ، فصار ماؤها المنسكب يسمع ويوحي بالجنات والرياض والنزهة . ثم نبهه المعلم مصطفى من غفلته : « سبحان الله . هل كنت فى بحر لا ساحل له ؟» فالتفت الاخر ضاحكا فرآه يمد اليه القليون وقد توهجت راسه فى هذا الظلام الذي لا يخفف من حلكته الا ضوء المصباح الكهربائي المتسرب من داخل المقهى البلدي .

كانا جالسين ، على عادتهما اليومية ، فوق الحصير الذي يفرشه رب المقهى لزبنائه على الرصيف الواسع لهذا الشارع الضيق وهما متلففان فى جلبابيهما الداكنين لا يرى منهما الا استدارة وجهيهما وأمامهما فنجانا القهوة اللذان يرتشفان منهما برفق واحتياط حتى لا تعوزهما « الدكة » عند آخر غليون يتناولانه .

وكانا يلتقيان كل يوم تقريبا فى المقهى عند غروب الشمس بعد ان يقفل المعلم العربي دكان تجارته ، ويغادر المعلم مصطفى معمل الدباغة الذي يشتغل فيه . ويصلان الى المقهى عابسين من اجهاد النهار وتعبه . ثم يبدآن بالتشكي من الزمان ويستعرضان مشاكلهما مع المراة والاولاد والبقال . ثم تخف حدتهما شيئا فشيئا وهما يمتصان من القليون الذي يلعب اكبر دور فى اسمارهما ، وتتحول المشاكل شيئا فشيئا الى مسليات ، ونكات يضحكان منها ، ثم يكتشفان فلسفة السعادة حينما تتراءى لهما وسط نشوتهما العارمة تفاهة ما كانا يشتكيان منه .

وبعد ان تناول المعلم العربي القليون ، سأله المعلم مصطفى : « فيم كنت تفكر ؟ »

— آه ! فى لا شيء .. كنت انصت الى السقاية وافكر فى الكيلومترات التي اقطعها كل يوم ذهابا وايابا على رجلي بين الدار والدكان .

— واين الباس ، يا اخي ؟ تتفرج فى الشوارع وتاخذ حظك من الرياضة كل يوم بالمجان . وفوائد الرياضة بحر لا ساحل له .

— دعنا من المزاح ، انني بدات افكر فى شراء دراجة .

— انت الذي تمزح . ومتى كنت تحسن الركوب على الدراجة ؟

— منذ زمان بعيد . اني لا اتصورك راكبا على دراجة .

— لانك الفت ان لا تراني جالسا معك على هذا الحصير .

— على كل حال ان المنظر سيكون مضحكا . بحر لا ساحل له !

— وانت ؟ هل تحسن الركوب على الدراجة ؟

ـ نعم . ويمكنني ان ادخل معك فى مباراة اذا شئت . ولا زال عندي اطار دراجتي القديمة .

ـ ماذا تقول ؟ عندك اطار ؟

ـ نعم . هل تريده ؟

ـ هذا والله هو الحل . آخذ منك الاطار ، ثم مع مر الايام عندما اوفر بعض المال اشتري العجلتين والسلسلة والمقود والسرج وسائر القطع الاخرى .

ـ ان كنت تريده . انا ابيعك اياه بثمن الاخوان

ـ كم ؟

ـ عشرة دراهم

واتفق الرجلان . وفى الغد تسلم المعلم العربي اطار الدراجة ووضعه عنده فى الدكان فوق رف مرتفع . وبعد اسبوعين استطاع ان يوفر ما يشتري به المقود . وكان فرحا عندما التقى بصديقه فى المقهى وبشره بذلك . ثم مرت اسابيع اخرى وامكنه ان يشتري الحصار والجرس ، وكانت جلسة مرحة على حصير المقهى . ثم مضت ايام اخرى والتقيا من جديد وكان المعلم العربي واجما فاستنهضه المعلم مصطفى قائلا :

« هيه ، يا معلم العربي . طير عنك الهم . املا لنفك غليونا . لا باس على الدراجة ؟

فاجابه الاخر بصوت بعيد ـ آه ! الدراجة لا باس عليها . ولكن ..

ـ ولكن، ماذا ؟

ـ خلني ساكتا . الكلام كثير والسكوت احسن .

ـ حقا ، حقا .

وفهم المعلم مصطفى ان صديقه سيفضي اليه بسره من بعد ، ولكنه الان كالحامل التي تترنح وتتوجع فى وقت المخاض والتي ستخرج ما فى بطنها بعد قليل . فلم يعلق المعلم مصطفى بشيء وانما سكت وملأ الغليون الاول وناوله لصاحبه وهو ينظر اليه بابتسامة ماكرة . وفى تلك الاثناء جاء صاحب المقهى بكاس الشاي المنعنع . فتناول المعلم العربي كاسه الساخن وصار «يدك» به دخان الغليون الى ان اتى على ما فى جوف « الشقف» فى مصتين قويتين . واعاد له المعلم مصطفى الغليون مملوءا مرة ثانية وهو يقول :

ـ حقا ، يا اخي ، ان هموم الدنيا كثيرة .

فاجابه الاخر بسخرية ـ ومن اين لك ان تعرف الهم انت ؟ من ليس له اولاد لا يعرف الهم .

ـ انت غالط . انا همي هو قلة الاولاد .

ـ وانا همي هو كثرتهم . احمد الله ، يا اخي .

ـ مولى الملك قادر على القيام بملكه سبحانه . وقدرته بحر لا ساحل له .

ـ نعم ، نحن مؤمنون مسلمون . ولكن ضع نفسك يا اخي فى مكاني . تدخل الى بيتك فتجد خمس بنات كبراهن اصبحت امراة فى سن الزواج . وتاتي زوجتك لتخبرك انها حامل من جديد ، ماذا تفعل والدنيا هي الدنيا والحال هو الحال لا تنتظر مالا من احد ولا عطفا من اي جهة ؟

ـ فنظر اليه المعلم مصطفى وقد غلبته بسمة الانتصار وقال :

ـ اهذا الذي يقلقك اليوم ويدفع بك الى السكوت ؟ ومن يدريك ، يا اخي ، ان ربنا سيرزقك ولدا تقر به عينك وتجده ولدا برا عطوفا عند الشيخوخة ؟ هذا خبر يجب ان تفرح به وتهتف له .

ثم ملا الغليون الثالث ومده اليه وهو يقول :

ـ انا لا اشتهي لك ان تكون فى مكاني تدخل الى بيتك مثل الحية الى جحرها فلا تجد الا زوجك التي الفتها والفتك ومللتها وملتك صورة واحدة تماسيها وتصابحها ، صوت واحد يرن حولك فى كل وقت ان خرجت وتركتها فى البيت، خافت، وان رجعت اليها لتؤنسها نفذ الحديث وقنطت ، ولكن ، هل لنا غير الصبر ؟

وسكت الاثنان لينصتا برهة الى ماء السقاية الهاطل فوق حوض الزليج . كان المارة القليلون فى تلك الساعة يتراءون فى الضوء الخافت المتسرب من داخل المقهى كالاطياف الغريبة التي تعبر الاحلام والتي تظهر سعيدة فى حركتها ومشيتها .

ونطق المعلم العربي وقد انبسطت اساريره وتساوت قعدته :

— نعم . وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم . . والله اننا لحمقى ، نحن معشر بني آدم . لقد انتهرت امراتـي المسكينة وشتمتها لما ابلغتنـي الخبر .

— وكان يجب عليك ان تشكرها وتواسيها هـي التي ستقاسي الحمل تسعـة شهور . هيـه ! الحمل بحـر لا ساحل له !

وهبت نسمـة لطيفـة دافئـة منعشـة ، فقال المعلم العربـي :

— ليلـة معتدلة لا حرارة ولا برد فيها . ما قولك في ان نلعب « الضامـة » ؟

— والله انها لفكرة حسنـة .

وما هي الا برهـة حتـى اتاهما صاحب المقهى بلعبـة « الضامـة » فقعدا يلعبان ويتداولان الفليون وما هي الا نصف ساعـة حتـى صـارا يضحكـان ويتبادلان النكات ويتمازحان . وتركـا « الضامـة » برهـة . فقال المعلم العربـي :

— اي فكرة نطلب من صاحب المقهى ان يجـدد لنا كاس الشـاي وان يسمعنـا اسطوانـة «الحراز» والحسـاب علي ما قولك ؟

— فكرة طيبة ، ولـكن نقتسـم المصاريـف . والمناصفة تطيـل المعاشرة كما يقول المثل .

وناديا صاحب المقهى فاتاهما بكاس تـان الشـاي ، خلافا لما تعوداه وحرك آلة الاسطوانـات الراديوفونية واذا بقصيدة الحراز ترن في اذنهما وهمـا يناغيـان انغامها ويؤديان نقراتها بكفيهما ويعيشـان بخيالهما حوادث القصيـدة الغراميـة .

ومرت الايام سراعا وانشغل المعلم العربـي عن الدراجة بما دهاه من هذا الحمل الجديد . لكـن المسافة الطويلة التي كان يقطعها كل يوم راجلا من بيته الى الدكان كانت تذكره بضرورة ايجاد حل للمشكلـة ولم يقدم على التفكيـر في اتخاذ دراجـة حتـى استعرض في ذهنه كل الحلول الممكنة . فبدا لـه اول الامر ان يحول دكانـه الى جهـة قريبة مـن بيته . لكن الحي الذي يقطن به اغلب سكانـه ضعاف ومـن الصعب ان يروج بضاعته بينهم . كما تراءى لـه ان يحـول سكنـاه الى موضع قريب من دكانـه . لكـن سعـر الايجـار في ذلك الحي غال عليـه . اما ركوب الحافلـة في كل وقت فكـان يرهقه ماديـا .

لم يبق له ، اذن ، الا ان يمتلك دراجـة . لكنـه اتخذ اطول طريق للحصول على مبتغـاه . وفي كـل صباح عندما يفتح دكانـه ينظر الى الاطار الموضـوع فـوق الرف فينقبض قلبه لمنظر تلك الدراجـة الناقصـة المشوهـة . وبسم له الحظ في هذا اليـوم بعد غيـاب طويـل ، اذ اقبـل عليـه احـد ابناء البلد وطلب منه ان يصنـع له مكتبا وبعـض الكراسـي . وما ان تناول منه العربون حتـى انزل الاطـار وذهب به الى دكان لاصلاح الدراجات وطلب مـن صاحبه ان يركب له عجلتيـن وسلسلة. وساق الدراجة امامـه بعد ذلك وهو منتصر نشوان ينظر اليها باعتزاز . لقد كادت ان تستكمل اجزاءها ولم يبق لها الا السـرج وبعض القطع التكميلية . ورتبهـا في زاويـة مـن دكانـه واشعل غليونه وظل ينظر اليهـا حالمـا لا يتزعزع من مكانـه . ثم استانف عمله بنشـاط .

وفي الليل كان يجلس الى جانب صاحبه مثرثرا، ضاحكا . وكانت مناسبة اخرى للسمر اللذيذ وسماع قصيـدة « الحراز » .

ومضت شهور والحظ الضئيل بين مد وجزر مـا يكـاد يومض للمعلم العربـي ابماضته الخفيفة حتـى يختفي ويغيب ويطيـل الغياب ، فيسلي نفسه ويمـلا وقتـه بصنـع القباقب والصنيديقات والموائـد الصغيرة عسى ان يجد من يبتاعها منه في « سـوق الغزل» و لاينسى ضوضاء السوق ومشاحناتـه ومضايقات العيش والمنزل والاسرة الا في تلـك السـاعة التي يجلس فيها فوق الحصير الى جانـب صديقه ازاء السقايـة ذات الماء المنهمر وعلى ضـوء المقهى الشاحب .

وفي ذات ليلة كان المعلم مصطفى جالسـا علـى عادتـه في المقهى عند الغروب ينتظـر صاحبه ، ولكـن طال به القعود ولم ير صاحبه مقبلا ، فصار يتململ في مكانـه . واشعل غليونه لكنه لم يستسغه في غيـاب صاحبه . وتيقـن انـه لن يأتـي ، فقام على الفـور وذهب يبحث عنه في البيت .

وسار يتحسس طريقه وسط الظلام والاوحـال الى ان لمح المنزل الصغيـر المتواضع الذي يشبـه الصندوق لانه بدون نوافذ فهب الى الباب وطـرق طرقة خفيفة . فخرج المعلم العربـي وعليـه امـارات الدهشة والارتياع . فقال له المعلم مصطفى :

— «مساء الخير ، يا اخي ، لقد هالنـي غيابك .

ــ آه ! المعلم مصطفى . ما كنت اعتقد ان الطارق هو انت وخشيت ان يكون البقال .. ادخل ، ادخل

ــ لا . دعني انصرف . كنت اريد ان اطمئن عليك قبل ان اروح الى بيتي .

ــ ولكن ، ادخل . فليس هنالك اي مانع .

ــ طيب .

ودخل الرجلان الى حجرة صغيرة وجلس المعلم مصطفى على فراش من القش مغطى بثوب نظيف مخطط ، ولمح على الفراش المقابل ثلاث بنات صغيرات مغطاة بملاءة بالية . كانت صغراهن لا تزال مستيقظة فحدجت المعلم مصطفى بعينيها الذكيتين وقالت :

« عمي .. امي ازدادت عندها بنت صغيرة وسيأتي بابا بالخروف

ــ صحيح ، يا بنيتي ؟

ــ والله ، يا عمي ، وسنسميها جميلة

وعاد المعلم العربي ومعه الصينية تحمل الشاي وبعض الارغفة الملوية المسمنة . فابتدره المعلم مصطفى قائلا :

« لم تكلف نفسك ، يا معلم العربي ؟

ــ خلنا من الكلام الفارغ ، ليس هناك اي تكليف ولا شيء

ــ قل لي . صحيح ان صاحبة البيت وضعت فاطرق الاخر واجاب

ــ اي والله صحيح . وهذا سبب غيابي عنك

ــ لو كنت اعلم ذلك من قبل لوجهت لك مولاة الدار عندي لتساعد زوجتك وتواسيها وقت الولادة .

ــ آه لقد فوجئنا منذ الصباح الباكر وخرجت ابحث عن القابلة في الظلام . وما اتيت بها الى البيت حتى كان كل شيء قد تم

ــ الحمد لله . ما دام الكل بخير . وماذا رزقت هذه المرة ؟

فنظر اليه الاخر ، وقال متنهدا :

ــ بنت ، ككل مرة

ــ الحمد لله ، البنت برزقها

فرد عليه الاخر بصوت بعيد :

ــ نعم .. الحمد لله .

ــ اذن ، لم تشتغل اليوم ؟

ــ وكيف اشتغل والمسافة بعيدة والمراة محتاجة الى من يساعدها ومن يخبر احبابها ومن يمرضها ؟

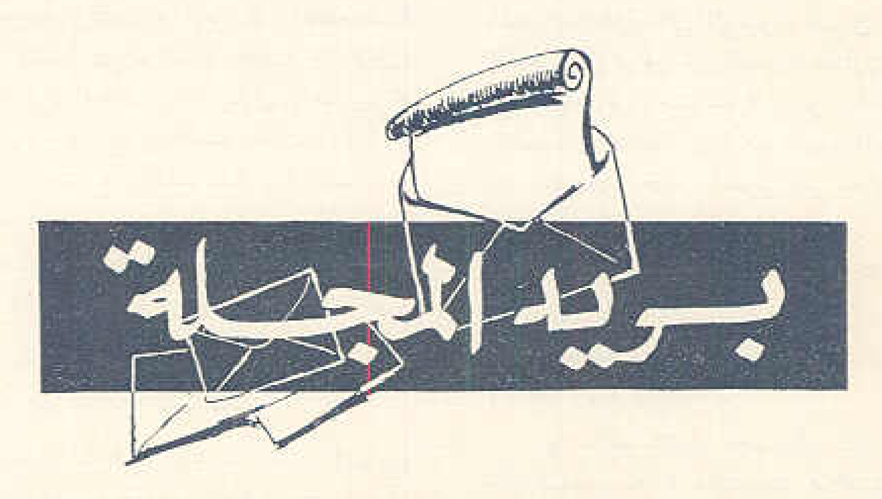
ــ والدراجة ؟ الم تقل لي انه لم يبق لك الا السرج لاكمالها فنظر اليه المعلم العربي متضايقا :

ــ آه ! دعنا من حديث الدراجة ! لقد دفعتها للبيع في هذا الصباح .

وسكت الاثنان وظلا واجمين ، ثم هويا على الارغفة والشاي وهما يسترقان النظر من حين لآخر الى الفليون الممدود فوق المنفضة والكيس الاحمر المخطوط بجانبه .

**سلا ــ محمد زنيبر**






**نقدم لقرائنا المحترمين فى ركن « بريد دعوة الحق » كعادتنا خلاصة لبعض الكتب والرسائل والنشرات التي تلقيناها خلال هذا الشهر . وحرصا منا فى افادة القاريء الكريم المتعطش لكل ما جد فى ميدان المعرفة والثقافة فاننا لا نبخل عليه بأي جهد لتقديم ما يشبع رغبته ، ويحقق اشواقه .**

## تلاميذ المسيح على منبر الاسلام

كتيب صغير ، عبارة عن رسالة قدمها حسين شمس الدين مفتي زحلة ، والبقاع الى ابناء الامة العربية والاسلامية فى كل مكان

وهذه الرسالة عبارة عن مجموعة من عشرات الكتب والمجلات والرسائل والمحاضرات قام بها نخبة من احرار المسيحية من قادة الفكر والعلم والادب من ابناء لبنان وسوريا واروبا وامريكا بعد ان درسوا الاسلام والقرآن وتاريخ الرسول العربي العالمي محمد رسول الله « ص » ، وبعد أن غاصوا وتعمقوا وحلقوا ودققوا ، وبعد ان علموا علم اليقين ان محمدا رسول الله خاتم النبيئين وانه وارث رسالات عيسى وموسى وابراهيم ، هنالك دفعهم واجب الانصاف والحقيقة والاعتراف ، ان يصعدوا على المنبر ، منبر الاسلام ، ولم يقولوا قولة من قبلهم : « انا وجدنا آباءنا على أمة، وانا على آثارهم مقتدون ! » بل صاحوا صيحة الحق للناس جميعا ، ايها التائهون من هنا الطريق طريق محمد رسول الله ، وهو الطريق الذي سار عليه عيسى وموسى وابراهيم ، وهو الذي ارسله الله رحمة للعالمين ....

ثم اخذ يستعرض الاستاذ حسين شمس الدين كلمات مأثورة عن اكابر علماء المسيحيين المنصفين كالعلامة الكبير والقانوني الشهير ، رئيس المجلس النيابي السوري ، ورئيس مجلس الامن فى هيئة الامم المتحدة سابقا فارس بك الخوري ، والاستاذ الفيلسوف الاديب المفكر العلامة لبيب الرياشي ، والشاعر اللبناني العربي الثائر المهاجر الاديب الكبير الاستاذ رشيد سليم الخوري الملقب بالشاعر القروي، والاستاذ الكبير نظير زيتون ، والاستاذ البحاثة جورج شدياق ، والاستاذ العلامة السيد نجيب نصار، والاستاذ جبرائيل جبور ، والاستاذ الياس ابى غنام، وبهجت المنصور ، والمفكر الكبير عبد المسيح انطاكي، والكاتبة المفكرة الاديبة املى فارس ابراهيم ، والفيلسوف العلامة الجريء الدكتور شبلي شميل اللبناني ، ومارون عبود ، وفليب حتي ، والاديب الشاعر الرقيق رياض المعلوف العضو الحي فى نادي القلم الدولي والعصبة الاندلسية ، و ....

وقد اشادوا جميعهم بحياة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وانه نفحة طيبة عطرت اجواء جزيرة العرب والصحراء ، ومرت مرور النور ، فطردت غشاوة الظلمة عن العيون ، وان شريعته شريعة الحق والعدل والانصاف والخير والنصح والحكمة ، وانه « ص » اتى باصلاحات احدثت فى الامة العربية تقدما بعيد المدى ، ذا تاثير عظيم بصورة اصبح محمد ص معها يعد من اكبر المحسنين الى البشرية الى الآن .

فقد قال الاستاذ الكبير حنا خير الله اللبناني :

« يكفي النبي العربي محمدا عظمة انه خلد اللغة العربية وقدسها واوجب على جميع اتباعه تعلمها ، اذ لا تجوز الصلاة للمسلم ايا كان جنسه ولغته بغير العربية اللغة الربانية الرسمية ، فضمن بذلك الخلود

الابدي للقومية العربية واللغة العربية والجامعة العربية ، لقد انشا مدنية بهرت العالم قاطبة ولا تزال، ولن تبرح ابدا موضوع اعجاب واجلال واحترام فلاسفة الكون باسره ووضع شرائع مقدسة للزواج والحرب والارث والاجتماع والسياسة والاقتصاد والقصاص والديات ، وما برح مشرعوا العالم ومصلحوه يهتدون بهديه ، ويسترشدون بهذه الشريعة السمحاء فى سن الشرائع ، ووضع القوانين.

وقال العلامة الشهير الاستاذ المسيو بلانتيه الفرنسي فى موقف من مواقفه الحاشدة :

« ان النبي محمدا من أبرز واشهر رجال التاريخ، فقد قام بثلاثة اعمال عظيمة دفعة واحدة ، وهي انه :
1) احيا امة ، 2) وأسس دينا ، 3) وانشا امبراطورية عظيمة .

## « النور ياتي من الشرق »

تحت هذا العنوان القى الدكتور يهوذا احد علماء التاريخ فى الجامعات الاروبية الكبرى محاضرة في الجامعة الامريكية فى القاهرة ، قال :

اخذ الناس يدركون الآن ان اروبا فى القرون الوسطى مدينة للحضارة الاسلامية التي اعترف منها اليهود والمسيحيون على السواء ، اخذ الناس يفهمون الآن ان العلوم الطبيعية والقوانين الاساسية فى الفلسفة والرياضيات والعلوم العمرانية كانت تستمد روحها فى زمن النهضة والاصلاح من ذلك المنهل العذب الا وهو الحضارة العربية الاسلامية ، وصار علماء اليوم كلما تعمقوا فى دراسة هذه الحضارة ادركوا اثرها البليغ فى حضارة اليوم ، واكتشفوا مآت الكلمات الداخلة فى اللغات الاروبية من ايام تلك الحضارة العربية ... »

ولا يمكن ان تمر بالكتاب دون ان نعرج على ماقاله الفيلسوف الاجتماعي غوستاف لوبون : « ان القانون الفرنسي المعروف بكود نابليون ، قد بنيت احكامه على اساس كليات وقواعد الشرع الاسلامي ، وهذا القانون فى اروبا له من الشهرة والشيوع والنفوذ ما يفوق الوصف ، وقال : ان النبي محمد العربي اول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين »

وصدق الله العظيم : « ... ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا ، الذين قالوا : انا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ، ورهبانا ، وانهم لايستكبرون ، واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع ، مما عرفوا من الحق ، يقولون ربنا آمنا ، فاكتبنا مع الشاهدين ، وما لنا لا نومن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ، فاثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ، وذلك جزاء المحسنين .

## الاسلام فى كتابين جديدين

نشرت « اضواء » الباريسية فى صفحاتها لشهر ابريل تعليقا حول « الاسلام فى كتابين جديدين » بقلم الاستاذ رواد طربية .

والكتاب الاول يحمل عنوان « الاسلام والراسمالية » تاليف ماكسيم رودنسون 1966 صفحة 304 Islam et capitalisme, par Maxime Rodinson (Le Seuil)

والثاني « سنن وقيم فى الاسلام المعاصر » Normes et valeurs dans l'Islam contemporain تاليف سبعة عشر اختصاصيا بينهم جاك بيرك ، وجان بول شارني

وتعميما للفائدة احببنا ادراجه فيما يلي :

من السهل ان نقول أن الدين ظاهرة هامشية لدى الافراد والمجموعات البشرية ، ومن الصعب أن نقيم الحجة على ما نقول . كما ان من غريب المفارقات انصبابنا على دراسة الديانات فى اعتمالاتها جميعا يوم يزداد الى حدود الاغلبية عدد النخبة الواعية التي تنكرت لكل معتقد ديني . اترانا نحن دائما الى غير ما نحن عليه ؟

ومهما يكن من امر ، فقلما طالعتنا دور النشر الفرنسية بمثل ما تطالعنا به فى السنوات الاخيرة ، كما وكيفا ، حول الاسلام . كأنما كان استقلال البلدان الاسلامية حافزا للاهتمام بها بدلا من اهمالها بعد تحررها من سيطرة الغرب المباشرة ، وكأنما كانت علمنة العلم والادب فى اوروبا عاملا لتفحص شؤون الاسلام بدلا من اعتباره ظاهرة متهافتة خلقتها عصور التعمية والجهل .

وهكذا فان الذي يتتبع عن كثب حركة النشر فى فرنسا يكاد لا يمر به اسبوع دون ان يقع على كتاب لم يجف حبر طباعته بعد يتناول العالم العربي او الاسلامي ، تاريخا وجغرافية واقتصادا وسياسة وادبا وما اليها . فيحتار فى ايها يختار ، وكلها تقريبا رصينة عميقة . على ان الاختيار هو سبيلنا الوحيد الى الاستيعاب والا فاننا نكتفي بالعب وحده فيفوتنا التمثل وتكثيف الذات .

وقد اخترنا لمراجعة خاطفة على صفحات « اضواء » كتابين فرنسيين جديدين يجمعان بين الكثافة والرجحان . انهما « الاسلام والرأسمالية » تاليف ماكسيم رودنسون ، ثم « سنن وقيم في الاسلام المعاصر » تاليف سبعة عشر اختصاصيا بينهم جاك برك وجان بول شارني .

« الاسلام والرأسمالية » كتاب جامعي بمعنى ان صاحبه استاذ جامعة . فالبروفسور ماكسيم رودنسون هو استاذ اللغة الحبشية القديمة واللغة الحميرية في معهد الدراسات العليا في السوربون ، بالاضافة الى دروس يلقيها في أصل شعوب الشرق الادنى واخلاقهم وتفرقهم شيعا واجناسا . وهو خبير بشؤون العرب والاسلام عن دراسة وتجربة . فقد صرف في الشرق سبع سنوات يعلم ويعمل في مصلحة الاثريات في بيروت . وليس من يجهل ميول البروفسور رودنسون التقدمية اليسارية المناوئة للاستعمار . لقد كان مديرا لمجلة ( مويان اوريان ) اعني « الشرق الاوسط » ونشر المقالات العديدة حول الشرق المعاصر والاسلام وتاريخ افريقيا واللغات السامية وعلم الاجتماع ، بالاضافة الى سيرة النبي العربي ومجموعة تتعلق بفرقة الحشاشين .

وهكذا فان الكتاب الذي طالعنا به أخيرا « الاسلام والرأسمالية » يجمع بين رصانة استاذ السربون وتحرر المفكر الماركسي الثائر . يجمع بينهما في توازن راسخ اي في تعادل بين الكفتين فلا ترجح الواحدة على الاخرى بل نشعر بأن الدم الثوري الحار يتدفق في تلافيف الدماغ المحلل الواعي المترصن . ثم الى نزعة المؤلف العلمانية التي قد تسيء الى تفهم الدين من الداخل ، الى تفهم الاسلام ، هي معدلة بتعاطف شديد نحو العالم الاسلامي ، تعاطف اظهره المؤلف علانية ايام محنة العرب بالغرب ، ولا يزال يظهره في كل سانحة .

قلنا ان « الاسلام والرأسمالية » كتاب قائم على قاعدتين ثابتتين هما الرصانة والتحرر . وهو ايضا يتوجه بعدل الى قطاعين مختلفين ، قطاع النخبة الاسلامية المثقفة التي تحاول وعي مصيرها ، وقطاع المثقفين الاوروبيين الذين يهتمون بالعالم الثالث عامة والعالم العربي بنوع اخص .

بدا الكتاب بوضع الامور في مواضعها فيحدد الرأسمالية التي يذهب الناس في تحديدها كل مذهب ، ثم يحدد الاسلام من خلال القرآن والسنة . بعدها يتفحص تداخل الدين بالدنيا ، أي التاثير المتبادل أو التفاعل الحقيقي بين الاقتصاد والاجتماع من جهة ، والاسلام من جهة ثانية . ثم يخلص الى القول بان الرأسمالية هي من صادرات أوروبا الى العالم العربي ، لا من جوهر الاسلام . كما ينتهي به التطواف الى ان نهضة الدول العربية الحديثة تمر بالاقتصاد اكثر منها بالله ، مما يعيد الى ذهننا ان المؤلف ماركسي النزعة ، وانه يعد كتابا جديدا عنوانه « الاسلام والماركسية » .

قد تكون النتيجة النهائية الكبرى الوحيدة التي خلص اليها البروفسور رودنسون هي ان الراسمالية ليست من صلب الاسلام . أما النتائج الاخرى فانها ، رغم معالجتها بصرامة الباحث المنقب ، او لاجل هذه المعالجة ، قلما تقودنا الى التقرير والتاكيد . فباب العلائق بين العقيدة الدينية والدربة الاقتصادية يستمر مفتوحا ، وكذلك دور الانسان ودور النظريات والافكار في تاريخ البشرية . ثم يتساءل المؤلف : هل يمكننا ان « نستخدم » الاسلام في سيرنا نحو الاشتراكية ؟ هل يمكن الماركسية ان تمثل دورا فعالا في المجتمعات الاسلامية الحاضرة ؟

اسئلة عديدة يكفي مجرد طرحها وتحليلها وتعليلها لايقافنا على أن حسن طرح السؤال قد يغني احيانا عن الجواب القاطع . وهل هناك اجوبة قاطعة في عالم الانسان المتماوج المتطور ؟

هذه الاسئلة المنفتحة هي مدخلنا الى الكتاب الثاني الذي نواجهه اليوم : « سنن وقيم في الاسلام المعاصر » . لا من حيث حسن التخلص والانتقال بل من حيث واقعية الامور . وهل كان بمقدور الاختصاصيين السبعة عشر الذين انطوى الكتاب على نصوصهم أن يتخطوا مرحلة السؤال ، مسالة طرح القضية ، الى اصدار الاحكام النهائية في الميدان الذي تطرق اليه كل منهم ؟

هؤلاء الاختصاصيون هم جاك برك ، جان بول شارني ، ادونيس ، جان عمروش ، فيكتور برجه فاشون ، ماري برنار بلدى ، فرنسوا بونجان ، هنري قربان ، بول غي ، محمد حميد الله ، ميشال حايك ، القاطفي ، غبريال لوبراس ، جان ماغنان ، ناصر بكدامان ، عثمان يحيى .

تعداد هذه الاسماء دلالة ، وحده ، على فسيفساء الكتاب . بمعنى ان الدربات تختلف باختلاف اصحابها ولكنها تأتلف في مرماها الاخير ، اعني في الحوافز

حولها الاخذ والرد . هذه الكلمات هي مادة الكتـــاب الذي بين ايدينا ، وهي مبوبة في ثلاثة فصول : التعميق الاسلامي ، مجابهته التيارات الاجنبية ، افادته مـــن هذه التيارات .

وقد كانت حرب الجزائر بدا قدراء ازاحت عـن عيون العالم غشاوة طالما منعته من رؤيـــة العالـــم الاسلامي على حقيقته . فالمستضعفون هم دائمـا الى الجهل والاهمال . ويقيني ان الاختصاصيين الذيـن مـر ذكرهم ما كانوا ليجتمعوا مرة بعـــد مرة لـــولا الحماسية الجديدة التي نشأت عن حرب الجزائـــر ، اذ ان الاستعمار لم يكن يوما اقوى منه في هذه البقعـة من العالم الاسلامي ، ورغم ذلك لم يتم الانصهار الذي توخته فرنسا . بل ان هذه الحرب كانت دليـلا على روح المقاومة الدائمة التي يتحلى بهـا الاسلام ليحتفظ بطابعه وشخصيته المميـزة .

ما هذه الشخصية ؟ باي شيء تتفرد ؟ هل هـي انفتاح ام انغلاق ؟ هل افادت مما لقحها به الاستعمار ام استمرت متعزلة كجزيرة في محيط ؟ انها بعـض الاسئلة التي يحاول الاجابة عنها هذا الكتاب الـــذي نتصفحه الآن . فهو يرى ان الاصالـــة غير الانعزالية وان الاسلام هو مجموعة عضوية يأتلف فيها عدد كبير « السنن والقيم » الدينية والاجتماعية والثقافيـة . وكما ان قوة اللغة العربية في الاشتقاق ، كذلك قـوة الديانة الاسلامية في قدرتهـــا على تمثـــل المعطيات الاجنبية واظهارها بمظهر الاصالة النابعة من الذات .

هذا ما شاء توضيحه هـؤلاء السبعـــة عشر اختصاصيا بشؤون الاسلام ، سواء منهم المسلمون او الاوروبيون ؛ الادباء او الفلاسفة او رجال القانـون أو اللاهوتيون أو علمـاء الاجتمـــاع .

وليست الكلمات التي اثبتوها هنا كلمة الفصـل في الموضوع الذي نعالجـــه . انهـــا تخطيط ورؤوس اقلام . وهي أحيانا للاستماع اليها ، نظرا لعفويتهـــا البعيدة عن الصياغة ، لا لقراءتها كمقالـــة متكاملـة السبك والحبك . على ان في كل منها افكارا نيرة فذة قلما تقع على مثلها في كتاب براسه . منها كلمة ميشال حايك في دور المسيحية بالادب العربي ، فكأنـي بهـــا تنتقل بنا من القومية الى العالمية ، من محدودية اللغة والرقعة الجغرافية الى منفسحات العالم الافيح . اما الطرافة والعمق فهما دائما حليفا قلم الاستاذ بـرك ؛ واما التنسيق والتوضيح والتفحص الواعي فقد عودنا اياها السيد شارني .

والمؤثرات التي تبدل وجه العالم الاسلامـي المعاصر . فقد كان يجتمع هؤلاء الاختصاصيون ، دوريا ، بيـن سنة 1961 و 1964 ، فيلقي أحدهم كلمته ويـــدور كتاب غزير المادة اذن ، عميم الدلالة والنفع .

## رواد طريبـــه

### مـــن الهنـــد :

كتب الينا الاستاذ محمد ابو الجلال عميد الكلية الاسلامية رسالة ينوه فيها بمجلة دعوة الحق ، ويثني على جهودها ، مبديا اعجابه وتقديره للعاملين بهـا .

ومما جاء في كلامـــه : « قرانا في مجلتكم القراء ما جاء فيها من التعريف بكتاب « الجامـــع المقـرب النافع المعرب » جاء هذا التعريف في العدد التاسـع والعاشر من المجلة ، فاشتاقت قلوبنا الى مطالعة ذلك الكتاب . لنستفيد منه ، ونحن في حاجة ماسة الى نيل ذلك الكتاب ، وغيره في مادة الفلك ، لعله يساعدنـا في تدريس علم الفلك في كليتنا ، ولكن لاندري كيف يحصل لنا ذلك ، ولا نجد طريقا الى الفوز به ، ومن الواضـح ان هناك عقبات كأداء بيننا وبين الممالك الاسلامية . .

ونحـــن نحيط علم فضيلة الاستاذ ان الكتـــاب المذكور « المذكور المقرب ، النافع المعرب » الذي أمـر بترجمته الى العربية ملك المغرب سيدي محمد بن عبد الرحمان لانوجد تحت يدنا منه اية نسخة ، وانما هـو ملك الخزانة الملكية وهذه النسخة تامة في ثلاثة مجلدات بالاشكال والجداول ، بخط مغربي جميل ملون مجدول ، مسطرتها 29 ، ومقياسها 220/330 وهي مسجلـة تحت عدد 2682 ، كما توجد منه بالخزانـة العامـة نسخة اخـــرى تشتمل على المجلدين الثاني والثالث وتحمل عـــدد 5405

وهناك كتب اخرى تضمها الخزانـة المغربيـــة في علـــم الفلـــك ، نورد بعضهـــا في هـــذا الصـــدد « كالتفهيم في صناعة التنجيم » لابي الريحان محمد بن احمد البيروني الخوارزمي الجغرافي الفلكي الكبيـــر ، « ونتائج الفكر المستخرجة من عجائب الصور » تاليف سليمان الفلكي العثمانـــي من اهل القرن الحادي عشر الهجري ، و « عمدة الرغاب ، في حـــل الفاظ معونة الطلاب » لابي العباس احمد بن سليمان الرسموكـــي السوسي المتوفى سنة 1133 ، و « البارع في احكـام النجوم » لابي الحسن علي بن ابي الرجـــال الشيباني الكاتب المغربي القيرواني الذي كانت له شهرة في اروبا في القرون الوسطى ، و « تسهيل المطالب ، في تعديـل

المواكب » لابن قنفد القسنطيني ، و « الادوار فى تسيير الانوار » لمحمد البقار ، و « المرقوم » تاليف ابى زيد عبد الرحمان ابن عبد القادر الفاسي ، والمرقوم منظومة رجزية فى الاحكام النجومية .

**الكويت :**

كتب الينا الاستاذ عبد الله العقيل مدير ادارة الشؤون الاسلامية راجيا منا ان ننشر على اعمدة مجلتنا صورة من ترجمة الرسالة الموجهة من السيد م . هـ . ساجد المدرس بكلية الطب بجامعة اوريجون بولاية بورتلاند ـ الولايات المتحدة الى صحيفة الكويت

والرسالة تهيب بذوي الاقلام المسلمة وبالمسؤولين من المسلمين فى كل مكان بالرد على المفتريات الكاذبة التي تضمنها كتاب ـ مذكرة المرضى على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والذي توزعه معامل ايرست بنيويورك ، بتاثير الصهيونية العالمية ، والتبشير الصليبي .

ومما جاء فى الرسالة :

سيدي

بعد التحية .. اود ان اوجه انظاركم الى مسالة غالية على قلوبنا وارواحنا ففي السنوات الاخيرة ظهر فى امريكا مؤلفات وضعت النبي الكريم بين اشد المصابين بمرض الصرع فى العالم ، ويجري الان توزيع كتاب من هذا القبيل على يد معامل ايرست بنيويورك عنوانه « مذكرة المرضى » وهذا الكتاب موجه الى مرضى الصرع وعامة الناس ويتضمن صورة خيالية للنبي الكريم واتهامه بانه كان مصابا بالصرع ، كما قامت مؤسسة مرضى الصرع الاميركية بعرض بطاقة تحمل صورة للنبي الكريم واسمه وذلك فى الاجتماع السنوي لاكاديمية الاعصاب الذي عقد فى العام الماضي

وكما يعلم كل مسلم حق وكل عالم مستقيم من غير المسلمين فان هذا الزعم باطل من اساسه فقد نشا على يد مؤرخ بيزنطي هو ثيوبانيز الذي اراد كما يقول « تمكين » ان يتعرض للنبي الكريم بالاساءة والتشويه ثم جاء المؤلفون بعده فنقلوا هذا الزعم الباطل ولم يحاولوا تحليل هذا الكلام ومعرفة مصدره ومدى المراجع والقصص الواردة فى كتاباته وبينما نجد ان سبرنجر ولينوكس يذكران هذا الاتهام بعبارات محددة فان « فيرفيلد » متشكك ، كما ان بنفليد لايذكر اسم النبي العظيم فى القائمة التي اعدها بالنسبة لاشد المصابين بالصرع ومما يلفت الانتباه ان نلاحظ ان كلا من سبرنجر ولينوكس كانا يعملان فى الارساليات التبشيرية المسيحية بالهند والصين على التوالي، وبقليل من الشرح يمكننا ان نكتشف الدوافع الدفينة لهذين الكاتبين .

انني اناجي فيكم روح العدالة واحترام النبي الكريم ان تكرسوا وقتكم ويراعكم وصحيفتكم فى رد هذا الزعم المفزع وفى رايي المتواضع فان توجيه استنكار للسفارة الاميركية يعتبر عملا ملائما كما ان ارسال مذكرة لمعامل ايرست فى نيويورك بانه ما لم تتوقف الشركة عما تبديه من ملاحظات تسيء الى النبي الكريم فستقاطع منتجات المعامل ، فان هذه المذكرة لها اهمية كبيرة فمن شان هذين الاجراءين ان يضعا حدا لسيل هذا الادب المسيء .

وانني اطلع بشوق كبير ان اعرف رايكم الكريم واقتراحاتكم بهذا الخصوص .

**المخلص**

**القاهرة :**

الاستاذ احمد عبد الرحيم السائح من خريجي قسم العقيدة والفلسفة بكلية اصول الدين ، ومن الكتاب المجيدين فى المجلات الاسلامية فى مصر ، والرائد الثقافي لرابطة ابناء مركز ابو تشت الذي يضم مكتبة قيمة يتردد عليها مات القراء ، كتب الينا رسالة رقيقة يعبر فيها عن عواطفه نحو مجلتنا التي « تحمل مشعل الحق ، وعبير التقديس ، وتنطق بالقيم الرفيعة ، والافكار النيرة ، والموضوعات الدسمة »

قال الاستاذ السائح : يسرني ان اكتب بمجلة « دعوة الحق » فهل ترحبون ... ! ...

سيدي الاستاذ اهلا ومرحبا ، فان المجلة لترحب بكل انتاج قيم ، يمتاز بالاصالة والجدية ، لا سيما اذا كان واردا من الشرق العربي والعالم الاسلامي .

فابعث لنا سيدي الاستاذ بانتاجكم المفيد ، واننا لنشكر لطفكم وعواطفكم النبيلة نحو اسرة مجلتنا .

**البطل كلاي ، وتقاليد الاسلام**

البطل كاسيوس كلاي بطل العالم فى الملاكمة للوزن الثقيل حكمت له محكمة فى ميامي بالطلاق من زوجته سونجي . وامرته بدفع نفقة مالية كبيرة بعد هذا الحكم بالطلاق من زوجته المذكورة بحجة ان ملابسها تثيرالغرائز .

وكان بطل العالم في الملاكمة للوزن الثقيل قد اشتكى من ان طريقة زوجته في ارتداء الملابس لاتتمشى مع الاحتشام الذي تفرضه حركة المسلمين السود التي ينتمي اليها .

وامرت المحكمة كلاي بان يدفع لزوجته نفقة مالية مقدارها 15 000 دولار في السنة طوال السنوات العشر القادمة الا اذا تزوجت ثانية . كما امرته بأن يدفع نفقات محامي زوجته ومقدارها 22 500 دولار.

وقال كلاي بعد صدور الحكم « انني لا املك هذا المقدار من المال . »

### واحمر الشفاه ايضا

وكان قد ابلغ كلاي بطل العالم في الملاكمة للوزن الثقيل المحكمة انه يريد الغاء زواجه او الطلاق من زوجته سونجي لانها ترتدي سراويل ضيقة وتضع على شفتيها احمر الشفاه وتستعمل رموشا اصطناعية وقال ان ذلك كله مخالف لتعاليم الاسلام .

وكان كلاي وهو عضو في جماعة المسلمين السود، ويفضل ان ينادى باسم محمد علي يشهد امام المحكمة في قضية طلاق اقامها على زوجته سونجي

وقد تزوج كلاي وسونجي في شهر تموز 1964 لكنهما انفصلا بعد اقل من سنة .

### الرموش الاصطناعية

وكانت سونجي الجميلة وهي عارضة سابقة في شيكاغو تجلس في المحكمة وهي مرتدية ثوبا احمر من قطعتين يصل الى الركبتين وله ياقة عالية .

وسأل لورنس هوفمان محامي الزوجة كلاي اثناء الاستجواب « هل يعتبر الثوب الذي ترتديه المسز كلاي الان مقبولا ؟ »

فرد كلاي بصوت عال « كلا انه ضيق للغاية ويكشف الركبتين والاطراف كما انها تضع رموشا اصطناعية واحمر شفاه . وهذا امر مؤذ للعين ومحرج لي . »

### الامور المطلوبة من الزوجة

وابلغ كلاي المحكمة في وقت سابق انه شرح لسونجي قبل زواجهما جميع الامور المطلوبة من الزوجة المسلمة .

### السراويل الضيقة

وقال : « لقد كان من المفروض مثلا ان ترتدي ملابس محتشمة . ولكن عندما كنت اتدرب استعدادا للمباراة الثانية مع سوني ليستون عدت الى المنزل في احد الايام فوجدتها ترتدي سراويل ضيقة . »

واضاف يقول انه ذكر لها ان ذلك خطأ . وقد اعقب ذلك جدل طويل بينهما خرجت على اثره سونجي من المنزل ولم تعد الا بعد ستة أيام .

**مكناس :**

### دعاء

بعث الينا الشاب السيد عبد الكبير العلمي بهذه القصيدة : « دعاء » : راجيا منا نشرها ، وقد اخترنا منها هذه الابيات :

سألت ربي السلم للانسانيه
من هول هذي السفن الفضائيه
رجوته ان يهب المكتشفين
حب الحياة وعقول الراشدين
وقلت يا ربي لماذا صنعوا ؟
صوارخ المنون ثم برعوا
في قاذفات اللهب الفوار
وطائرات النافور الدمار
وكرسوا الجهود والأموالا
واشبعوا قلوبنا اهوالا
وسخروا العلم لكل مفنيه
فاقفرت قلوبهم من محبه
ان شئت ـ يا ربي ـ بها تفنينا
وقدرت السبب في ايدينا
فاجعل الاهي الأمن في سماك
واللطف والغفران في قضاك
والهم أهل العلم رشدا وهدى
يسلم هذا الكون من هول الردى

# نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

### تدشين مسجدين فى كل من تيداس ووالماس

فى يوم الجمعة 13 صفر عام 1386 توجه معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية السيد الحاج احمد بركاش الى كل من تيداس ووالماس لتدشين المسجدين اللذين شيدتهما وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية فى هذين المركزين

وقد ادى معاليه صلاة الجمعة فى مسجد والماس حيث خطب جمهور المومنين الاستاذ السيد محمد الطنجي رئيس قسم الوعظ والارشاد بوزارة الاوقاف، وبعد ذلك توجه معالي الوزير الى تيداس لاداء صلاة العصر فى المسجد الجديد

وقد اختتم الحفل الديني بالدعاء لمولانا الامام جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله ، واقر عينه بولي عهده المحبوب سيدي محمد

### محاضرات ودروس مفتي تونس العظيم بالمغرب

استدعت وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية بامر من صاحب الجلالة نصره الله فضيلة الاستاذ العلامة الفذ مفتي الديار التونسية السيد الفاضل بن عاشور لالقاء بعض المحاضرات بدار الحديث الحسنية بالرباط فى موضوع الخلاف العالي واسبابه وفى نشاة علم الاصول وتطوره واعطاء نظرة شاملة عن اتجاه المؤلفين فيه فلبى هذه الدعوة حفظه الله حيث قدم الى المغرب عن طريق الجو واقام ضيفا مكرما على وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية

وقد ارادت وزارة الاوقاف ان ينتفع عموم المومنين بعلم فضيلة الضيف الكريم فطلبت منه زيادة على المحاضرات القاء دروس فى احاديث جامعة فى المساجد العظمى بالرباط وسلا والدار البيضاء وفاس فاجاب هذه الرغبة والقى درسا هاما فى كل من المدن الاربع .

ومن جهة اخرى اتفقت الوزارة مع المسؤولين فى الاذاعة الوطنية على تسجيل دروسه ومحاضراته قصد القائها من الاذاعة لينعم بسماعها كل المتعطشين لسماع درر المفتي الجليل ، فتم ذلك على احسن حال وكان للمحاضرات الاربع التي القى اثنتين منها فى دار الحديث الحسنية واثنتين فى كلية الشريعة بجامعة القرويين بفاس فى الموضوعات اعلاه صدى عظيم الاثر فى الاوساط العلمية والثقافية

كما كان فضيلة الضيف الكريم محل عناية واكرام سواء من ناحية استقباله ومرافقته من شخصيات الوزارة فى اغلب جولاته وفى اقامة الحفلات التكريمية ممن يقدر فضله وعلمه الغزير ، وفى مقدمة هؤلاء معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية ، ثم ودع حفظه الله المغرب واعدا بزيارة علمية كريمة اخرى فى اوقات مناسبة ، ومجلة دعوة الحق التي ستنشر بعض مآثره تشكره بلسان تلاميذه بالمغرب الذين امتعهم بطرائف علمه وابحاثه .

### فـي الميـدان الفلاحـي

قام رئيس القسم الفلاحي التابع لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية الاستاذ السيد عابد الوزاني بجولة تفتيشية فى كل من مدينة مكناس وزرهون ووزان واحواز مدينة فاس

**فى مكنـاس :**

وقد تم الوقوف على جنان « مالك » الذي غرس فى ارضه من اشجار الزيتون ما يقدر بـ 1900 شجرة ولوحظ بان جميع الاشجار فى هذا الجنان مجففة ، وان الارض بين الاشجار قد حرثت بالجرار .

والشيء الذي يلفت الانظار هو ان كثيرا من المزروعات التي استعملت لمواجهة الصوائر لا تعطي النتائج التي كانت متوقعة ؛ بسبب عدم نزول الامطار الكافية فى الوقت المناسب ، ولانتشار نوع من الحشرات المضرة بالنباتات والمزروعات .

وقد تبين من الطواف على المغارسات المسماة بـ « الريـاض » و « ابن سليمـان » و ( الحجـام ) و ( القرح الكبير ) و ( ضايا لكمر ) الفوقية والتحتية ، ان اشجار البرتقال في حالة تبعث على الرضى والاطمئنان .

كما وقع الطواف على جنان « باب القرديس » المشتمل على 14 هـ والذي غرس منذ سنة 1964 بـ 1905 شجرة ، منها 915 من البرتقال و 270 من المشمش و 270 من السفرجل و 450 من الزيتون .

وهذا الجنان كان قبل التشجير عبارة عن غابة متكاثفة يستحيل المرور داخلها ، لايرد نفعا على الاحباس ، وقد اصبح الآن ، بعد قيام وزارة الاوقاف بازالة جميع النباتات السيئة ، ضيعة نموذجية .

وقد بلغ عدد الاشجار التي غرست الى حد الآن بضواحي مكناس يقدر بـ 15.497 شجرة للبرتقال والزيتون

## في زرهـون :

تألفت لجنة من مبعوث الوزارة ونائب الناظر المكلف بالشؤون الفلاحية ، والخبير الفلاحي المشرف على عملية الغرس ، للوقوف على اراضي « سهب الحدادة » و ( فدان الغبرة ) و ( الشكر ) و ( حمري الكبير ) و ( حمري الصغير ) ، فمرت اللجنة على الاراضي التي تهيأت فيها النقلات لمشاهدة المكان الفارغ منها والمعتمر

وقد وقفت اللجنة على الارض المغروسة سابقا من طرف السيد محمد بنونة ، فلاحظت ان الزيتون في نمو مطرد مما يبشر بمحصول فلاحي طيب في الموسم الفلاحي المقبل ...

وتأكد للجنة بعد ان توجهت الى المكان المغروس باشجار المشمش منذ اربع سنوات ان الاستثمار قد حان ، وتعود فائدته بالنفع الجزيل على الاحباس ابتداء من الموسم المقبل

وقد ضربت النظارة التابعة لمدينة زرهون رقما قياسيا هذه السنة ، وذلك بغرس 400 8 شجرة ، في حين ان عدد الاشجار المغروسة في كل سنة لم يتعد 000 7 في السنوات الماضية

وبهذه الميكة الهائلة من الاشجار تكون النظارة قد استكملت برنامجها الفلاحي الذي بدأ سنة 1957،

ولم يبق لها الا القيام لمقابلة الاشجار المغروسة والذي يقدر عددها بما يأتي :

| | مباشرة | مع الغير | الجملة |
|---|---|---|---|
| عدد اشجار الزيتون | 35.753 | 18.526 | 54.279 |
| المساحة | 357,53 | 215,53 | 573,06 |

اما الاشجار الاخرى ، فيقدر عددها كما يأتي :

المشمش 1873

والمختلطة 4068

الكليتوس 000 111

وتقدر المساحة الكلية بـ 725,06

ويقدر عدد مجموع الاشجار : 200 171 .

وعلى هذا الاساس حددت بصفة نهائية الصوائر وعدد العملة المشتغلين في المزارع الآنفة الذكر

ونظرا لاهمية المشروع وضخامته ستضطر الوزارة الى شراء جرار ثان لمضاعفة العمل والانتاج .

## الغـرس بواسطـة الغيـر

وقع الطواف على 25 قطعة من الاراضي المغروسة من طرف الغير في الدواوير المعروفة بزرهون ( بحمراوة ) و ( بني وارد ) و ( بني راشد ) من طرف لجنة مركبة من مبعوث الوزارة وناظر الاوقاف ونائبه ونائب قبيلة حمراوة بصفته خبيرا فلاحيا واحد المغارسين .

## احـواز فـاس :

تأكد من خلال الطواف على الاراضي المنحدرة، والمغروسة مباشرة بان اسباب ضياع بعض الاشجار ينحصر في تسلط نوع من الحشرات الفتاكة للاشجار الصغيرة ، كما وقع اتفاق على متابعة تجفين الاشجار مرتين في الصيف ، واستعمال جميع وسائل الاشهار **فيما يرجع لأرض الرشاشين (50) المغروسة** من طرف ادارة المياه والغابات والتي بدات تغل ، مع **الزام مشتري الغلة بعدم استعمال العصي** ، كما يتعين تنظيم وسائل حراسة هذه الاشجار .

اما مجموع اشجار الزيتون التي غرست بهذه **النظارة فيقدر بـ** 68,347 .

## ناحيـــة وزان :

وقـــع الطواف على جميـــع الاراضي المغروسة مباشرة بقبائل ( مصمودة ) ( ارهونة ) ( بني مزكلدة ) وقـــد شملت الملاحظات المبدئيـــة فى هـــذا الشأن ما يأتـــي :

اولا : عدم الزيادة فى الغرس المباشر للتمكين من مقابلة 8 000 شجرة من الزيتون والبرتقال غرست فى سنة 1966 ومقابلة الغرس المنجـــز مبـــاشرة فى السنوات الماضية والذي يقدر عـــدد اشجـــاره بـــ 21.304 اما الغرس مع الغير فيبقى العمل جاريا بـــه ويقدر عدد اشجـــاره بـــ 41.925

ثانيا : تزويد غرس مولاي ابي الشتاء بالمـــاء الكافي اما بحفر بئر ووضع محرك واما بجلب الماء من وادي اورديـــار .

ثالثا : صيانة الاراضي المغروسة بالزيتـــون والدالية من طرف ادارة المياه والغابات والتي بـــدات تفـــل .

رابعا : بيع المزروعات المستعملة بين الاشجار عن طريـــق السمســـرة العلنيـــة .

خامســـا : تلبية رغبة قائد ارهونة الرامية الى القيام بجولة بمحضر اعيان القبيلة ليستفيدوا مـــن تجارب الاحباس فى ميدان التشجيـــر .






* صدر قريبا عن معهد مولاي الحسن بتطوان ديوان الامير الموحدي ابي الربيع سليمان بن عبد الله بتحقيق الاساتذة محمد بن تاويت التطواني ومحمد عباس القباج ، ومحمد بن تاويت الطنجي وسعيد اعراب .

* اقيم مؤخرا بابهاء مسرح محمد الخامس بالرباط معرض للكتاب العربي شارك فيه بالاضافة الى المغرب كل من تونس ، والجمهورية العربية المتحدة .

* وصل الى المغرب منذ مدة ، وفد قضائي عراقي بقصد مشاركته في الدورة السادسة للموسم القضائي الذي ينظمه المكتب الدائم للتعريب ، تحت اشراف وزارة العدل . ويتألف الوفد من السيدين شاكر العاني ، وحميد سعيد . وقد قاما بالقاء سلسلة من المحاضرات في كبريات المدن المغربية .

* تصدر في المغرب مجلة ادبية فكرية جامعة باسم « الواحة » .

* احتفل بالجزائر يوم 20 ماي الماضي بذكرى مرور سنة على وفاة فقيد الاسلام والثقافة ، الامام محمد البشير الابراهيمي ، رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين . وقد مثل المغرب في هذا المؤتمر الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني .

* بمناسبة الذكرى العاشرة لتاسيس القوات المسلحة الملكية ، اصدرت وزارة البريد والتلغراف المغربية ، طابعين بريديين من نوع خاص ، تخليدا لهذه الذكرى .

* اقامت «جمعية تاريخ المغرب» التابعة للمركز الجامعي للبحث العلمي ، مؤتمرا تاريخيا في مدرج كلية الاداب بالرباط ، القيت فيه بحوث كلها حول تاريخ المغرب . ودام ثلاثة ايام وقد دشنه الاستاذ ناصر الفاسي بالقاء كلمة في الموضوع .

* زار المغرب مؤخرا وفد ثقافي سوفياتي : قام بجولات في كبريات المدن المغربية ، واقيمت على شرفه عدة حفلات .

* تحت رعاية المكتب الدائم للتعريب في العالم العربي ، نظمت بتاريخ 18 ماي الماضي في مسرح محمد الخامس بالرباط حفلة تدشين « اسبوع فلسطين » وتكلم في هذه الحفلة السفراء العرب المعتمدون بالرباط وعدد من المنظمات الوطنية .

* عقد مؤخرا بالدار البيضاء مؤتمر اقتصادي افريقي اسيوي دشنه صاحب الجلالة الحسن الثاني بكلمة قيمة في الموضوع .

* وجهت جامعة الجزائر الدعوة الى عدد من اساتذة الجامعات المصرية لالقاء سلسلة من المحاضرات العامة ومن بينهم الدكتورة سهير القلماوي والدكاترة محمود قاسم ، ومحمد علي ابو ريان ، وشكري عياد .

وقد وصل منهم الدكتور قاسم والقى في العاصمة وفي وهران عددا من المحاضرات في الفلسفة ، ومناهج البحث لاقت نجاحا كبيرا .

* صدرت في القاهرة الكتب التالية : « شراع ابيض » قصة طويلة لعبد المنعم الصاوي ، « حكاية قلب » ديوان شعر لصالح جودت . « اقاريد » ليوسف بدروس . « من الخبر الى الموضوع الصحفي » لجلال الدين الحمامصي . « التفاحة والجمجمة » رواية لمحمد عفيفي «المحاولة الاولى» قصة لدفاف العروسي المحامية . « الاخلاق والمجتمع » للدكتور زكريا ابراهيم . « نظرات في فكر العقاد » للدكتور عثمان امين « الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية » لعبد العليم ابراهيم « مع العقاد » للدكتور شوقي ضيف « الموشحات والازجال » للدكتور مصطفى عوض الكريم . « المآسي التاريخية الكبرى » لحسن الشريف « المهدي العباس » للدكتور علي

حسني الخرطوبي . « المشكلات العالمية المعاصرة » للدكتور مصطفى الخشاب . « رجال حول الرسول » الجزء الخامس والاخير لخالد محمد خالد . « الاصبع والزناد » مجموعة قصص لمحمد كمال محمد . « الميراث فى الاسلام والقانون » للدكتور احمد الفندور . « نصوص النقد الادبي » للدكتور لويس عوض . « الخطابة فى صدر الاسلام » الجزء الاول « العصر الديني عصر البعثة الاسلامية » للدكتور محمد طاهر درويش . « ساعة الخلاص » للسيد فرج « من قضايا الناس » للمستشار انور حجازي . « الفكر والثقافة المعاصرة فى شمال افريقيا » لانور الجندي . « الكيمياء العامة وغير العضوية » للدكتور سامي طوبيا والدكتور نظير عريان . « الدعاء فى القرآن » لمحمود بن الشريف .

❋ الناقد محي الدين، يعد للطبع مجموعة دراسية وبحوثه التي كتبها عن الشعر الحديث ونشرها فى عدد من الصحف والمجلات .

❋ صدر فى الاسكندرية « الكتاب الابيض » وهو تحقيق عن رسالة الماجستير فى «دراسة اصوات المد فى التجويد القرآني » التي نوقشت فى جامعة الاسكندرية بتاريخ 18 اكتوبر 1965 ، واجيزت ، ثم رفضت اثر حملة صحفية عليها . والكتاب دفاع عنها مع اثبات شواهد وآراء لبعض الاساتذة .

❋ فى المقابلة التلفزيونية التي اجريت مؤخرا مع طه حسين فى القاهرة ، نصح شيخ الادباء من كان حوله من الادباء الجدد التقدميين ان يقرأوا الادب العربي القديم ، قبل كل شيء ، والا ذهب ادبهم مع ذهاب العصر الذي يعيشون فيه .

❋ الامة الانسانية » كتاب جديد صدر فى القاهرة لاحمد حسين المحامي، يصور وحدة العالم والتقائه فى معنى « العالم قرية صغيرة » ويضم احصائيات وبيانات جديدة وهامة .

❋ من المؤمل ان يقيم المجلس الاعلى والاداب فى القاهرة احتفالا بالذكرى المئوية للعلامة اللغوي الاب انستانس الكرملي . ومن المنتظر ان تساهم جامعة بغداد ، ورئاسة المجمع العلمي العراقي ، وجمعية المؤلفين ، والكتاب العراقيين ، فى ذلك الاحتفال .

❋ توفى فى اجقاهرة الملحن الكبير الفنان محمد القصبجي عن 70 سنة .

❋ «معالم الفكر العربي المعاصر » دراسة جديدة لانور الجندي صدرت فى القاهرة ، تضم بحثا عن الثقافة العربية فى معركة التعريب والشعوبية وتحوي معركة جرت فى خلال السنوات الخمسين من هذا القرن ، وهي حلقة جديدة من المعارك الادبية .

❋ عقدت فى نادي القصة بالقاهرة ندوة عن الادب العراقي ، اشترك فيها الدكتور عبد الرازق محي الدين ، والدكتور عبد القادر القط وعباس خضر حسن ، ومحي الدين اسماعيل ، ويوسف الشاروني .

❋ اصدر الاستاذ دحام الكيال كتابا بعنوان «دراسات فى علم النفس » ويقع الكتاب فى اكثر من 150 صفحة من القطع الكبير .

❋ « شاعر عبقر » عنوان لدراسة طويلة يعدها الاستاذ عبد اللطيف اليونس عن الشاعر شفيق معلوف .

❋ دفعت الدار المصرية للتاليف الى المطبعة، الاجزاء الاربعة الاخيرة من كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهاني .

❋ يعد الشاعر صرداوي مجموعة شعرية سيطلق عليها عنوان « اغنيات عاصفة » .

❋ بدء فى انشاء دار الكتب الجديدة بالقاهرة على كورنيش النيل . وقدرت تكاليفها بثلاثة ملايين من الجنيهات وسيتألف مبناها من 24 طابقا . وسيصبح اسمها « المكتبة القومية » ويديرها مجلس ادارة باعتبارها مؤسسة تحت اشراف وزير الثقافة .

❋ توفي الفنان التشكلي عبد الهادي الجزار استاذ التصوير فى كلية الفنون بالقاهرة ، والفائز بجائزة الدولة التشجيعية فى التصوير لعام 1965 ووسام العلوم والفنون على لوحته المشهورة عن السد العالي .

❋ «اتجاهات القصة القصيرة » موضوع رسالة دكتوراه سجلها فى كلية آداب جامعة القاهرة سيد النساج المدرس فى كلية الفنون التطبيقية . سيتناول كتاب القصة العرب المعاصرين مع مقارنة بينهم وبين اعلام القصة فى الادب العالمي .

❋ تولى القصصي والصحفي فؤاد القصاص رئاسة تحرير مجلة « كتاب الجيب » بالقاهرة

❊ الفنان عمر النجدي اقتنت المكتبة الوطنية بمتحف اللوفر بباريس ، قطعة من اعماله . وبهذا سيدرج اسمه في ارشيف الفنانين الحفارين الدوليين بالمكتبة . وعمر النجدي استاذ في كلية الفنون التطبيقية بالقاهرة الان .

❊ معجم « لسان العرب » لابن منظور المصري المتوفى سنة 711هـ يصدر قريبا عن الدار المصرية للتاليف بالقاهرة مصورا بالاوفست ، وملحقا به جزءان يجري طبعهما الان يضمان الاستدراكات والتصحيحات والفهارس وتقع المجموعة في جزأين

❊ توفي في القاهرة عميد معهد الموسيقى العربية السابق ونقيب الموسيقيين الفنان ابراهيم شفيق عن 75 سنة . وكان الفقيد عضوا في مجلس الفنون والاداب، واستاذ في الكونسرفاتوار . آخر اعماله كتاب عن « التواشيح العربية والاندلسية » انتهى من تاليفه قبل اربعة ايام من وفاته .

❊ « ياقوت مطحون » مجموعة قصص قصيرة صدرت بالقاهرة في اوائل الشهر الجاري .

❊ قررت لجنة الفنون الشعبية بالمجلس الاعلى والاداب بالقاهرة، رصد جائزة تشجيعية للشعر والزجل ضمن جوائز الدولة اسوة بباقي فنون الاداب ، ويعتبر هذا الاتجاه انتصارا لشعر العامية في نظر شعرائه ، اذ هو اعتراف من الدولة بهذا اللون من الانتاج .

❊ عين الفنان المعروف سعيد خطاب عميد الفنون المسرحية بالقاهرة مديرا لمؤسسة فنون المسرح والموسيقى .

❊ « الرجل الذي فقد الفرح » مجموعة قصصية ستظهر قريبا للاديب السوداني الطيب صالح .

❊ قامت وزارة المعارف السعودية بطبع كتاب شامل عن التعليم في المملكة خلال خمس سنوات . وقد طبع هذا الكتاب في مطابع نجد .

❊ الباحث السوري عارف تامر دفع الى النشر ديوان الشاعر « ابن هانىء الاندلسي » الذي امضى في شرحه وتنسيقه ثلاثة اعوام ، فجاء باربعة اجزاء ومقدمة تتراوح بين المائة والمائة وخمسين صفحة .

❊ « النغم الازرق » مجموعة شعرية جديدة للشاعر السوداني حسن عبد الله القرشي ، صدرت عن دار الادب في بيروت .

❊ فقدت الصحافة العربية في المهجر كاتبين هما الاستاذ فريد غصن ، المتوفى في بروكلين نيويورك عن 70 عاما وقد ساهم في تحرير عدة صحف منها « مرآة الغرب » و « السمير » و « الاصلاح » وغيرها ؛ كما توفي في بونس ايريس الاستاذ الياس القريب احد محرري جريدتي « السلام » و « الجريدة السورية اللبنانية » .

❊ « ادباء من الشرق والغرب » عنوان الكتاب الذي صدر عن دار عويدات وهو من تاليف الاستاذ عيسى الناعوري .

❊ « الريحاني ومعاصروه : رسائل الادباء اليه » عنوان الكتاب الجديد الذي اصدره البرت الريحاني بمناسبة مرور 25 عاما على وفاة امين الريحاني .

❊ صدر للاديب السوري محمد المونجي « اللغة الفارسية وقواعدها » ويشمل مجمل القواعد الفارسية وصفحات من الحوار والمفردات والنصوص . وبذلك يصبح عدد مؤلفات المونجي المطبوعة احد عشر كتابا .

❊ اصدر المجمع العلمي العربي بدمشق « كتاب الاعربيات » لمؤلفه الفقيد خليل مردم عدنان مردم بك ، واحمد الجندي .

❊ اصدرت وزارة الثقافة بدمشق كتاب « الفن والادب» تاليف لويس هورتيك ، وترجمة الدكتور بدر الدين قاسم .

❊ مجلة « المعرفة » بدمشق » اصدرت عددا خاصا بالقضية الفلسطينية في اكثر من 500 صفحة ساهم فيه بعض الكتاب العالميين .

❊ اصدر الدكتور محسن جمال الدين ، المدرس في كلية الاداب بجامعة بغداد ، كتابا جديدا عنوانه « العراق في الشعر العربي والمهجري » .

❊ «الحركة الفكرية في العالم العربي بين الحربين 1919 — 1939 » كتاب جديد يعده للطبع الكاتب السوري سامي الكيالي .

❊ سيصدر قريبا كتاب « الشذرات في الادب والعلم والفلسفة » وهو من تاليف الامير مصطفى الشهابي رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق .

❊ سيصدر قريبا ديوان « ثائر بلا هوية » للشاعر راضي صدوق . كتب مقدمة الديوان الدكتور خليل حاوي .

❊ «القضية» كتاب من تاليف كافكا .. ترجمها القاص العراقي مجيد ياسر ، وتقوم بطبعها احدى دور النشر في بيروت .

❊ الاستاذ غالي شكري ، يعد للطبع كتابا بعنوان « الحداثة في الشعر » .

❊ ينصرف الدكتور كمال يوسف الحاج الى وضع مؤلف عن الحركة الفلسفية في لبنان .

❊ «دراسات في الفلسفة العربية الحديثة» كتاب يصدر قريبا من تاليف الدكتور صادق جلال العظم ، استاذ الفلسفة في كلية الاداب والعلوم في جامعة بيروت الامريكية .

❊ مجلة « رجال الاعمال » مجلة ضخمة صدرت عن نادي رجال الاعمال في بيروت .

❊ «المواسم» مجلة شهرية جامعة صدرت في بيروت صاحبها ايليا ابو شديد ، ومديرها المسؤول جورج مصروعة .

❊ دفع الاستاذ عبد القادر عياش الى المطبعة بمسودات كتابه « البئر في حياة العرب وما يتصل به من معتقدات وعادات وآداب شعبية » .

❊ الخطيئة البيضاء » قصة لميخائل معوض ، صدرت في منشورات المطبعة الكاثوليكية ببيروت.

❊ صدر عن مجلة « الاداب » في بيروت عن شهر مارس الماضي في 200 صفحة . وهو عدد ممتاز خاص بالشعر ويعتبر مرجعا هاما في دراسة الشعر العربي الحديث .

❊ « الوحدة العربية وقضاياها الناهضة » عنوان الندوة التي عقدتها جمعية متخرجي المقاصد الاسلامية في بيروت ، واشترك فيها كمال جنبلاط ، رشيد الصلح ، جورج حاوي ، ومحمد كشلي .

❊ تالفت في بيروت لجنة عمل للاحتفال بيوبيل مجلة « الاديب » من : الدكتور سهيل ادريس ، الشيخ الياس خليل زخريا ، رياض طه ، ثريا ملحس ، فؤاد الخشن ، احمد ابو سعد ، موسى سليمان ، قدري قلعجي ، بلند الحيدري ، الدكتور جميل جبر ، جورج رجي ، الشيخ بديع المنذر ، رياض حنين ، الدكتور علي شلق . وقد عقدت اللجنة اجتماعا في دار موسى سليمان واتخذت عدة مقررات من بينها تاليف اللجنة الكبرى لليوبيل .

❊ « دراسات في الفلسفة العربية الحديثة » كتاب جديد من تاليف الدكتور صادق جلال العظم استاذ الفلسفة المساعد في الجامعة الامريكية ببيروت صدر في منشورات كلية العلوم والاداب بالجامعة .

❊ فجعت الصحافة اللبنانية بوفاة الاستاذ نور الدين الخطيب مدير جريدة « لسان الحال » في طرابلس . رحمه الله .

❊ اهدت الحكومة الايطالية وسام الاستحقاق من درجة كومندور الى فؤاد افرام البستاني ، رئيس الجامعة اللبنانية ، وتوفيق يوسف عواد السفير في وزارة الخارجية ، ومن درجة ضابط الى الدكتور جميل جبر ، رئيس تحرير مجلة «الحكمة» ، والدكتور احمد مكي عميد كلية الاداب بالجامعة اللبنانية .

❊ «وجه لبنان » كتاب جديد اعده الدكتور علي شلق للطبع يظهر قريبا في بيروت .

❊ نعت لبنان في الايام الاخيرة المؤرخ والمربي اللبناني المعروف الاستاذ كرم البستاني .

❊ نشرت الـ - ت اللبنانية بعنوان « تكريم « الاديب » تكريم للادب ولبنان » ما يلي : لا تزال الاوساط الادبية في لبنان والعالم العربي تستعد للاحتفال باليوبيل الفضي للزميلة الراقية « الاديب » وجهاد صاحبها ومؤسسها الاستاذ البير اديب ، في رعاية الادب والفنون والثقافة عامة ، خدمة للبنان والعرب والثقافة العربية في كل مكان .

❊ الدكتور فؤاد رفقة استاذ الفلسفة في كلية بيروت للبنات ، يعد دراسة عن الشعر العربي الحديث يصدرها قريبا في كتاب . وتعالج الدراسة بشكل خاص ، الجوانب الميتافيزيقية في هذا الشعر .

❊ بمناسبة الذكرى العشرين لوفاة فقيد الادب عمر فاخوري دعت اللجنة التي تالفت لاحياء ذكراه

لحضور مهرجان خطابي كبير اقيم برعاية رئيس الجمهورية الاستاذ شارل حلو في سينما بيلوس ببيروت . ومن الذين خطبوا في هذا المهرجان : محمود امين العالم – ج.ع.م. ، الدكتور انطوان غطاس كرم ، عبد الله لحود ، الدكتور عمر فروخ ، عبد الله النجار ، احمد سويد ، حسين مروة وغيرهم .

* توفي في الشياح بلبنان الاديب الشاعر الاستاذ ابراهيم معوض امين دار الكتب الوطنية .

* نعت نقابة الصحافة اللبنانية ونقابة المحررين الاستاذ يوسف فاضل عقل . وقد عمل الفقيد في جرائد « الاحوال » و « الوطن » و « الراصد » .

* تصدر في بيروت خلال هذا الشهر مجموعة شعرية جديدة لجورج غانم عنونها « سفر الكلمات » .

* توفي في لبنان السيد غبريال المر الوزير والنائب السابق . وقد فقد لبنان بوفاته وجها من انبل وجوه الرعيل الاول من السياسيين الذين لم يتلوثوا ، وكانوا يعملون في حقل البناء والنهضة باخلاص وتجرد .

* تصدر خلال الشهر الجاري في بيروت طبعة جديد لكتابي « الباب الموصود » و « الفصول الاربعة » للفقيد عمر فاخوري بمناسبة مرور 20 سنة على وفاته .

* قدم عبد الله لحود ، والدكتور علي شلق ، والسيدة اميلي فارس ابراهيم ، تصريحا الى وزير الداخلية في بيروت بانشاء جمعية تدعى « رابطة ادباء لبنان » . ومن مؤسسي هذه الرابطة وعددهم سبعة : الشيخ عبد الله العلالي ، وميخائيل صوايا ، ورئيف خوري ، وخليل فاخوري .

* توفي في جدة محمد علي لقمان ، السياسي العدني القديم ، والمحامي والصحفي عن 70 عاما . وكان قد وصل الى السعودية لتادية فريضة الحج ، وقد تقرر ان يدفن فيها . وهو اول عدني يصبح محاميا ، وانشا جريدة « فتى الجزيرة » سنة 1940 ، كما انشا مجلة اسبوعية باللغة الانجليزية هي «عدن كرونكل » سنة 1952 .

* مجلة « المنهل » التي يصدرها في جدة الاديب الباحث عبد القدوس الانصاري ، اصدرت عددا ممتازا في 180 صفحة بمناسبة انتهاء 13 سنة على صدورها.

* اصدرت الامانة العامة لرابطة العالم الاسلامي في السعودية كتابا ضم سيرة حياة الزعيم النيجيري الاسلامي » الشهيد الحاج احمد بلو كما يضم الكتاب نخبة مما كتبه الكتاب ونشرته الصحف بمناسبة حادث وفاته .

* صدر في منشورات مجلة « المنهل » السعودية في جدة كتاب « التحقيقات المعدة بحتمية صنم جيم جدة » باقلام : عبد القدوس الانصاري وعبد الفتاح ابي مدين ، وابي تراب الظاهري .

* يعد الشاعر الاردني عبد الرحيم عمر كتابا بعنوان « دراسات في الشعر » يتناول فيه تطور الشعر العربي منذ بزوغ الاسلام حتى عصر النهضة الحديثة .

* اصدر الاستاذ حكمة توماشي الجزء الاول من فهارس مجلة « المعلم الجديد » التي تصدرها وزارة التربية والتعليم بالعراق . ويتضمن هذا الجزء فهارس المجلة من السنة 1935 حتى 1946 ويقع الكتاب في 130 صفحة . وقد ساعدت وزارة التربية العراقية على طبعه .

* «طريق آخر» عنوان المسرحية الجديدة التي اصدرها الاستاذ نور الدين فارس مؤخرا ببغداد .

* «جماعة المجددين بالعراق » اقامت معرضها الثاني في قاعة المتحف الوطني للفن الحديث ببغداد

* « لن ترالي الضفاف » عنوان ديوان الشهيد مثنى حمدان العزاوي سيصدر قريبا مشتملا على «28» قصيدة . ويشرف على طبعه الاستاذ جليل العطية .

* صدر الى الاسواق كتاب « الوطن العربي، دراسة مركزة لتطوراته السياسية الحديثة » من تاليف الدكتور حسن العطار ، ويقع الكتاب في 336 صفحة من القطع الكبير . وقد طبع بمساعدة جامعة بغداد .

* « فوائد ومناقشات لغوية » كتاب سيصدر قريبا في بغداد ؛ وهو من تاليف السيد رؤوف جمال الدين ، ويتضمن ابوابا متنوعة من علوم اللغة .

❊ في الاسواق الان ، مجموعة القصص القصيرة التي وضعها الاستاذ عبد الرحمن مجيد الربيعي بعنوان « السيف والسفينة » .

❊ في سلسلة الكتب الحديثة التي تصدرها وزارة الثقافة والارشاد بالعراق ، سيصدر الى الاسواق قريبا كتاب « الواقعية في الادب » للناقد الاستاذ عباس خضر ، وكتاب « ادباء المؤتمر » للاستاذ عبد الرزاق الهلالي ، وكتاب «من شعرائنا المنسيين » للاستاذ عبد الله الجبوري .

❊ من سلسلة كتب التراث ، اصدرت وزارة الثقافة والارشاد ديوان « عدي بن زيد العبادي » الذي جمعه وحققه الاستاذ محمد جبار المعيبد .

❊ دفع الاستاذ جعفر الخياط الى المطبعة بكتابه الجديد وعنوانه «صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة » .

❊ اصدرت وزارة الثقافة والارشاد بيانا حول اصدار سلسلة القصة والمسرحية ضمن مطبوعاتها .

❊ «الرهمية» دراسة تاريخية اجتماعية اقتصادية صدرت مؤخرا من تأليف الاستاذ عبد الرحيم محمد علي .

❊ اصدر الدكتور حميد السعدي كتابا عنوانه «جرائم الاعتداء على الاشخاص » وهو دراسة مقارنة بين القانون العراقي والفرنسي والسوفياتي ، في ضوء الاجتهادات القضائية الصادرة من المحاكم العراقية .

❊ يصدر قريبا ديوان للشاعر خالد الحلي . وسيحمل الديوان اسم « الشوق والصمت » .

❊ وصل بغداد وفد الثقافة الصيني في زيارة للعراق لاجراء مباحثات ثقافية تستهدف وضع خطة للتعاون الثقافي بين العراق والصين .

❊ «من وحي السفر « كتاب جديد للمحامي ناجي جواد صدر في بغداد . ويقع في 120 صفحة من الحجم الكبير . وهو خامس مؤلف يصدر للكاتب.

❊ صدر في بغداد للعميد محمود بهجت سنان عضو جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين كتاب جديد عنوانه « تاريخ قطر العام » .

❊ «طريق آخر» كتاب يضم سبع مسرحيات في فصل واحد ، صدر في بغداد من تأليف نور الدين فارس .

❊ «نفحات اسلامية » عنوان الكتاب الجديد الذي اصدره الاستاذ مكي الجميل ، ويبحث في الطرق التي عالج فيها الدين الاسلامي المشاكل الاجتماعية .

❊ في سلسلة منابع « الثقافة الاسلامية » التي تصدر في النجف ، صدر كتاب «شعراء من الشيعة من تأليف عبد المجيد الحائري .

❊ سيصدر قريبا كتاب « كعب بن مالك الانصاري » من جمع وتحقيق الاستاذ سامي العاني ، والكتاب هو الرسالة التي قدمها الاستاذ العاني لنيل شهادة الماجستير .

❊ ( غريب على الشاطيء ) ديوان جديد يعده للطبع الشاعر علي الحلي ، ومما يجدر ذكره ان احدى دور النشر في بروكسيل ستطبع للشاعر الحلي مجموعة من قصائد بعد ان ترجمت الى الانجليزية .

❊ وضع الدكتور جلال الخياط رسالة عنوانها ( تطور الشعر العراقي الحديث في القرن العشرين ) وهي الرسالة التي حصل بها على شهادة الدكتوراه من جامعة كمبردج .

❊ ينصرف الشاعر محمود البريكان الى اختيار بعض قصائده ليدفع بها الى الطبع .

❊ اصدرت مديرية الفنون والثقافة الشعبية في وزارة الثقافة والارشاد بالعراق كتاب ( الصناعات والحرف البغدادية ) من تاليف الشيخ جلال ويقع الكتاب في ( 235 ) صفحة من القطع المتوسط واحتوى على اكثر من 20 صورة .

❊ دفع الاستاذ فتحي سعيد الى المطبعة بمسودة كتابه الغرباء ، وهو دراسات ادبية لبعض الشعراء هذا ومن الجدير بالذكر انه سيصدر في بيروت ديوان ( فصل في الحكاية ) وسيصدر في القاهرة « اوراق الفجر » للاستاذ فتحي سعيد ايضا .

* « الفترة الحرجة » عنوان الكتاب الذي اصدره اخيرا الشاعر رياض نجيب الريس ويضم مجموعة من مقالاته نشرتها الصحف العربية .

* اصدر المجمع العلمي العراقي اثرا جديدا من آثار الفقيد الشيخ رضا الشبيبي عنوانه « تراثنا الفلسفي ، حاجته الى النقد والتمحيص » .

* يعد الاديب العراقي شجاع مسلم العاني اطروحة عن « الجنس في القصة العراقية » لنيل الماجستير بجامعة القاهرة ، وذلك باشراف الدكتور عبد القادر القط .

* يصدر قريبا في بغداد : « كتاب العروض في اوزان الشعر العربي وقوافيه » لحكمة فرج البدري وديوان « اللهب المقفى » للشاعر حافظ جميل ، وتقديم منير القاضي ، والدكتور طبانة و « اصول المرافعات والصكوك الشرعية » لمحمد شفيق العاني رئيس محكمة تمييز العراق . و « صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة لجعفر الخياط « وفي صميم الاحداث » وهو جزء جديد من مذكرات محمد مهدي كبة السياسية . و « مفاهيم اسلامية » للشيخ محمد حسن آل ياسين .

* وافقت الحكومتان العراقية والتركية على قرار بتنفيذ توصية سابقة للجنة الثقافة العراقية التركية تنص على ان تتعهد تركية بترميم ضريح الشاعر امريء القيس ويتعهد العراق بانشاء ضريح الشاعر التركي فضولي الموجود في كربلاء .

* عين الدكتور خالد الهاشمي رئيسا لجامعة بغداد ، خلفا للدكتور عبد العزيز الدوري المستقيل منذ عدة اشهر .

* يصدر قريبا عن دار البصري ببغداد « اخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي البغدادي » .

* صدر عن مكتبة الثقافة الدينية في النجف كتاب اللؤلؤ المرتب في اخبار البرامكة وآل مهلب » تاليف الفقيد السيد محمد رضا الشاه عبد العظيمي .

* تتخذ حاليا الاجراءات لاقامة نصب كبير للشاعر ابو الطيب المتنبي في المنطقة التي يرجح انه قتل بها بدير العاقول في النعمانية قرب الكوت بالعراق

* « فوائد ومناقشات لغوية » عنوان الكتاب الذي صدر في بغداد للسيد رؤوف جمال الدين .

* صدر العدد الاول من مجلة « البيان » التي تصدرها رابطة الاباء الكويتيين . وقد جاء حافلا بشتى المقالات والدراسات والقصص والقصائد وممن شارك في تحريره : راضي صدوق ، عبد الله الخاتم ، خالد سعود الزيد ، سليمان الشطي ، عبد الله خلف . كما تضمن قصيدة تنشر لاول مرة لشاعر الكويت الفقيد فهد العسكر .

* اشترك الدكتور سابا شبر ، وخالد الحسن ، وابراهيم الشطي ، في احياء ندوة عن قضية فلسطين اقيمت بمناسبة اسبوع فلسطين في الكويت .

* الاديبة هداية سلطان السالم - تقوم باعادة طبع كتابها الاول « المقاصد والنوازع » في سجايا العرب » الطبعة الاولى نفذت من اسواق الكويت خلال شهور .

* توفي في الكويت الشاعر المعروف محمود شوقي الايوبي الذي عاش متنقلا بين الكويت والعراق واندونيسيا حيث قضى فيها 20 سنة له مجموعة من الدواوين هي : الموازين ، رحيق الارواح ، هاتف من الصحراء ، والاشواق . وله شعر مخطوط يزيد على العشرة دواوين .

* اصدر المعهد الثقافي العربي في اسبانيا كتابه الرابع باللغة الاسبانية عن القصة العربية ويضم نماذج قصصية لبعض القاصين العرب امثال : محمود تيمور ، يحيى حقي ، محمود البدوي ، عيسى الناعوري ، عبد السلام العجيلي ، يوسف ادريس ، زكريا تامر ، ليلى بعلبكي ، عبد الله نيازي .. وغيرهم كما اشتمل الكتاب على تراجم موجزة لحياة اولئك الادباء .

* دشن الدكتور عبد القادر حاتم نائب رئيس وزراء الجمهورية العربية المتحدة بحضور وزير التربية الاسباني ، معهد الدراسات الاسلامية للجمهورية العربية المتحدة بمدريد . وتضم البناية التي جعلت مقرا للمعهد التي بنيت على الطراز العربي المعاصر على مكتبة وعدة قاعات للمطالعة ومسجد .

* اقام المجمع العلمي البرازيلي ، وهو اكبر هيئة ثقافية ادبية في البرازيل ، بالاتفاق مع مكتبة جامعة الدول العربية هناك ، حفلة رسمية خاصة لتكريم الثقافة العربية . وقد نوه الخطباء بالعلاقات التاريخية القائمة بين اللغتين البرتغالية والعربية منذ ايام وجود العرب في الاندلس ، وما تستطيع الاداب العربية ان تقدمه من غذاء روحي لمثقفي القرن العشرين .